

اورورا

مقدمة في فلسفة الخيمياء
علم التحول

ربيع هرmez

2021

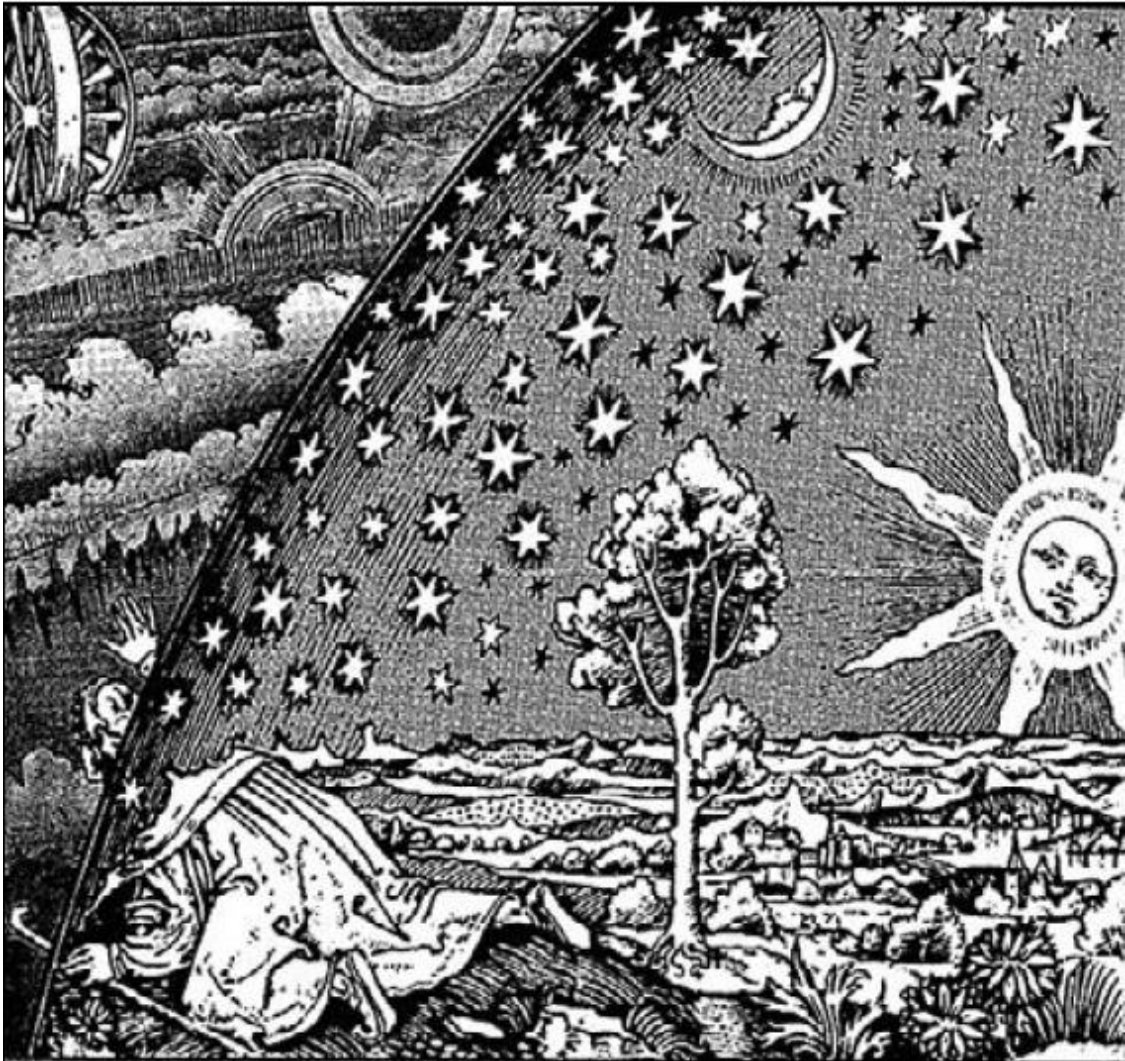
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ , وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ , وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ,
أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ , وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ

محمد عليه السلام

كما في الاعلى سيكون في الاسفل

هرمس

يدير الخيميائي ظهره لعالم الحس, يصل الى طرفه الاقصى, يجثو هناك على ركبتيه بتواضع, متوسلاً بمن خلق العوالم, ان يكشف له عن الرابط الذي يربط عالم المحسوس بعالم غير المحسوس, عن الحقيقة التي انجبت كل ما نرى, عن القوانين العلوية المقدسة, عما في الاعلى حيث بدأ كل شيء وانعكس عنه كل ما في الاسفل.



المقدمة:

علم الخيمياء... ذلك العلم المنسي المُساء لسمعته, ولعل هذا النسيان والاساءة من النعم التي انعمها الله على اصحابه اذ جعلهم يعملون بهدوء وصمت بعيداً عن اجواء العامة وصخبهم وطفوليتهم المزمنة.

اعتقد جازماً ان اول ما تبادر لذهنك عندما سمعت بمصطلح خيمياء هو اسطورة تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب, لأن هذا الامر كان ولا يزال احد اهم الدوافع التي جعلت الكثيرين يسهرون الليالي ويقضون الايام وهم دائبين في جمع المخطوطات القديمة واتعاب النفس في فك رموزها الصعبة وتطبيقها الذي يستغرق سنوات طوال يحرق فيها الناس اعمارهم وثرواتهم وهم يلاحقون حلم طفولي يدغدغ مشاعرهم غير الناضجة.

على ان هذا الجهد الكبير الذي بذله الكثيرين في مسعاهم ذاك لم يكن بلا ثمرة, وان كانت الثمار غالباً معنوية وليست مادية كما كانوا يطمحون. اذ انهم بعد ان يذوقوا طعم الفشل وهوان السخرية لمرات ومرات, وبعد ان يخسروا الكثير من ثرواتهم او كلها عادة, وبعد ان تشتعل رؤوسهم شياً, تكون دواخلهم قد تغيرت ونفوسهم قد سمت بسبب كثرة الالام والخسائر الى مستوى يصبح للفيض الالهي طريق الى نفوسهم المتعبة, ليرويههم بعد الظماً وينير قلوبهم بعد الظلمات, ليشاهدوا عياناً ان المعرفة الالهية التي انعم الله بها عليهم بعد الجذب هي الذهب الابريز وهي كنز الكنوز وهي الخير الاعظم الذي ما بعده خير.

رغم هذا فان هذه النهاية السعادة لم تكن مصير الكثير منهم وان الشنق او الحرق على الخازوق كان نهاية بعضهم بتهمة السحر والشعوذة, كما ان الكثير منهم انحرف عن جادة العلم والبحث الصحيح وانخرط في عالم الشياطين رغبة منه في كشف الاسرار الباطنية بطريق سهل واختصار تعب السنوات. كما ان بعضهم توجه الى الخداع والكذب مدعياً قدرات خارقة ليست له كان اهمها القدرة على الشفاء او كشف اسرار المستقبل.

لكن التاريخ يخبرنا ان هناك من نجح في تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب وان الجزء المادي من هذا العلم ليس اسطورة, لا بل ان هناك وثائق حكومية تنتمي الى القرون الوسطى تجعل هناك سعر سوق للذهب المصنّع خيميائياً, وكأن الموضوع اصبح شيء عادي تقليدي في فترة من الفترات.

في هذا الكتاب سنستعرض باختصار اصول هذا العلم القديم وجذوره ومجال نشاطه بالضبط, كما سنخرج على اهم الطرق المعروفة فيه لتحويل المعادن الرخيصة الى ذهب او فضة بدون الخوض في صوابها او خطأها بل لمجرد الاطلاع. ولكن تركيزنا سيكون على فائدة العلم الحقيقية في موضوع التحول من حال (باطنية) الى حال افضل (او اسوأ), والفلسفة العميقة القابعة وراء ذلك وعلاقته بالكثير من العقائد الدينية وارتباطه مع الكثير من الفلسفات الانسانية الاخرى.

سنركز ايضاً على موضوع الرموز التي هي اللغة الرسمية لهذا العلم والسبب وراء استخدامها وسنكتشف كيف ان الكثير من الرموز الخيمائية استخدمت في الكتب المقدسة الدينية للتعبير عن حقائق باطنية خفية لم يكن هناك من وسيلة اخرى للتعبير عنها.

الكتاب سيكون مختصر قدر الامكان, وهو مجرد مقدمة ومحاولة للنظر الى علم منسي من زاوية اخرى نعتقد انها الزاوية الصحيحة والمفيدة والتي تحمي من يطلع عليها من الخوض في تجارب مؤلمة وغير مجدية تأخذ منه سنوات حياته وهو يلاحق وهم او سراب.

سنذكر -كما قلنا- بعض التركيبات او الطرق الخيمائية للاطلاع, لذلك نحذر جداً من تجربتها لأنها في الغالب اما خطرة او متفجرة او ذات ابخرة سامة او غيرها من الاخطار المختبرية المعروفة, لذلك فنحن غير مسؤولين من البداية عن عاقبة الحمقى.

يبقى علينا ان نوصي ببعض الوصايا قبل البدء, اولها ان الخيميائي الحقيقي ليس من يحول المعادن الرخيصة الى ذهب او فضة وان فعل, بل هو الشخص الذي يحاول ان يحول نفسه من حال الى حال افضل, وهذه الجملة ليست من باب النصيحة الطوباوية الخالية من المعنى, بل ان التحول الذي تقول به الخيمياء تحول حقيقي يستشعره الشخص ويحس به كما يحس بالألم او السعادة او الشوق او الامل او اي من المشاعر غير المادية التي لا يمكن للإنسان البرهنة على وجودها المادي رغم انه والجميع من حوله لا يستطيعون انكارها.

التحول الخيميائي هو خروج النفس البشرية من حالة خسيصة ودخولها الى حالة سامية جديدة واستشعار ذلك داخل النفس بشكل لا يمكن انكاره ثم تغيير كل السلوكيات القديمة بما يتناسب مع الحال النفسي الجديد. سيصبح تجنب افعال معينة سهل جدا بعد ان كان

صعب في السابق بسبب ادراك المعنى الداخلي له بطريقة حضورية, وسيصبح اتيان اعمال اخرى سهل جدا بعد ان كان صعب في السابق لنفس السبب.

العلم الحضوري هو العلم المستحصل من ممارسة الخيمياء ولذلك فهو علم عميق وحقيقي جدا وواقعي ومؤثر في النفس وان كان صعب البرهان.

لكن المشكلة هي ان التغيير النفسي المطلوب يجب ان يحصل قبل ممارسة الخيمياء (التطبيقية) لأن نتائج التجارب الخيمائية معتمدة عليه, اي ان الخيميائي الحقيقي هو شخص كان قد قطع سابقاً مرحلة من مراحل تطوره الداخلي اهله لأنه يحوز ملكات باطنية تؤهله لأن يمارس الخيمياء. ممارسته لهذا العلم ستكون السبب في ان يواصل هذا التقدم نتيجة لحيازته كشوف علمية (حضورية) جديدة.

ممكن ان نعطي مثال بطفل صغير نما وقطع مراحل العمرية العادية حتى وصل الى مرحلة البلوغ الجنسي والتي عندها سيدخل مرحلة عمرية جديدة لها خصائص جديدة تؤهله لممارسة الجنس او فهم معناه, والذي سيكون بدوره باب لممارسات وتجارب اخرى تجعله يتقدم اكثر في ادراكه للكون والوجود. مهما حاول طفل لم يصل الى مرحلة البلوغ الجنسي ان يفهم معنى الجنس او ان يتكاثر بممارسته فسيكون مصيره الفشل.

هذا المثال قد يكون اوضح مثال لخصائص الخيميائي الحقيقي وموقعه من الوجود. وهذا ايضاً سبب الفشل الكبير الذي يكون دائماً مصير من يسلك في ممارسة الخيمياء قبل النضج الباطني. يقول كيرهاردت احد اشهر الخيميائيين الالمان (عليك ان تحول نفسك من حجر ميت الى حجر فلاسفة حي قبل بناء المختبر).

الخيمياء ليست كيمياء وان استخدمت احياناً نفس الادوات, الخيمياء عمل روحي تطبيقي متعلق بقدرات الشخص الباطنية ومراحل التكاملية التي قطعها, ومن قرأ شيء عن شجرة الحياة او الكبالا سيعرف ان الوصول الى (تفاريث) هو شرط اساسي للتقدم نحو (بيناه) والجواز من بوابة الاسرار المقدسة التي يحميها السلطان المبين. لذلك ننصح بقراءة كتاب حبة الرمان قبل الشروع بقراءة هذا الكتاب.

الفصل الاول: مفاهيم عامة

كل شيء كان قد بدء من الواحد.....

هرمس

جذر الخيمياء وتاريخها:



لا يستطيع احد ان يحدد متى بدأ هذا العلم واين, ولكن اغلب الاقوال انه بدء من عصر قبل الطوفان على يد شخص او كيان لا يُعرف عنه سوى انه رسول الالهة واسمه هرمس او ثوث كما ظهر في الحضارة المصرية. بعض الباحثين

الاسلاميين يربطونه (كعاداتهم) بالنبي ادريس ويسوقون بعض الادلة على ذلك. لكن حقيقة شخصية هرمس واين كان ومتى تميل الى ان تكون اسطورة اكثر منها حقيقة علمية.

كان هرمس بحسب الاسطورة كيان الهي له شخصيتين, جزء منه كان ذو خصائص الهية وجزء اخر بشري. وهو المسؤول عن نقل علوم الالهة الى البشر. رمزت له الحضارة المصرية بطائر ابو منجل لأن هذه الطائر يستطيع الوقوف على الماء بسبب طول ساقيه وتخصصهما لهذه الوظيفة وهو ايضاً يمتلك منقار يستطيع به اخراج الاسماك من المياه بسهولة. واذا عرفنا ان الماء او البحر كان وما يزال رمز لمنطقة الاسرار الروحانية وان الاسماك هي الافكار المقدسة او ذات الالهية التي يتم استخراجها من منطقة الروح (الماء) نستطيع ان نفهم سبب ارتباط رمزية هذا الطائر بهرمس.



في الاغريق القديمة ارتبطت رمزية هرمس بشاب مجنح ولكن اجنحته في رجليه وليس في ظهره يقوم بإيصال توجيهات من الالهة الى ابطال الاغريق خلال الاوقات الصعبة التي يحتاجون فيها الى الدعم الالهي. لاحظ ايضاً كيف ارتبطت الاجنحة التي هي علامة ترتبط بالعالم الروحاني ايضاً, ارتبطت هذه المرة بالأرجل وفي خوذة الرأس وليس على الظهر

كما هو معتاد. اي ان هرمس يقف على ارضية روحانية من جهة وله افكار روحانية من جهة اخرى, ولكنه ليس هو بذاته كيان روحاني كامل, اي انه ليس اله بالمعنى القديم الوثني للالهية, بل انه ذو (قاعدة) روحانية ويستطيع ان يفهم الروحانيات ويصوغها بالكلمات, ولكن الجزء الباقي منه بشري ولذلك فهو المؤهل لأن يكون في موقع الرسول بين العالمين. الاجنحة في الرأس والارجل تساوي الارجل والمنقار لطائر ابو منجل وهي ادوات التقاط الافكار الروحانية العميقة من (الماء) الاصلي لها ومن ثم تحويلها الى ما يمكن ان يفهمه البشر.

تقول الاسطورة ان هرمس هذا استطاع ان يكشف عن سر الهي عظيم للبشر ولكن لعظمة هذا السر وعدم قدرة الكلمات على حمله فقد صاغه بطريقة رمزية وكتبه على عمودين من الذهب والواح من الزمرد (المصنع خيميائياً) وبدء بتعليمه للناس حتى جاء وقت الطوفان حيث اختفى العمودان من الارض ومعهما التعليمات الاصلية, ثم اعيد اكتشافهما بالصدفة بعد الاف السنين من الطوفان واخذهما الى مكان سري في احد معابد مصر الغربية لتكون نواة النهضة المصرية والحضارة العجيبة التي بقت اثارهما الى الان. حتى ان كلمة خيمياء -كما يقولون- متأتية من الكلمة خيم وتعني الارض السوداء التي يدعي اغلب الخيميائيين انها تشير الى مصر او انها اسم مصر القديمة.

لكن المتعمق في اصل الخيمياء سيكتشف سريعاً ان اصلها كان سومري بامتياز, حتى مصطلح الارض السوداء قد يشير الى ارض بلاد ما بين الرافدين اكثر من ارض مصر, وقد استمر هذا اللقب ملازم للعراق (بلاد السواد) حتى حقبة الحضارة العباسية وما بعدها رغم ان تفسيره الرسمي كان الاخضرار الممتد او ظل النخيل الذي غطى العراق كله ابان تلك الفترات.

لكن من الادلة الاكثر واقعية على ذلك هو ان كلمة خيمياء لو ارجعناها الى اصلها وهي المفردة الانكليزية alchemy نجدها تتكون من ثلاث اجزاء, الجزء الاول هو ال التعريف وهو بسبب الجذر العربي للمخطوطات التي اعتمد عليها الغرب في التعاطي مع الخيمياء, ثم الجزء الثاني من الكلمة وهو خي او كي الذي يرتبط مباشرة بمعنى الارض في اللغة السومرية القديمة. واللغة السومرية كما يعرف المختصون هي لغة معنوية اذا صح التعبير, اي ان المفردات فيها تشير الى حقائق اكثر من اشارتها الى اشياء, وهو نفس الامر الذي تعتمد عليه كل علوم الباطن التي تشير الى حقائق وليست اشياء. اي ان المفردة خي او كي (بحسب الرؤية الخيميائية للغة) تعني الارض وايضا تعني الجسد وتعني الملح وتعني حتى الراسب او الشيء القاعدي الذي يكون حامل

لأشياء أخرى, وهنا تجد ان المقطع خي سيعني حقيقة حمل الأشياء المعنوية او القدرة على حمل معاني او انتاج اشياء أخرى وهو معنى الارض الخيميائي كما سيتبين. اذ ان في الخيمياء سيكون الملح او الارض او التراب هو الحامل الكثيف (للأشياء) الأخرى الاخف مثل النفس والروح.

اما الجزء الاخير من المفردة alchemy (الكيمي) وهو المقطع مي فمرتبط مباشرة بالواح الاقدار المشهورة, او الواح المي التي تقول الاسطورة بأن عشتار قد سرقته من انكي وبذلك حازت كل الاسرار المقدسة التي يمكن لها بها اقامة حضارة من العدم.

الواح الاقدار او الواح المي هي الاسرار المقدسة الخيميائية نفسها التي تشير الاسطورة الاولى الى ان هرمس جاء بها من الالهة الى البشر. حتى كلمة اقدار او قدر ما زالت متداولة في اوساط الخيميائيين, لان الخيمياء هي محاولة تغيير الاقدار وتحويلها. ويظهر المصطلح هذا بوضوح في القرآن لوصف حالة تحويل خيميائي للمعادن يقوم بها شخصية تحمل اسرار وهو داوود النبي (وقدر في السرد) اي اعطاء القدرة على تغيير اقدار المعادن. وتغيير الاقدار هو بالضبط ما تعني كلمة تحول المرتبطة دائماً بعلم الخيمياء (علم التحول).

لاحظ كيف ان الامر واضح من البداية, ولكن التدليس دائماً يميل الى نزع مكانة العراق الحضارية او تحويل الانظار عنها لغايات باطنية. سيكون معنى الكلمة (الكمي alchemy) بعد هذا الاستعراض السريع هو ارض الاقدار او ارض تغيير الاقدار او الملح الحامل للمصائر وهو مرتبط كما اسلفنا بالحضارة العراقية السومرية القديمة.

حتى اسم بلاد الرافدين القديم كان (كي ان جي). وكى هي الارض كما اسلفنا (بالمعنى الخيميائي للكلمة), اما جي الاخيرة فيفسرها المختصون بالقصب ليكون المعنى بلاد القصب او ارض القصب, ولكن اذا رجعنا الى الفكرة الاولى عن لغة الحقائق وليست لغة الأشياء فسيكون المعنى ارض الأشياء الممتدة الى الاعلى او ارض الامتداد او الملح الذي يحوي الأشياء الممتدة الى الاعلى. وهذا -كما سيتبين تباعاً- وصف لحقائق خيميائية على مستوى عالي من التجريد, اذ ان الخيمياء تقسم الأشياء الى ملح ونفس وروح والملح هو نفسه الارض التي تستطيع ان تحمل الامتداد العلوي الذي هو الروح والنفس.

اما الخيميائي الحقيقي فلا يحتاج الى كل هذه الشروح لأنه قد عرف حضورياً ان ارض الرافدين هي الارض التي تحمل الامتداد الروحي وان الطاقات اللازمة لإتمام اي

عملية خيمائية توجد بوفرة في العراق دوناً عن كل البلدان الاخرى, وسيأتي الكثير من الشروحات عن ارض الرافدين وعلاقتها ببناء الزقورات وما هي الزقورة اصلاً؟ وما وظيفتها؟ مما سيجعل الذهن قادر -ولو جزئياً- على استيعاب هذه المفاهيم العvisية على الشرح والبيان.

الخيمياء التي بين ايدينا الان هي خيمياء غربية, معتمدة بالأساس على مخطوطات لاتينية كانت هي الاخرى قد نقلت فيما مضى من العرب الذين كان لهم الفضل الكبير في احياء هذا العلم وخصوصاً خلال الحضارة العباسية التي اهتمت بشكل كبير في علوم الباطن. من العرب انتقل العلم الى الغرب عن طريق اسبانيا ثم اصبح اوروبي بامتياز بعد ان تم حرق او اتلاف اغلب المخطوطات القديمة في احداث حرق المكتبات المتكررة. لذلك سترى ان الكثير من المفردات المستخدمة في هذا الفن مفردات عربية ابتداءً من اسم الفن نفسه (الكمي) وليس انتهاءً بمصطلحات اخرى مثل الكحول alcohol والتنور athanor وغيرها كثير.

وحسب ما تشير المصادر الاجنبية التي بأيدينا فإن اغلب الكتابات العربية عن الخيمياء كانت تنسب الى جابر ابن حيان وابن سينا, رغم ان الكتابات الاصلية لهذين العالمين نادرة جداً وصعب التعرف عليها ضمن مئات النصوص التي تنسب لهم. والسبب وراء هذا الخلط الكبير هو ان اغلب الخيميائيين المزيفين الذين انتشروا في القرون الوسطى في اوروبا كانوا يحاولون بيع مخطوطات يدعون ندرتها بنسبها الى جابر ابن حيان او ابن سينا او يحاولون تسويق منتجاتهم بنفس الطريقة مما سبب هذا الخلط الكبير وعدم القدرة على تمييز الغث من السمين الا من ذوي الخبرة العملية في الموضوع.

العرب كانوا قد ورثوا هذا الفن -على الاغلب- من المجوس واليهود المنتشرين في اراضيهم وهؤلاء كانوا قد ورثوه من الحضارة البابلية التي عاصروها ونقلوا علومها سواء بالمخطوطات او شفويّاً اباً عن جد. رغم ان هناك قصص عن ان ائمة اهل البيت وخصوصاً الامام جعفر الصادق عليه السلام كان وراء تعليم جابر مبادئ الصناعة, لكننا شخصياً نعتقد ان اصل هذه العلوم هي بابل القديمة مروراً بالفرس واليهود لأسباب ليس هذا مجال ذكرها, ولكن ممكن الاشارة الى ان الخيمياء من العلوم الوسطى واهل البيت مثل الانبياء كانوا قد وقفوا في موقف مضاد لها ومسيطر عليها بنفس الوقت, ولم يكونوا ابداءً من دعاة نشرها بين الناس لأسباب كثيرة. ولمعرفة شيء عن العلوم الوسطى وفرقها عن العلوم العليا نحيل القارئ الى كتابنا حبة الرمان مرة اخرى.

تقول بعض ادبيات الخيمياء ان بعض اهم اسرارها كانت بيد ارسطو الذي علم بعضها الى الاسكندر مما اتاح له زيادة وتعاضم بالقوة الفكرية والجسدية اهلته لأن يصبح اكبر قائد على مستوى العالم بوقت قصير. لكن طمعه لمعرفة المزيد جعل الخلاف يدب بينه وبين معلمه الذي لم يكن يريد كشف المزيد, مما حدا بالشاب الى ان يقوم بهذه الحملات العسكرية الواسعة بحثاً عن المخطوطات المتبقية, وان يؤسس في كل موقع محتمل لوجود هذا العلم مدينة كاملة, مثل ما كان في الاسكندرية في مصر او مدينته في الوركاء (اوروك) المكان المحتمل الاول لوجود اسرار الخيمياء الكبيرة. ولكن كان مصيره الموت المبكر الذي هو نهاية كل من يحاول اختراق حواجز الباطن بدون تصريح من اهلها.

يمكن ان تجد الكثير من القصص الغريبة الاخرى التي تتحدث عن اصل الخيمياء مثل انها نزلت مع الملائكة الساقطة لغرض اغواء البشر وعلموها اول ما علموها الى النساء مقابل الجنس مما جعل هناك سلالة من الناس اصولهم ترجع الى الملائكة الساقطة انفسهم. او ان قوى طبيعية عاقلة تدعى بالنيثير كانت قد علمت البشر في الازمان الغابرة اسرار هذا الفن وغيرها كثير من القصص الاخرى التي هي اقرب الى الاساطير منها الى الحقيقة. على ان في هذا العالم (عالم الباطن) يكون للأساطير والقصص الرمزية شأن مهم كما سيتوضح لاحقاً وتؤخذ على مستوى عالي من الجدية. ونعتقد ان في هذا التقديم كفاية عن اصل الخيمياء, وعلى من يريد الاستزادة الرجوع الى مصادر اخرى.

اقسام علم الخيمياء:

بالرغم ان الخيمياء وكل العلوم الوسطى متداخلة بشكل كبير فيما بينها الا انه يمكن للمتتبع ان يشعر ببعض التمايز بين بعض موضوعاتها مما يجعل العقل مباشرة يميل الى تقسيمها الى شعب واقسام بحسب هذه الميزات, على ان في المختبر بالنسبة للخيمياء او في الواقع بالنسبة لباقي العلوم الوسطى فلا تميز حقيقي موجود, وستجد ان السحر والخيمياء والتنجيم وعقائد الكابالا كلها كل واحد متماسك منصهر مع بعضه البعض.

بذلك يمكن -تنازلاً- تقسيم الخيمياء الى ستة شعب:

- **الخيمياء الروحانية:** يعنى هذا النوع من الخيمياء بكيفية التواصل مرة اخرى مع الحقيقة الروحانية. الذهب المنشود في هذا النوع من الخيمياء ليس الذهب المعدني المعروف بل الذهب الداخلي الروحي. تكون النشاطات في هذا النوع من الفن منصبة على الممارسات العبادية الروحية الخاصة بتحويل باطن الانسان الخسيس وهو في مراحل تكامله السفلى الى حالة اخرى اسمى وانقى واكثر تسامياً. اي بعبارة اخرى تغيير الكارما.

والكارما هي مصطلح يشير الى تعلقات مصير الانسان بذنوب وخطايا سابقة سواء في هذه النشأة او في نشأة اخرى تجعل ترقيه في مدارج الكمال اكثر صعوبة مما يستوجب التخلص من هذه الكارما اولاً. عملية التخلص من تعلقات الكارما عملية صعبة ومؤلمة وتشبه الى حد كبير او هي حقاً مطابقة لما يحدث من عمليات في المختبر لتحويل المعادن الخسيسة الى ذهب, اذ ان الاحراق واعادة الاحراق ومن ثم التدوير والصهر والتنقية وغيرها هي عمليات مشابهة لحالات نفسية تحدث لباطن الانسان تحرقه تماماً وتذيبه وتعيد تنقيته مرة بعد اخرى حتى يتخلص من العوالق السابقة ويرتقي اخيراً في مدارج التكامل.

الصلاة الكثيرة والدعوات الصادقة والاستغفار والعناء ومن ثم المساعدة الالهية بانزال البلاء كلها تدخل في هذا النوع من الخيمياء. وهناك الكثير من النصوص الدينية التي تشير الى معنى ابتلاء المؤمن ونزول المصائب عليه في مقابل تنعم الكافر واستمتاعه في الحياة.

من الجدير بالذكر ان ممارسة هذا النوع من الخيمياء خاص بالأولياء الذين هم الخيميائيون الحقيقيون المرسلون من قبل الله لمهمة تكامل البشر الروحاني, وهم وحدهم من يعرفون اسرار خيمياء الروح ويستطيعون ادارة عملياتها بحسب حالة كل انسان واستعداده ونوع الكارما المتعلقة به. اما المدعي والمتصدي لهذه المهمة السماوية من غير اهلها فسيكون (ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ , لَيْبَسَ الْمَوْلَى وَلَيْبَسَ الْعَشِيرُ).

• **الخيمياء النفسية:** هي اتجاه قديم في الخيمياء يحاول ان يفسر رموزها على شكل حالات وانفعالات نفسية. كل الخيميائيين بشكل عام ولأنهم يبنون كل نشاطاتهم على جذر هرمسي واحد يؤمن بان الوجود واحد ومن عند واحد وما هذه الاختلافات الا انحرافات عن المظهر الاصلي -كما سيأتي شرحه في حينه- ويؤمنون ايضاً بأن نفس الانسان وكيانه الداخلي هو كون مصغر او نسخة مصغرة من الكون الكلي الاكبر, اي بتعبير علم الباطن يكون الانسان هو ميكروكوزم للكون الاكبر الذي هو الماكروكوزم له (راجع كتاب حبة الرمان موضوع الكون المتكرر). لذلك فإن فهم داخل الانسان يؤهل صاحبه لهم الكون الاكبر, كما ان فهم الكون والطبيعة يؤهل صاحبه لفهم نفس الانسان, وبذلك ستكون كل الرموز الخيمائية المعروفة والتي سنتطرق اليها لاحقاً ذات فائدة كبيرة في فهم باطن الانسان وحالاته النفسية وسيكون استخدامها فعالاً جداً في وصف حالات النفس وانفعالاتها واعتلالاتها وبذلك فهم اكثر للموضوع ومرونة في التعاطي معه.

اكثر من برع في هذا المجال هو عالم النفس المشهور كارل غوستاف يونك اذ انطلق من رموز الخيمياء في كشوفات نفسية كثيرة اهمها نظرية الخافية الجامعة التي تقول بوجود شخصية معنوية للمجتمعات تشبه العقل الباطن للشخص الواحد تكون متأثرة برموز بعينها ومؤثرة فيها.

على ان يونك وان اصاب كشف علمي جديد في مجاله, الا انه لم يكن موفقاً في حصر الرموز الخيمائية في عالم النفس البشرية. واغلب الخيميائيين الحقيقيين يعلمون ان رموز الخيمياء اوسع من ان توضع بين جدران موضوع واحد من موضوعات الوجود.

• **الخيمياء الفنية (الادبية):** والمقصود منها الخيمياء التي اثرت على الفنون والآداب بكل انواعها بل وحتى على العلوم. لا يخفى على المتتبع ان الكثير من

النصوص الادبية التي تنتمي الى الحضارات السابقة والتي تصف طريقة صناعة صبغة او مادة كيميائية كانت ذات طابع خيميائي سحري. هذا بالإضافة الى طبيعة الخيمياء نفسها والتي تتداخل بقوة بالرموز والرمزيات سواء كانت على شكل نصوص ادبية رمزية او رسوم تجريدية او منحوتات وغيرها.

كل الكاتدرائيات والكنائس التي شيدت في عصور النهضة او قبلها في اوروبا كانت ذات مغزى باطني خيميائي ولذلك كانت ذات تأثير كبير على النفس البشرية عند رؤيتها. حتى بعض الموسيقيين المعروفين من اصحاب المعرفة الباطنية ضمنوا الكثير من اسرار الخيمياء وخصوصاً الجزء المتعلق منها بالتناغم في موسيقاهم مما كان لها وقع اخر على الاذن التي تلتقطها.

ستجد بعد ان تطلع على بعض الرمزيات الخيميائية في الفصول المقبلة ان الكثير من الفلسفات الناجحة والتي حازت على اهتمام الناس لفترات طويلة كانت ذات اصل خيميائي مثل ديكارت هيكل الثلاثي او اطروحات نيتشة وغوته وغيرهم.

هذا العمق الرمزي في الخيمياء يضيف لمسة سحرية على اي عمل يختلط به, وما زال هذا الامر متواصلاً حتى عصرنا هذا, اذ يعتمد المخرجون والمؤلفون في هوليوود وغيرها الى استخدام رمزيات خيميائية في نصوصهم وصورهم مما يجعلها مؤثرة اكثر وتضرب اعماق سحيقة من النفس البشرية. وهذا الامر هو بحد ذاته مدعاة الى التأمل والتساؤل عن السبب وراء هذا التأثير الغريب للرموز الخيميائية في النفس الانسانية.

• **الخيمياء الاجتماعية:** كانت الخيمياء ورموزها وكل علوم الباطن وراء العديد من التجمعات والمدارس السرية منها والعلمية, خيرها وشريرها, مارست الكثير منها ادوار سياسية واجتماعية مهمة ومؤثرة في الكثير من البلدان. ووصل العديد من اعضاءها الى مناصب مهمة وخطيرة سياسياً او اقتصادياً او عسكرياً.

وكل ذلك يستند الى جذر واحد وهو ما ذكرناه سابقاً من ان الحقيقة واحدة ومن عند واحد وكل الاحداث والاشياء في هذا العالم مشتقة منها, ومن يحوز الحقيقة او على الاقل جزء منها سيستطيع بالتالي السيطرة على جزء مهم من الاحداث العالمية. من جهة اخرى فإن السيطرة السياسية والعسكرية تعتمد في معظمها على السيطرة على الافراد والشعوب وهذا يعتمد كما علمنا من الاسطر السابقة على فهم الحالات النفسانية للبشر وهو الامر الذي تتوصل اليه من الفهم العميق للخيمياء ورموزها ومن ثم القدرة

على تطبيق هذه الرموز على ارض الواقع. من اهم المنظمات التي حازت شهرة كبيرة في هذا المجال هي منظمة الصليب الوردي التي اعتمدت بشكل كبير على دراسة اسرار الخيمياء ورموزها والكثير من الصور الرمزية والنصوص الخيمائية التي وصلتنا كانت قد خطت بأقلام افراد منتمين الى هذه المنظمة الغريبة.

- **الخيمياء التطبيقية:** الخيمياء التطبيقية هي الجزء المشهور من هذا الفن مع انه الجزء الاقل اهمية بالنسبة للخيميائيين الحقيقيين, وفيه يكون العمل المختبري المعمل اليومي الذي ينتج عنه نشاطات معينة اهمها:
 - تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب.
 - انتاج دواء يشفي من جميع الامراض.
 - خلق الهيموكيولي, وهو حيوان حي يدعي الخيميائيين انهم يستطيعون خلقه, اي ان الخيميائي يدعي انه يمتلك سر الروح والحياة.
 - انتاج الاكسير, وهو مادة يمكن ان تحول كميات كبيرة من المعادن الى ذهب مباشرة بمجرد اضافة كميات قليلة جداً من الاكسير اليها, وهو ايضاً المادة التي تعيد الشباب الى كبار السن وتجعل احجام الثمار اكبر وغيرها من الادعاءات الكثيرة.

وهذا النوع من الخيمياء هو ما يسعى الناس الى امتلاك اسرارها وهو من يقضي اخرين اعمارهم ويستهلكون اموالهم في ملاحقة المخطوطات المتعلقة به ومحاولة كشف رموزها, وهو المجال الذي يختلط بالأساطير والخرافات ويسرح فيه المشعوذون والكذابون وغيرهم ممن يستغلون شغف الناس الى الصحة والمال لمصالحهم الخاصة المريضة.

رغم ان اكثر ما يقال في هذا الجزء من الخيمياء يكون اقرب الى الكذب منه الى الصحة الا ان اصل التحويل -كما نوهنا وسننوه- لا ينطلق من خرافة ابدأ, بل من فلسفة عميقة جداً وقديمة جداً تضرب في اعماق النفس البشرية وشعورها الباطني بانها تنتمي الى عالم اعلى واسمى من هذا العالم الحيواني المتسافل وان موقعها الوجودي لا يجب ان يبقى في الحظيظ, وان هناك معنى وعمق للحياة البشرية اعلى بكثير من هذا الفراغ واللامعنى الذي يحيط بالإنسان من كل جهة. هذه المشاعر العميقة هي من يعطي الزخم والمثابرة والصبر للكثير من الخيميائيين في مواصلة بحثهم عن هذا الموقع الوجودي المتعالي للإنسان.

دراسة علم الخيمياء بكل اقسامه سابقة الذكر يجب ان يبدأ من دراسة هذا الجزء بالضبط (الخيمياء التطبيقية) لأن فيه يكون الجهد الحقيقي العملي الذي يسمح بمشاركة الحواس البشرية كلها فيه, الامر المفيد في تركيز الحقيقة وادراكها بوقت اسرع وبصورة افضل من البحث الذهني المجرد كما في الفلسفة, وقد قيل سابقاً ان العلم ينادي بالعمل فأن اجاب والا رحل.

• **الخيمياء الصيدلانية (العلاجية):** وهي الفرع الاكثر فائدة وواقعية من كل الفروع الاخرى اذ انه يركز على صناعة الادوية ولكن ضمن الفلسفة الهرمسية, اذ انه يتعامل مع الاعشاب الطبية او النباتات على وفق التقسيم الباطني الى روح ونفس وجسد -سيأتي شرحها لاحقاً- ومن ثم يقوم بالخطوات الكيميائية اللازمة لإعادة التوازن المفقود للمادة الطبية التي من المفترض ان تزيد قوة فعاليتها العلاجية لمئات المرات مقارنة باستخدامها التقليدي.

تشخيص الامراض والتعامل معها يكون ضمن هذا النوع من الخيمياء في ضوء الفلسفة الهرمسية ايضاً اذ ان المرض فيه هو عبارة عن اختلال في التوازن بين العناصر الاربعة المكونة للجسم او هو نقص في الطاقة الحيوية المارة خلال الجسد بسبب خلل باطني, والعلاج يكون بإعادة هذا التوازن الطاقوي اما باستخدام الطرق الباطنية مباشرة او باستخدام المواد العشبية المستخلصة وفق الطرق الكيميائية.

يعرف الخيميائي الحقيقي ممن خاض مراحل التكامل الباطنية واصبح يستشعر الطاقات ان المرض هو انحراف عن التوازن الباطني الذي من الممكن التعبير عنه باللغة العادية الظاهرية بالانحراف العقائدي الذي يؤدي الى تغيير في النفس البشرية يظهر على شكل مرض عضوي او نفسي, لذلك ووفقاً لهذه النظرة سيكون العلاج الحقيقي ببساطة هو العودة الى العقيدة الصحيحة, والتي عندها سيختفي المرض مباشرة كالسحر, اما باقي العلاجات الاخرى حتى الكيميائية منها فهي علاجات غير كاملة اذا ما استمر الخلل العقائدي بلا اصلاح.

الاسس النظرية لعلم الخيمياء:

تستند الخيمياء على قواعد فلسفية نظرية قوية وقديمة جداً كان لها الاثر في بقاء هذا الفن خلال عصور كثيرة وان تقاطع في الكثير منها مع العلم الرسمي السائد او الفلسفة الرائجة. هذه القواعد النظرية القوية تضرب بعمق هي الاخرى حالها حال الرمزيات الخيميائية في باطن النفس البشرية مما يجعلها على عكس الفلسفات النظرية الاخرى عصية على النسيان وسهلة الحفظ, رغم انها تتحدث في الغالب عن (موجودات) خارج نطاق الحس او على حافة هذا النطاق.

المصطلحات التي استخدمتها الخيمياء وما زالت تستخدمها يمكن ان تجدها في جذور الكثير من الفلسفات الاخرى, اذ انها كانت المنطلق والجذر المعرفي والوجودي الذي انطلقت منه باقي الفلسفات. وان كانت قد انحرفت بشدة عنها بعد ذلك.

العلم الحديث يتقاطع مع الرؤية الخيميائية للوجود ولكنه لا يستطيع ان يهرب من حقيقة انه كلما تقدم اكثر في كشوفاته كلما اقترب اكثر من نفس المبادئ النظرية الاولى التي تستند عليها الخيمياء كما سنلاحظ تباعاً.

اهمية الخيمياء التطبيقية (المعملية) وان كانت اقل اقسام الخيمياء عمقاً, هي انها تقدم ادلة مادية ملموسة محسوسة على وجود العالم الروحاني, وهذا هو السبب الرئيسي لعدم قبولها في محافل العلم الطبيعي الرسمي, رغم ان الكثير من كشوفات الخيمياء المعملية يمكن الاستدلال عليها بنفس ادوات البحث المختبري التجريبي العادية. لكن اساطين العلم التجريبي المسيطرين على مراكز القرار في مؤسساته يعلمون ان بمجرد قبول مقولات الخيمياء فعليهم ان يقبلوا كل المقولات الروحانية الاخرى وصولاً الى قبول وجود الله نفسه او العالم السماوي. وهذا ما لا يريدونه بتاتاً.

قبول وجود الروح او النفس بالمعنى الباطني الديني لها يعني امكانية تقبل وجود وعي خارج المادة الثقيلة وهذا سيؤدي بالضرورة الى قبول وجود كيانات واعية بلا اجساد اي قبول كل النظريات الدينية.

الباحث في مجال الخيمياء من وجهة النظر التجريبية المادية سيكتشف بسهولة الموقف الايديولوجي المسبق الذي يؤدي حتماً الى هذا الموقف السلبي للعلم التجريبي من الخيمياء المعملية.

لم يتزعزع عناد العلم التجريبي امام حقائق الخيمياء رغم ما سببه هذا الموقف المتشنج له من خسارات كبيرة في ميدان الصراع مع الدين الرسمي خصوصاً في حقل الاحياء. اذ كان من السهولة بمكان اثبات التطور الداروني مثلاً لو سلم العلم الرسمي بوجود قوانين طبيعية تجعل ما هو (خسيس) يتحول الى ما هو (نفيس).

في ميدان الاركيولوجيا والاثار يمكن في ضوء التصديق بقوانين الخيمياء تفسير الكثير من سلوك الحضارات القديمة -كما ستأتي بعض الامثلة في فصول لاحقة-. بل يمكن تطبيق الكثير من المكتشفات الاثرية لو فهمت بصورة صحيحة في ميدان العلم والتكنولوجيا الحديث لحل الكثير من المشكلات العالقة في المجالات الصحية والزراعية وغيرها.

علم الخيمياء هو علم الحقيقة, والخيمياء التطبيقية العملية هي مشاهدة هذه الحقيقة عياناً وبالطريق الحسي العادي, ولذلك كان هذا العلم متقاطع دائماً مع الدين الرسمي من جهة ومع العلم الرسمي من جهة اخرى, اللذان هما لعملة الشيطان الواحدة المصممة اصلاً لحرف الانسانية عن الصراط القويم. وما الصراع القائم بين الدين الرسمي والعلم الرسمي الا صراع وهمي صوري الغاية منه الزيادة في الايهام والتضليل, والحقيقة انهما معاً وسيلة واحدة لتأصيل النظرة المادية الضيقة للوجود وغض البصر عن كل ما هو روحاني متعال.

انتصار علم الخيمياء وقبول نظريته للوجود يعني نهاية العلم الرسمي والدين الرسمي معاً, ولذلك تجدهما يتحدان فجأة ويتجاوزان كل خلافاتهما ويقفان في خندق واحد امام الخيمياء مسخرين كل طاقاتهم للتصدي له, بدءاً من الجدل العلمي المتناقض وليس انتهاءً بحرق الخيميائيين على الخازوق واتهامهم بالسحر والشعوذة, او حرق مكنتات بأكملها في محاولة لطمس نور الحقيقة (وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).

قبل التعمق في شرح الاسس النظرية لهذا الفن, يجب ان نخرج على النظرة العامة له او الرؤية الوجودية من وجهة نظر الخيمياء, والتي يمكن تلخيصها بثلاث نقاط:

1- العالم المادي المحسوس ليس هو العالم الوحيد او الحقيقة الوحيدة. هناك مستويات اخرى من الحقيقة اكثر اهمية واكثر وجود ولها تأثير كبير على تحديد كيفية وجودنا في هذا المستوى المادي. العالم الفيزيائي هذا هو ظل او طرح (القاء) (سيأتي معنى هذه المفردة الخيميائية المهمة في حينه) للعالم الاعلى غير القابل للإدراك بالحواس العادية.

فقط القوى العليا للعقل في الانسان تستطيع التعامل مع ذلك المستوى من الحقيقة, وهذه القوى وان كانت موجودة عند الجميع الا انها غير مفعلة عند الاعم الاغلب من البشر.

2- الثنائيات او الازداد في هذا العالم المادي هي حلقة الوصل بينه وبين العالم العلوي وهي المرأة الوحيدة التي تتمكن من عكس بعض الحقيقة السماوية وجعلها قابلة للإدراك الحسي. الثنائيات مثل الذكر والانثى والليل والنهار والشر والخير واليمين واليسار وغيرها كثير, والتي يمكن ان تختزل كلها في ثنائية واحدة جامعة لكل الثنائيات هي المبدأ الذكري والمبدأ الانثوي او ما تسمى في علوم الباطن بعمودي الحكمة (راجع كتاب حبة الرمان). وفق هذه النظرة فإن كل ما هو مادي سيكون مرتبط بقوة بضده اللامادي وملازم له ابدأ. الجزء المادي من الانسان الذي هو الجسم الخارجي مرتبط دائماً بجزء لا مادي يسمى الجوهر, هذا الجوهر خالد وغير معرض للبلى وبريء تماماً من تعاقبات الموت والحياة. هذا الجوهر هو ما يسمى كيميائياً بالعنصر الخامس او الروح او قوة الحياة.

3- كل الناس مؤهلين لفهم وادراك هذه الحقائق العلوية غير المادية سواء في انفسهم او في الطبيعة من حولهم (سُئِرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ), بل ان الغاية الاولى والاخيرة من وجود الانسان هو ان يدرك هذه الحقائق, التي هي مفتاح العروج مرة اخرى الى مستواه ومنزلته السماوية الضائعة. لكن الطرح الديني والعلمي الحالي —كما قلنا— مصمم خصيصاً للتعتيم على مفاتيح هذه الحقائق.

قد تكون هذه المقدمة كافية كتمهيد قبل التعمق اكثر في الاسس النظرية للكيمياء والتي سنختصر بها قدر الامكان مراعاة لعدم تضخيم حجم الكتاب والا فإن هذه الفلسفة لوحدها قد تحتاج الى كتاب كامل او اكثر لتغطيتها بشكل كامل ومناقشتها من جميع جوانبها, ولكننا سنكتفي بالقليل الواضح.

اشرنا في مواضيع سابقة الى ان الكيمياء حالها حال كل علوم الباطن تعتمد بشكل اساسي على الفلسفة الهرمسية التي تكتنف اصلها القصص الخرافية والاساطير. الفلسفة الهرمسية بدورها تعتمد على قوانين تسمى قوانين هرمس وهي ثمان قوانين او سبع قوانين ظاهرة وقانون واحد خفي. من هذه القوانين اشتقت كل النظريات الاخرى على مر السنين. بالنسبة للكيمياء فإنها تعتمد بشكل مباشر على قانونين او ثلاث من هذه القوانين الثمانية وهي كالآتي:

القانون الهرمسي الاول: الكل يكون من الواحد:

قانون الوحدة وقد يسمى ايضاً قانون التقابل وقد تعتمد بعض الاديبيات الهرمسية الى فصل هذا القانون الى قانونين احدهما يسمى قانون الوحدة والاخر قانون التقابل. وقد كنا قد ذكرنا اجمالاً نص هذا القانون المهم والمشهور وهو (الكل من الواحد ... كما في الاعلى يكون في الاسفل). على ان النصوص الهرمسية الاولى على درجة عالية من التعقيد رغم التبسيط الكبير الذي حدث لها خلال العصور لكنها بقيت محتفظة بدرجة من التعقيد ونحتاج الى ذهن (او قلب) متدرب لإدراك معانيها الخفية, وكمثال ندرج اليك النص الهرمسي الاصلي طبقاً لترجمة اسحق نيوتن:

انها حقيقة مؤكدة, لا تقبل الخطأ, هي ان كلما في الاسفل مشابه لما في الاعلى, وان كل ما في الاعلى, مشابه لما في الاسفل: وهذا مهم لتحقيق العمل الرائع. اذ ان كل الاشياء اشتقت من الشيء الواحد, بالإرادة وبالكلمة, كلمة الواحد, الواحد الذي خلقها بعقله, لذلك كل الاشياء مدينة للواحد بوجودها, وكل ذلك كان بقوانين الطبيعة, ويمكن لكل ذلك ان يرتقي بالانطباق مع ذلك العقل.

ابوه كان الشمس, وامه القمر, حملته الرياح برحمها, ارضته الارض, وكان هو اب كل الاشياء الكاملة في العالم, تصبح قوته كاملة تماماً عندما يتحول مرة اخرى الى الارض. افصل الارض عن النار, الخفي عن الظاهر, ولكن بمهارة عالية وحكمة.

هو يتصاعد من الارض الى السماء, ثم ينزل مرة اخرى, ليولد من جديد, في الارض, اخذاً قوة الاعلى وقوة الاسفل, ليكتمل مجده وتهرب من امامه الظلمات.

هذه طاقة كل الطاقات, قوة جميع القوى, لأنه انتصر على كل الاشياء الخفية واستطاع ان يخرجها للعلن, وهكذا خُلق العالم, بالتوازن القلق بين الاشياء.

ندعوه هرمس مثلث العظمة الذي حاز جوانب الحكمة الثلاث وكشف اسرارها, فن الخيميائيين بدأ وانتهى على يديه فن الخيميائيين عمل الشمس.

كان هذا مثال بسيط عن تعقيدات لغة الخيميائيين والجهد المبذول خلال القرون لفهمها وتبسيطها, جهد لم يكن يخلو من التأمل العميق والصلاة الكثيرة للتوصل الى فهم صحيح وكامل للنص.

جرت العادة بين معلمي الخيمياء ايضاً ان يعرضوا بعض النصوص الاصلية لطلابهم في بداية الدراسة كنوع من تحفيز الالهام. وعادةً ما كان الطلاب يسألون: ولكن ماذا يعني ذلك بحق السماء؟ فيجيب المعلم الاجابة نفسها في كل مرة: عليكم ان تنظروا الى الطبيعة والى انفسكم لتعلموا ذلك. واذا اردنا ان نصوغ الامر بطريقة اخرى سنعود الى نفس الآية القرآنية التي نتحدث عن الرؤية في الافاق وداخل النفس... فتأمل.

لا نريد بأي حال من الاحوال تفسير النص السابق بشكل مفصل لأن المعنى سينكشف تبعاً خلال القراءة ولكن نريد ان نضع بعض الخطوط تحت بعض المفردات المهمة ونبقيها حاضرة في الذهن ونحن نواصل القراءة. مثلاً نضع خط تحت مفردة الاب او ابو جميع الاشياء, وخط تحت كل الاشياء اشتقت من الشيء الواحد, وكذلك جمل مثل كان الشمس ابوه والقمر امه والرياح الرحم الذي حمله والارض ارضته. ولنلاحظ انه في النص ورد مصطلح الواحد وورد ايضاً الشيء الواحد.

لنعود لشرح الاساس النظري للخيمياء ولنتذكر هنا بعض اهم الاقوال لبعض مشاهير هذا الفن ومنها:

مفهوم الخيميائيين عن المادة والحياة يقف على النقيض من مفهومهما بالنسبة للعلم المادي. العلم المادي يحاول ان يكتشف كيف ان المادة تتخلق منها الحياة, بينما الخيمياء تؤكد ان الحياة خلقت المادة.

العلم يقول ان الوعي ظاهرة حياتية بينما الخيمياء تقول ان الحياة تظهر للوعي الاصلى المجرد. الوعي المجرد عندما اراد الظهور خلق الحياة والتي بدورها تمظهرت على شكل المادة.

الخيمياء هي كشف عن المجرد المنضوي داخل المادي, والذي يؤدي دائماً الى ترقى المادي حتى يعود مرة اخرى الى المجرد ويصبحون من جديد حالة واحدة. وهذا يعني ان كل العالم المادي المحسوس هو حالة قلق من توازن حرج بين المادي والمجرد وكأنهما في صراع ازلي او طقس زواج مقدس لا يخلو من العنف او ما يسمى خيميائياً ب(الاوروبورس).

هناك مقولة خيميائية قديمة تقول ان الكل هو العقل وان الكون هو العقل.

الكلّي او الواحد هو الحقيقة الاولى القاعدية التي تستند عليها كل الحقائق الاخرى, هذا الكلّي او الواحد هو خارج القدرة على الادراك البشري وخارج اي امكانية لتسميته

ولكننا نرمر له فقط بالكلى او المجرى او الالهى او الروح الالهية او القوة الاولى او اى رمز او اصطلاح اخر فهو لن يكون سوى اشارة لحقيقة خفية كل الاختفاء عن اى مكانية للإبراك او الشرح.

فقط فى الخلق العقلى كان الواحد قد خلق كل شىء واطهرها من العدم وبقي هو الواحد الكلى، لان اى مادة اخرى لو كانت موجودة معه واستخدمها لذلك لما بقي الواحد الكلى.

هنالك العشرات بل المئات من النصوص المشابهة لما فى الاعلى والمنتشرة فى كل كتب الباطن والتي تغلغت فى اجسام اغلب الديانات والعقائد التوحيدية او الوثنية ومنها الاسلام والمسيحية ويمكن الاطلاع عليها فى كتابات الصوفيين والعرفانيين وغيرهم، وقد ذكرناها هنا للاطلاع ولأخذ فكرة عن الجذر العقائدى للخيمياء وعلاقته بالعقائد الاخرى.

يمكن ان نبسط الموضوع اكثر ونقول ان ما ندعوه بالمادة هو الجزء من الوجود الذى يمكن لنا ادراكه بحواسنا العادية او ما يقويها من اجهزة مختبرية، وما هى الا علامة او اشارة الى الجزء الاعظم من الوجود المختفى تحتها. والامر اشبه بالعلامة التجارية الموجودة فوق صناديق السلع التى تشرح ماهية الاشياء الموجودة وتشير اليها، او مثل جبل الجليد المختفى تحت المياه والذى لا يبدو منه الى جزء صغير من قمته يشير لمن يراه عن صفات وسمات الجزء الاكبر منه الغاطس تحت المياه. وكما ان قمة الجبلية متصلة بما هو تحت الماء من الجبل الكبير كذلك تكون المادة متصلة ومتأثرة بالجزء الاعظم من الوجود المختفى تحت غياهب اللا ادراك.

الشاهد والمشهود:

لنعد الى مفردات النص الهرمسي التى وضعنا تحتها خطوط ولناخذ منها مفردتين هما الاب الواحد والشيء الواحد الذى بدأ منه كل شىء. نلاحظ ان النص يشير بدقة الى ان هناك ابوان للوجود كلاهما اطلق عليه لقب الواحد ولكن الواحد الاول اطلق عليه لقب اخر وهو الاب (الذى الشمس ابوه والقمر امه والرياح الرحم الذى حمله والارض مرضعته) والواحد الاخر هو الشيء الواحد، اى اطلق عليه لقب الشئئية.

ولكى نفهم الموضوع بشكل كامل لنعد الى سفر التكوين او اى نص اخر يتحدث عن الايام الاولى المعروفة للخلق، حيث انه لم يكن هناك سوى العماء الاول او الغمر العظيم او الماء السماوى او البحر الاول او اى مصطلح اخر يشير الى هذه الحقيقة

والتي يمكن ان نستخدم المصطلح الحديث لها وهو الفوضى الخلاقة التي هي في الحقيقة فيض عظيم من الطاقة الكونية التي تستبطن كل الاحتمالات. محيط عظيم من الطاقة غير المرئية لم تتحول بعد الى اي شيء اخر ومنفتحة على جميع الاحتمالات.

ثم تذكر النصوص المقدسة التي تشرح اصل الخلق ان هناك روح الهية كانت تسبح فوق سطح المياه العظيمة والتي منها بدأ كل خلق وتحويل لبحر الطاقة العظيمة هذا الى مادة متمظهرة.

اي ان هذه الروح الالهية هي الوعي الالهي الذي بوجوده تحولت بحار الظلمات الطاقوية الى الكون والوجود بكل انظمته المعقدة المعروفة. اي ان البدء كان للوعي قبل المادة، والوعي هو من كان السبب بوجود المادة وليس العكس بحسب طرح العلوم الطبيعية الرسمية. هذا الوعي هو الذي عبر عنه الانجيل بالكلمة او كلمة الله (في البدء كانت الكلمة) والتي لا يخفى تعلقها بالوعي وليس المادة.

هذا ما كان في الاعلى والذي لا بد ان يكون له مقابل في الاسفل بحسب قانون التقابل الهرمسي، ولندخل عالم فيزياء الكم لنشاهد تجربة السلوك المزدوج للمادة. اذ ان سيل من الالكترونات ترسم على الشاشة الحساسة تداخل موجي عندما تدخل من شقين دلالة على سلوكها كطاقة مجردة. ولكن بمجرد ان يوضع مراقب (شاهد) على الامر ولتكن كاميرا مثلاً سيتبدل سلوك الالكترونات من سلوكها الطاقوي الى سلوك مادي جزيئي لترسم حزمتين بدون تداخل على الشاشة الحساسة. اي ان الطاقة (الالكترونات الحرة) التي استخدمت في التجربة كان لها سلوكين، الاول سلوكها كطاقة مجردة عندما لم يكن هناك شاهد على العملية وسلوكها كمادة ذات نظام داخلي عند توفر الشاهد (المراقب).

بحسب القانون الهرمسي ما في الاعلى يكون في الاسفل فأن التغيير الذي حصل في سلوك الطاقة وتحويلها الى المادة بمجرد وجود شاهد هو نفسه ما حصل في لحظات الخلق الاولى للكون. اذ كان الغمر العظيم او الفوضى الكونية الخلاقة ستبقى فوضى الى ابد الابد لولا وجود هذا الشاهد المقدس او الوعي الالهي او الروح الالهية الذي بمجرد وجوده حول هذا البحر الطاقوي الى مادة تستبطن النظام والقانون والتعقيد. هذه المادة التي اصبحت كون ووجود هي المشهود الذي اقسم الله بها وبالشاهد عليها من قبل في القرآن (وشاهد ومشهود).

هذا الشاهد يجب ان يبقى موجود ومشاهد الى الابد وفي اليوم الذي يخلو الكون منه ستسيخ الارض باهلها ويفقد الكون تنظيمه ويعود سلوك الغمر العظيم الى سلوكه الطاقوي الاول وتختفي المادة وانظمتها من الوجود مباشرة.

بحسب قانون التقابل فإن كل نظام طبيعي (مشهود) له قوانينه التي تحكمه سيكون مدين لوجوده ونظامه الى شاهد خاص به, وهذا الشاهد يجب ان يكون واعي وعالم بما هو موكل به ليكون النظام الطبيعي جاري على اكمل وجه, وهكذا نزولاً الى عالم النفس البشرية حيث سيكون نظامها قائم بوجود الشاهد الذي هو الوعي البشري الخاص بكل شخص, وصعوداً الى اعلى عليين حيث سيكون الله تعالى الشاهد الاكبر على كل مشهود من تحته الى اسفل سافلين (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

بهذا المعنى ممكن ان نفهم سبب عدم خلو الارض من حجة, او الحاجة الى وجود امام ذو وعي الهي والا سيختفي النظام الطبيعي مباشرة ويعود الى حالة الفوضى الخلاقة او تسيخ الارض باهلها بحسب التعبير الروائي. وهذه هي الحاجة الحقيقية الاولى والاخيرة للإمام الغائب وان اختفى بجسده, لان الحاجة الحقيقية تكون لوعيه الالهي حصراً, والذي به يكون حفظ قوانين الطبيعة. اما الحاجة الى الفقه او الدين او الكشف العرفاني او غير هذا من الحاجات, فهي حاجات جزئية ثانوية ناتجة اصلاً عن قصور اذهان اصحابها عن فهم وظيفة الاولياء الحقيقية في الوجود.

نستطيع ان ادركنا هذه الحقائق السابقة ان نفهم بعض المقولات التي يرددها اهل الفن مثل ان الكيميائي يصبح جزء من ورق التجربة او ان الصمت هو احد اركان التجارب الكيميائية او غير هذا من العبارات. وهي كلها تعود الى ان الكيميائي هي عملية بداية تخليق للأشياء بعد ارجاعها الى مبدأها الاول وهو حالة الفوضى الخلاقة, ثم توفير وعي جديد يكون الكيميائي فيه هو الشاهد عليه بحيث يستطيع ان يسير في التجربة بمراحلها الصعبة حتى الوصول الى النتيجة المرجوة منها.

لحظة كلام واحدة قد تؤدي الى تغيير في الوعي للكيميائي او انصراف ذهنه عن تجربته في مراحلها المهمة مما يؤدي الى اختلاف نتائجها. لذلك يميل الكيميائيين الى العزلة دائماً والصمت والتأمل والصلاة والتضرع والذكر, وكل هذا لتحسين (شهادتهم) على عملية الخلق التي يجرونها في دوارقهم التي تمثل الجزء الاسفل من الوجود المقابل لما هو اعلى.

ممکن لك ان تفهم الان بشكل اكثر عمقاً احاديث جاءت عن الاولياء عن اهمية الصمت مثل (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) او (اشاعة الامر قبل استحكامه مفسدة له) وكل ذلك ناتج عن ارتباط الصمت بحالات الوعي الكامل والتركيز العميق الذي يؤدي الى خلق حقيقي مادي او معنوي ان أحسن استخدامه.

لنعود الان الى ما كان في الاعلى. شاهد واحد هو الروح الالهية او الوعي الالهي او الكيان المكلف بإجراء الشهادة الاولى وبدء كل شيء. ومشهود واحد هو الغمر العظيم الخلاق المنفتح على كل الاحتمالات. من هذان الموجودان اللذان هما بحق ابوا الوجود الحقيقي حدث النظام الاول ثم تفرعت الانظمة شيئاً فشيئاً حتى الوصول الى لحظة الوجود هذه التي تنطوي على ملايين ملايين الانظمة المشتقة من النظام الاول الذي حدث في لحظة الشهادة الاولى. تخبرنا فيزياء الكم ان في اللحظة التي تختفي فيها المراقبة تعود المادة الى سلوك مسلك الطاقة المجردة ويختفي النظام المادي مباشرة. اي ان كل نظام من هذه الانظمة الجزئية التي نختبرها يومياً يحتاج الى شاهد الهي موجود دائماً معه كعلة لبقاء النظام فيه. ولو شئنا التحدث بلغة الفلاسفة لجاز لنا ان نضع علة اخرى للوجود اضافة الى العلة الاربعة التي تناقشها الموضوعات الفلسفية ولنسميها العلة (الشاهدية) التي هي وجود (الشاهد) الالهي الذي يعطي (للمشهود) نظامه الداخلي الذي هو عين وجوده, اذا تذكرنا ان الفرق بين اول وجود وبين لحظة عدم من قبله هو النظام.

كل مشهود سواء كان صخرة في ظلمات البحر او حبة في السماوات او الارض او شجرة او حيوان او الخ هو نظام كامل معقد, ودارسي علوم الطبيعة هم الادري بدرجات تعقيد هذه الانظمة الطبيعية. ووفق هذه النظرة الجديدة ستكون كل الموجودات الحية وغير الحية مفتقرة في وجودها (الذي هو نظامها) الى ذلك الشاهد الالهي (الاب الواحد) الذي لا يجب ان يخلو منه الوجود ولا لحظة واحدة, لأنه هو علة الوجود (الشاهدية) والذي بشاهدته على الشيء الاول (الغمر العظيم) (المشهود) الذي هو علة الوجود (المشهودية) سيظهر الوجود من عدم.

وفق هذا التقسم سيتم الغاء كل العلل النظرية التي سطرها الفلاسفة في بحوثهم, والتي كانت نتيجة تأمل عقلي مجرد منفصل عن الواقع, وابدالها بعلتين فقط هما الشاهد الاول (العلة الشاهدية) والمشهود الاول (العلة المشهودية).

بعبارات اخرى نقول ان العلة وراء وجود اي موجود هو المادة الاولى غير المشكلة (الفوضى الخلاقة) والشاهد الالهي الذي يقوم بمشاهدتها بوعيه.

وهذا يستلزم كما تبين وجود هذا الشاهد دائماً وعدم غياب وعيه ولا لجزء من الثانية والا لزال الوجود من الوجود. وذلك يستلزم الايمان ضمناً بوجود الامام المفترض الطاعة وفهم اهميته الحقيقية ووظيفته (الكونية) الخطيرة. وهذا الفهم اسمى بكثير من الفهم الطفولي لوظيفة الائمة عليهم السلام المنحصرة بالتشريع الديني او الكشف العرفاني غير المستدل على مصدره.

الائمة عليهم السلام هم الشهود على الوجود واحداً بعد الآخر ولا تخلو منهم حقبة من الزمن, بل لا يكون هناك لا مكان ولا زمان بدونهم, وحتى مفردة (امام) تستبطن المقابلة امام شيء اخر (ومشاهدته) ضمن معانيها الكثيرة. الائمة عليهم السلام هم علة الوجود الشاهدية. وكل موجود يدين بوجوده لهم ومضطر اليهم وهم مضطرين فقط الى خالقهم ذلك المحتجب عن كل فهم وادراك (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ , بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ).

القبول بهم عليهم السلام قبول بالوجود وهو قبول بالخير بالضرورة باعتبار الوجود خير في مقابل العدم, والقابل المحب لهم والمتعلق بهم قابل بالنظام وقابل بالخير في معناه الباطني العميق منذ لحظة الخلق الاولى وهو بذلك انسان صالح ومحسن في جوهره ولو جاء بالمواقبات. والرافض لهم عليهم السلام رافض للوجود ورافض للنظام والخير, واقف في موقف مضاد للطبيعة والوجود منذ لحظة الخلق الاولى وهو بالتالي انسان متعلق بالفوضى وقابل للعدم, فهو انسان شرير في جوهره وان جاء بالحسنات.

وهذا هو المعنى الباطني المجرد لثنائية الوجود والعدم او قل -بعد كل ما تقدم- النظام والفوضى. وهي ثنائية يصنعها الشهود على المشهود الاول وهم اهل البيت عليهم السلام وبشهادتهم يتحول العدم او الفوضى الخلاقة الى وجود او نظام, كما ان بحجب شهادتهم يتحول جزء من الوجود او النظام الى فوضى مرة اخرى. عملية الشهادة الوجودية هذه المكونة للوجود فهما منها شيء من السطور السابقة وتبقى عملية الحجب المؤدية الى الفوضى تحتاج الى شيء من البيان سنرجئه الى فصل قادم.

القانون الهرمسي الثاني: قانون القطبية (الاستقطاب):

نعتقد هنا ايضاً ان قراءة كتاب حبة الرمان قد تكون مفيدة جداً للفهم الصحيح للموضوع.

المتتبع لنصوص الايام الاولى من الخلق يجد ان هذا البحر الاول او الماء العظيم قد تم شقه الى نصفين في اول عمليات الخلق الذي قام بها الروح الالهي الذي كان طافياً فوقه والذي هو الوعي الاول او الشاهد كما شرحنا سابقاً. احد نصفي الماء الاول اصبح سماء والنصف الثاني اصبح ارض. عندها كان هناك اول مفهوم للقطبية او الاستقطاب او الاضداد المتكاملة. السماء كانت تمثل او اصبحت تمثل المبدأ الذكري او الفعال او الذي يبدأ التأثير، والارض اصبحت المبدأ الانثوي الاول او المبدأ المنفعل او المتلقي للتأثير. وكل واحد من المبدئين قد اخذ صفاته وخواصه وسماته.

قبل هذه الخطوة الاولى، اي في اللحظة او الزمن الذي كان مازال كل شيء على حالته الاولى على شكل غمر عظيم لم يكن هناك اي اثر لأي نظام وكان كل شيء يموج في بعض ومفتوح على كل الاحتمالات، في اللحظة التي تم فيها الفصل كان هناك اول نظام. وهو النظام الذي نشأ من وضع كل شيء في محله سواء في النصف الذي اصبح سماء او في النصف الذي اصبح ارض. ثم كان هناك حاجز بين المائين يمنعهما من الاختلاط (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ).

قلنا سابقاً ان المرحلة قبل الفصل الى نصفين لا يمكن ان نطلق عليها مرحلة وجود حقيقي لأن الوجود الحقيقي يستلزم الكينونة والكينونة تستبطن النظام، حالة الفوضى الخلاقة لا يمكن ان يطلق عليها مصطلح وجود وان كانت ليست عدم بالمعنى المتعارف وانما عدم بالمعنى الجديد الذي بيناه في الموضوع السابق وهو الافتقار الى النظام، اما عدم المطلق فهو موضوع فلسفي خارج نطاق بحثنا وان كان حتى الفلاسفة مختلفين في (وجوده).

بينما في المرحلة اللاحقة بعد ان تم الفصل (والبين) الى مبدأ فعال واخر منفعل دخل عدم مرحلة الوجود واصبح كائن. لذلك يعلم الخيميائي ان اخر مرحلة ممكن ان يرجع اليها المادة هي مرحلة الاستقطاب الثنائي او حالتي المبدئين الذكري والانثوي، اما فوق هذه الحالة فلا تعود للمواد التي يستخدمها في تجاربه من وجود اصلاً بل تخفي امامه بلا امل في الرجوع.

اي ان صفة الوجود تستلزم ضمناً صفة القطبية ووجود الضد النوعي. وكل موجود يجب ان يكون له ضد نوعي والا انتفت صفة الوجود عنه, وهذه نقطة معرفية مهمة تلقي بظلالها على معنى وجود الله تعالى الذي لا ضد له نتركها للمختصين بعلم الالهيات.

اذن حالة الاستقطاب بين المبدئين هي اول حالة وجودية ممكن ان نطلق عليها (عملياً) صفة الوجود وممكن ايضاً ادراكها والتعامل معها, وهذا يستلزم الحفاظ على حالة توازن بين المبدئين هذين اذا ما اردنا الحفاظ على وجود الموجودات او وجود الوجود اذا صح التعبير.

ادراك حالة التوازن هذه مهم جداً قبل القيام بأي نشاط خيميائي على اي مستوى من المستويات. وادراك حالة التوازن هذه يعني ان تكون فوقها او خارج عنها لكي تستطيع ان تراها. هذا الادراك للتوازن الكوني يعني -فيما يعني- ادراك الكثير من المفاهيم المعرفية الاخرى مثل معنى العدل الالهي وسبب وجود الشر في العالم وحقيقة وجود الشيطان ودرجة الحرية او الاستقلال التي يتمتع بها كل موجود من الموجودات ومنها الانسان وموضوع الجبر والتفويض والعلاقة بينهما وغيرها من المواضيع الفلسفية المهمة التي ما خاض فيها الخائضون الا لنقص في ادراكهم لحالة التوازن الكوني هذه التي تستلزم وجود ثنائية قطبية في اول لحظة للوجود كان بها الوجود وجود.

ادراك حالة التوازن الكوني هذه لا يمكن ان يتم باي طريقة من طرق التحصيل العلمي العادية, وهي مرحلة من مراحل التكامل المعنوي (تفاريث) يصل اليها الانسان خلال رحلته المعنوية تجعله في موقع وجودي يشرف على ما في الاعلى (من اعلاه) وما في الاسفل (من اسفله), وتسبقها مقدمات منها التخلص من الانا او جزء كبير منها خلال عملية صعبة لا تخلو من الالم والعناء والبلاء (راجع كتاب حبة الرمان).

ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب ان الوصول الى مرحلة تفاريث هي المقدمة الاولى والاخيرة لمن اراد ان يسير في طريق تعلم علم الخيمياء الحقيقي وان عجز عن طلاء مسمار بغبار الذهب, وان لم يسمع حتى بعلم الخيمياء, وان غير الواصل الى هذا الموضع التكاملي ليس بخيميائي وان حول كل رصاص الارض الى ذهب.

ادراك التوازن الكوني وادراك معنى القطبية الثنائية للوجود هي ادراك لكل المعاني الباطنية اللازمة للوصول الى التوحيد ورؤية العدل الالهي عياناً ورؤية الجمال الكوني والتناغم البديع بين طرفيه, ادراك يجعل كل ما ترى من ظاهري الالم والعذاب والمعاناة

وانتصار الشياطين الظاهري على الاولياء والقتل والجوع وكل المعاناة الانسانية جزء من سيمفونية الهية رائعة باهرة جميلة ليس امامك الا ان تقول عندها وانت في خضم اقصى درجات الالم والمعاناة (ما ارى الا جميلاً).

هذا التوازن الوجودي او الميزان بالتعبير القرآني يستلزم اولاً قطبين منفصلين ولكنهما متصلين ايضاً. هذا الجزء الفاصل الواصل بينهما هو ما عبر عنه القرآن بصورة الرحمن الخيمائية بالبرزخ, وهو جزء خفي من الوجود لا ينتمي الى الضدين ولكنه يجمعهما معاً دائماً (بمكان واحد) من جهة, ويمنعهما من الاختلاط والعودة الى حالة الفوضى (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) من جهة اخرى. انفصال احد القطبين عن الآخر هو فساد كوني وعودة الى العدم واختلاطهما معاً هو فساد كوني وعودة الى العدم.

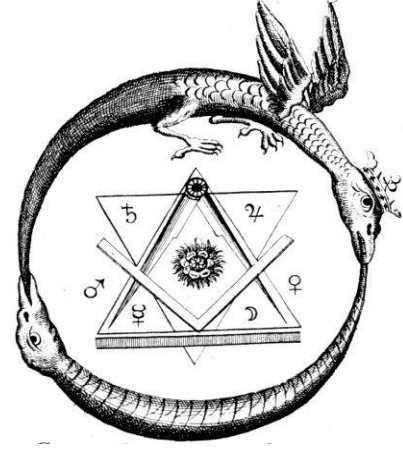
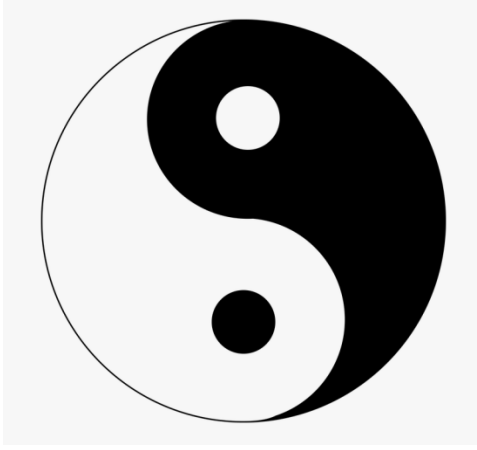
اذن الميزان الكوني يتكون من ثلاث اجزاء, القطبين مع البرزخ, وبوجود هذا الميزان تتشكل النواة الاولى للكون والوجود الذي سيظل محتفظاً بقطبيته حتى الوصول الى ادق اجزاءه, ولتلاحظ معي اعجاز سورة الرحمن ذات الايقاع الثنائي القطبي من اول السورة الى اخرها, فقط في الجزء الذي يذكر الميزان تجدها تترك الايقاع الثنائي لتذكر مفردة الميزان ثلاث مرات من دون كل المفردات الاخرى (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ, أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ, وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ), مفردة الرحمن بدورها تشير اشارة خفية الى الموقع التكاملي (بيناه) والذي يعني الفصل او البين اي الاستقطاب الثنائي بالمعنى الخيميائي للكلمة (راجع حبة الرمان).

وسنأتي على اهمية هذه الوصية الالهية للخيميائيين (أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ, وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) في حينها ان شاء الله.

من الناحية العملية فإن الرجوع بالمادة الى هذه الحالة المستقطبة الاولى صعب جداً وشبه مستحيل, وامهر الخيميائيين واكثرهم دراية يرجع بالمادة الى مرحلة اقل مستوى بكثير من هذه المرحلة الوجودية المتقدمة كما سيتوضح تباعاً.

ترد في كتب الخيمياء المعتمدة العديد من المصطلحات لوصف حالتها الوجود الاولى هاتين منها مصطلح الروح السماوية لوصف الطاقة الذكرية الفاعلة ومصطلح الملح السماوي لوصف الطاقة المنفعلة او التنتين الطيار والتنتين الثابت او غيرها من المصطلحات الاخرى التي يتفنن الخيميائيين احياناً في التعطيم عليها باستخدام مصطلحات بعيدة كما هي عاداتهم. ولكن اهم مصطلح ورد لوصف هذه الحالة الاولى المستقطبة هو مصطلح الاوروبوراس كما في الصورة اذ يشير التنتين المجنح الى المبدأ

الذكرى الاول والتين الثابت الى المبدأ الانثوى الاول او سمهما السماء والارض او ادم وحواء او اى اسم اخر مناسب.



من الرموز المهمة الاخرى المرتبطة بهذه المرحلة الوجودية المبكرة من الخلق هي الدائرة النائية المشهورة المتكونة من نصفين متداخلين احدهما ابيض والاخر اسود وفي كل جزء منهما نقطة تمثل احتواء كل منها على نفس ما يحتوى الاول من الصفات لأنهما من مبدأ واحد وتدل ايضاً على تكرار الامر في مستويات مختلفة من الوجود ومعاني اخرى كثيرة.

قبل ان نتابع التسلسل في الخلق الاول ارجو التذكير ان ما نتابعه هنا هو نوع من الطاقة الكونية المجردة التي دخلت تواء الى حيز النظام وبذلك اكتسبت صفات اخرى غير الصفات الروحانية المجردة التي كانت تتصف بها في السابق. اى اننا نتعامل مع طاقات الكون في لحظة ولادته وليس اشياء مادية، والتشبيه المادي في الوصف هو لقصور اللغة عن وصف هذه اللحظات الالهية الاولى لا اكثر.

العناصر الاربعة:

المرحلة الثانية من الخلق الاول بوجود الشاهد الاول الاب الواحد القديم هو انقسام اخر يحدث للماء الاول بعد انقسامه الى مبدئين.

ومن اجل ضبط الازدهان ومنعها من الزلل الى الوهم يجب ان نؤكد دائماً اننا ما زلنا تماماً خارج اي مكان او زمن او مادة, وكل الذي حدث هو تحويل فوضى كونية (ما) لا يصدق عليها وصف الوجود الى ما يصدق عليه وصف الوجود بوساطة شاهد الهي ازلي اضفى عليها (الفوضى الاولى) نظام اولي.

المبدآن الاوليان انقسما مرة اخرى الى قسمين ليتكون لدينا هذه المرة اربع اقسام للوجود المجرد المتعالي الخارج من اي قيد مكاني او زمني.

هذه الاقسام الاربعة هي ما كان يسمى قديماً وما زال بالعناصر الاربعة المشهورة او الطبائع الاربعة وهي النار والهواء والماء والارض. ويجب ان لا ينصرف الذهن ابداً الى فهم خاطئ لها بسبب تسميتها التشبيهية بعناصر الطبيعة المعروفة بسبب القصور اللغوي المشكلة الازلية لكل علوم الباطن. اذ لا علاقة ابداً لهذه العناصر بأي شيء محسوس او ملموس او مدرك حتى بالعقل المجرد. والادراك الوحيد الممكن لها هو ادراك حضوري قلبي لا غير.

المبدأ الاول الطيار او الفعال او الذكري انقسم الى النار والهواء, اما المبدأ الاول الثابت او المنفعل او الانثوي فقد انقسم الى الماء والارض (التراب). يجب ان لا يتبادر الى ذهنك ان الانقسام المقصود هو انقسام عددي او هندسي بحيث تكون مجموعة الاجزاء المتكونة منه هي نفس الكل الاصلي. الانقسام الذي حدث هو تحول او انعكاس او تسافل لتعالي المبادئ الاولى, ونواتج الانقسام هي وجودات اقل روحانية (واسفلية) في درجة المبادئ الاولى. وهي بذلك اقرب الى التماثل المادي مما هو اعلى منها.

المبدأ الناري هو اخف العناصر الاربعة الجديدة هذه واقربهم الى حالة التعالي الاولى المتولد منها وهو بذلك اشرفهم منزلة واقربهم الى السماء او الروح المجردة وهو ناتج من انقسام المبدأ الذكري. الهواء هو الجزء الاخر الناتج من انقسام المبدأ الذكري وهو اقرب الى حالة النار من حيث الشرف والمنزلة وان كان اقل منها مرتبة. ويمكن للهواء بالتكامل الخيميائي التحول الى النار, كما يمكن للنار بالتسافل الخيميائي ان تتحول الى هواء. كلا هذين القسمين يحتفظان بسمه الميل الى التصاعد الى الاعلى والتسامي

والتعالي والرجوع الى السماء. وقد اختيرت التسمية والاصطلاح عليهما بالنار والهواء بسبب هذه الصفة نفسها التي يمكن ان نشاهدها بالنار والهواء الطبيعيين. النار بمجرد ان توجد تتصاعد بقوة وعنف الى الاعلى وتختفي تماماً من الوجود المادي, اما الهواء فيتصاعد ايضاً الى اعلى ولكن بدرجة اقل ولا يختفي تماماً. وهناك صفات اخرى كثيرة متطابقة بين النار والهواء السماويات ومقابلتهما الماديات كان قد وضعها الخيميائيين لتسهيل الادراك والفهم باستخدام المبدأ المعروف (ما في الاعلى يكون في الاسفل).

الماء كان احد نواتج انقسام المبدأ المؤنث الاول, اما الجزء الاخر فقد كان التراب, وكل ما قد شرحنا عن المبدأين السابقين ينطبق على هذين ايضاً. والماء هو الاشرف بينهما لأنه يشبه الهواء تقريباً بالشفافية والسيولة (الميوعة بحسب اصطلاح الفيزياء) ولكنه يتجه الى الاسفل بدل الاعلى ويميل الى التسافل بدل التسامي. والتسافل هنا ليس منقصة وانما ميل الى التمظهر المادي المحسوس اكثر من سابقه.

الارض او التراب هو اثقل او اكثف العناصر الاربعة وميله الشديد نحو التمظهر المادي يجعله القاعدة لتمظهر كل شيء اخر فيه, وهو يستقر في ادنى رتبه من مراتب التكامل المعنوي. وهناك اراء كثيرة عن هذا العنصر منها انه هو نفسه عالمنا الارضي او الارض بالمصطلح الباطني الذي يشير الى كل ما هو مادي محسوس ملموس, وعليه تكون كل الكواكب والنجوم والمجرات التي يمكن مشاهدتها هي ارض. اي ان الباطني يعتبر الارض اي كوكب او اي نجم محيط بهذا الكوكب الذي نعيش فيه بالإضافة اليه طبعاً. وبهذا المعنى ستكون لفظة سماء تعني العناصر الثلاث الاخرى.

وهذا التقسيم الوجودي متبع في النظام الكباليستي, ويسمى العوالم الاربعة بدءاً من اعلى عالم الذي يمثل النار وصولاً الى ادنى عالم الذي يمثل التراب. وللدقة نقول ان الكبالا تعتبر العالمين العلويين النار والهواء سماء لها جزئين جزء مدرك وهو الهواء وجزء غير مدرك وهو النار, وتعتبر ان الماء هو الرسول او العالم الاوسط او الرابط بين السماء والارض, اذ انه يستطيع ان يحلق الى الاعلى بالتسامي والتبخر ويستطيع ان ينزل الى الاسفل بالتقطير حسب ما سيأتي. وتعتبر ان التراب هو عالم الطبيعة المحسوس بكل تفاصيله, والذي يعتمد على العوالم الثلاث الاخرى في وجوده ويتداخل معها.

مهما كان الامر عليك ان تتذكر ان ما تختبره يومياً من نار او هواء او ماء او تراب هو مجرد انعكاس (اسفل) مشوه بشدة لما هو في الاعلى والحقيقة ولكن لا سبيل لمعرفة ما في الاعلى الا بمعرفة ما في الاسفل فحاول ان تتدرب على هذه الحقيقة لأنها الحقيقة المفصلية في كل عالم الخيمياء.

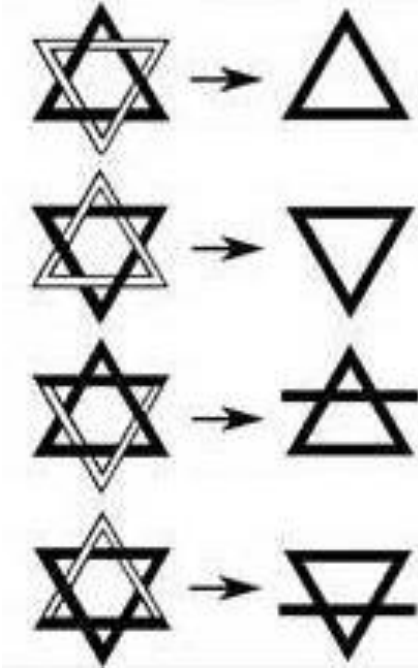
في الصورة تظهر رموز هذه العناصر الاربعة وكيف ان تداخلها يولد ما يعرف بنجمة داوود, وهو اهم رمز خيميائي وفيه معاني قد يصل شرحها الى كتاب كامل او على الاقل فصل وسنشير الى بعضها خلال صفحات الكتاب.

من اسم الرمز وارتباطه بالنبي داوود ممكن ان نستشف ارتباطه بالخيمياء باعتبار ان النبي داوود عليه السلام هو اهم الخيميائيين الحقيقيين الذي مارسوا الخيمياء التطبيقية العملية المعروفين خلال التاريخ (قَدِّر في السرد), ثم جاء من بعده سليمان ابنه ايضاً.

احد معاني هذا الرمز هو حجر الفلاسفة الذي يعني القيام بتصحيح نسب العناصر في موجود من الموجودات. اي التلاعب بالميزان الاول الذي على ضوءه كانت حصة هذا الموجود من الطاقات الاصلية. التلاعب بالميزان هو وقوف مباشر بالضد امام الكيان (معاد) او معات بحسب اسمها الفرعوني وهذا الكيان هو المسؤول عن التقدير واعطاء كل موجود حقه من العناصر الاربعة بدقة عالية وبعدل كبير. الوقوف بالضد من معاد والتلاعب بميزانها ليس بالأمر السهل ولذلك جاء التحذير الالهي في اول اسطر سورة الرحمن الخيميائية. (ونصح بشدة بالرجوع الى كتاب حبة الرمان لفهم دقائق الموضوع).

على ان التلاعب بميزان معاد ليس بمستحيل, بل ان وجود الاولياء والانبياء من الناحية الخيميائية هو لتصحيح او تبديل نسب معاد ولولا ذلك لما كان هناك نجاة لاحد من البشر ولا مغفرة ولا تسامح. ولكن هذا الامر يحتاج الى تصريح من رب معاد قبل ذلك, والا فان سيفها القاطع سيضرب رؤوس المتجرئين بقسوة لن يجد لها الكون مثيلاً.

هذا الضرب بسيف معاد يظهر في عالمنا على شكل المصير المؤلم الذي حاق بالكثير من ممارسي الخيمياء بدون دراية نظرية مسبقة او بدون تصريح حقيقي من اصحاب العلم الحقيقيين. لأن اغلب الخيميائيين ينجرون بسرعة وراء بريق الذهب لينخرطوا في ممارسة الخيمياء التطبيقية والتلاعب بالميزان الكوني قبل استيفاء الشروط الباطنية لذلك, فيستحقون بذلك غضب معاد وقسوتها معهم.



يرمز للعناصر الاربعة دائماً بالمثلث متساوي الاضلاع سواء كانت قمته للأعلى او للأسفل. المثلث بدوره رمزية مهمة من رمزيات الخيمياء وهو يشير -فيما يشير- الى العالم الاوسط. اي المنطقة الوجودية الوسطى بين العالم المادي الكثيف وبين العالم السماوي المجرد. فهم الرمزية بشكل دقيق ايضاً (كما هو حال كل علوم الباطن وبالاخص الخيمياء) يحتاج الى قلب وليس عقل وهو اوسع من ان تحويه الكلمات, ولكننا ممكن ان نقول ان المثلث باضلاعه المتساوية يمثل الابعاد الوجودية الثلاث التي تم الفراغ من خلقها ولكنها لم تتصل بعد بالبعد الرابع وهو الزمن ولذلك فهي ما زالت خارج الزمن وبالتالي فهي خارج المكان المادي المحسوس الذي يكون الزمن دالته دائماً او يكون هو دالة الزمن (الدالة هنا المعنى الرياضي للكلمة). وسنشرح الامر اكثر من الناحية الفلسفية في الموضوع القادم.

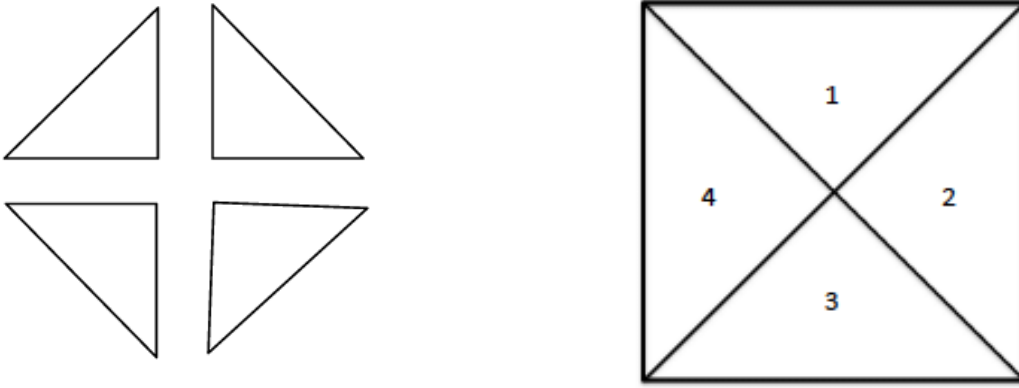
المهم ان نعرف ان الرمز الموحد للعناصر هذه يشير الى انها في الحقيقة شيء واحد وانما امتازت بعضها عن بعض بموقفها من المبدأ الذكري والانثوي اللذان سبقاها في الوجود بخطوة واحدة فقط. النار تحاول ان تتجه نحو السماء (المبدأ الذكري) وتتحد معه بسرعة, بينما الهواء الذي يحمل ايضاً رمز مثلث متجه الى السماء ولكنه يحتوي الى خط اضافي يشير الى امتناعه عن الامتزاج مع السماء بشكل كامل مرة اخرى.

الماء مثلث نازل الى الارض (المبدأ الانثوي) وعدم وجود خط اضافي يشير الى قدرته على اختراق الارض والتغلغل فيها وتغييرها, بينما التراب يحتوي مثلثه النازل على خط اضافي كإشارة لعدم قدرته على التغلغل والاختراق.

ومن الجمع بين العناصر يتكون لدينا رمز النجمة السداسية التي هي رمز لكل الكائنات التي تحتوي العناصر الاربعة في داخلها وكذلك هي رمز لتداخل عالم اللاهوت في عالم الناسوت كما يعبرون وغير ذلك من الاشارات الاخرى الكثيرة جداً والعميقة جداً.

الظل والامتداد:

لنعود الى الخلق الاول (في الاعلى), وبعد ان تم الفصل في المرحلة الثانية وتكونت العناصر الاربع من نفس المبدئين الاولين, كانت هذه العناصر نقية وغير مختلطة احدها بالآخر وفي نفس الوقت غير مفترقة احدها عن الاخر, اي انها كانت في (مكان) واحد ولكن بدون تداخل واختلاط, اي لم يتكون بعد رمز النجمة السداسية الذي يشير الى تداخل العناصر واختلاطها وامتزاجها مع بعض, لذلك سيكون الرمز المناسب هو ان تضع المثلثات احدهما قرب الآخر بدون تداخل ليتكون لديك مباشرة رمز المربع.



لاحظ كيف ان علامة الضرب وعلامة الزيادة تكونت مباشرة لديك بمجرد جمع المثلثات مع بعضها, وفي الحقيقة ان عملية الضرب في الحساب هي عملية جمع لمجاميع ولذلك فهي عملية زيادة او جمع اخرى لا اكثر.

علاقة العناصر الاربعة بالزيادة والنقصان جوهرية. اذ ان الزيادة او الكثرة خيميائياً هو تلاعب في هذه العناصر المكونة للاشياء. وما حجر الفلاسفة او الحجر المتكامل او الاورورا كما يعبرون الا مادة ذات توازن دقيق جداً بين هذه العناصر بحيث تصبح الزيادة والكثرة نصيب كل ما يمسه سواء معدن او كائن حي.

هناك مصطلح اخر متداول في الخيمياء متعلق بالزيادة هو مصطلح الاستزراع او الزراعة ويقصدون به معاملة كل شيء كما يتم التعامل مع الزراعة للنباتات وهو تحويل بذرة واحدة الى اضعافها المضاعفة بواسطة التعامل مع عناصرها الاولى المكونة لها.

تشير مصادر الخيمياء الى ان اقصى مضاعفة تمت على ايدي امهر الخيميائيين المعروفين كانت مائتي مرة بقدر البذرة الاولى التي تمت مضاعفتها بينما يشير القرآن

الى ان قوانين التضاعف والزيادة تصل الى سبعمائة مرة للمادة الاولى التي يجري عليها التضاعف الكيميائي (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ , وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ , وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

النقصان من وجهة النظر الكيميائية هو ان يتم رفع احد هذه العناصر الاربعة من الموجود مما يؤدي الى موته او فناءه المباشر اذا كانت قد حانت ساعته او ان يتحول جزء من احد العناصر الى العنصر المفقود ليسد النقص الحاصل في البناء (الظلي) لهذا الموجود مما يكون المظهر له اما مرض او نقصان في البركة او الجذب او التصحر وغيرها من المظاهر وكل ذلك قد يحدث نتيجة التلاعب غير الخبير في الميزان الباطني بأيدي العابثين غير المهرة.

عالم العناصر الاربعة قبل تداخلها هو ما يسمى عالم الظل وهو العالم الاوسط الذي نوهنا عنه قليلاً في هذا الكتاب وكثيراً في كتاب حبة الرمان. وعالم الظل عالم كامل عظيم له قوانينه ومظاهره وكائناته ولكنه عالم غير متداخل, اذ ان كل عنصر من العناصر ما زال نقي ومتمايز بنفسه, وهو عالم بلا زمن او على الاقل ان زمنهم يختلف في مفهومه عن زمننا هذا الناتج اصلاً عن الحركة الناتجة عن وجود اجسام كثيفة مادية تنتظم بعلاقة جاذبية بين بعضها البعض.

في عالم الظل هذا يوجد مفهوم المكان ومفهوم الوجود بالرؤية الفلسفية التي نفهمها, والوجود نوهنا عنه سابقاً بأنه النظام المنبثق من الفوضى التي هي العدم الكيميائي. اما المكان فهو مفهوم الامتداد المترابط دائماً مع الوجود. حتى في منطق الفلسفة العادية المتداولة يقول اكثر الفلاسفة بأن صفات المادة الجوهرية هو الوجود والامتداد فقط اما باقي الصفات (كاللون والمذاق والثقل وغيرها) فهي عرضية ان صح التعبير متعلقة بانعكاس هذه المواد على الحواس.

اذن في عالم الظل تحوز الموجودات صفة الامتداد بعد ان حازت صفة الوجود بالمرحلة السابقة. والامتداد يستلزم فهم المكان والجهات بالضرورة. اذ ان الاشياء الممتدة يكون امتدادها في مكان (ما). والقارئ المدقق لأساطير الخلق يجد ان فكرة الجهات الاربعة مرتبطة مباشرة بالعناصر الاربعة كل عنصر مرتبط بجهة من الجهات الاربعة الكلاسيكية المكانية التي تشير اليها البوصلة العادية. الهواء للجنوب الشمال للتراب والشرق للماء والنار للغرب وهكذا.

لضبط الازدهان وعصمتها من الشطط نعيد ونقول ان الجهات المقصودة هنا جهات جوهرية باطنية علوية لا علاقة لها ابدأ بالجهات الارضية المعروفة وان كانت بعض صفات الاخيرة منطبقة على الاولى بحسب قانون هرمس المعروف.

ذكرنا في كتاب حبة الرمان علاقة هذه الجهات برمزية الكعبة ورمزية انشاء نظام معين في الفصل الخاص ببطاقة الامبراطور فراجع.

اذن عالم الظل او العالم المتكون من العناصر الاربعة قبل امتزاجها مع بعضها هو عالم له مكان وليس له زمان. والموجودات فيه تمتد وتأخذ حيز مكاني ولكن ليس بمفهومنا عن المكان والامتداد.

الان لاحظ معي هذا النص المقدس (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا). لاحظ كيف ان ربط النص بين المد (الامتداد) وبين الظل او عالم الظل الذي ينبثق منه مفهوم الامتداد لأول مرة. ولاحظ اشارة النص الى ان الشمس هي الدليل عليه. وهذا المعنى كان مفهوم جداً للحضارات السابقة التي تفهم الشمس على انها بوابة بين عالم الاشياء المادية وهو عالمنا المعروف وعالم الظل او عالم الالهة الذي يقع في الجهة الاخرى للشمس (طبعاً ليس جهة مكانية)، لا بل ان كل عالم من العوالم الاربعة تكون له بوابة تفصل بينه وبين العالم التالي، هي احدى الشموس المعروفة والتي كانت نجمة الشعرى احدها.

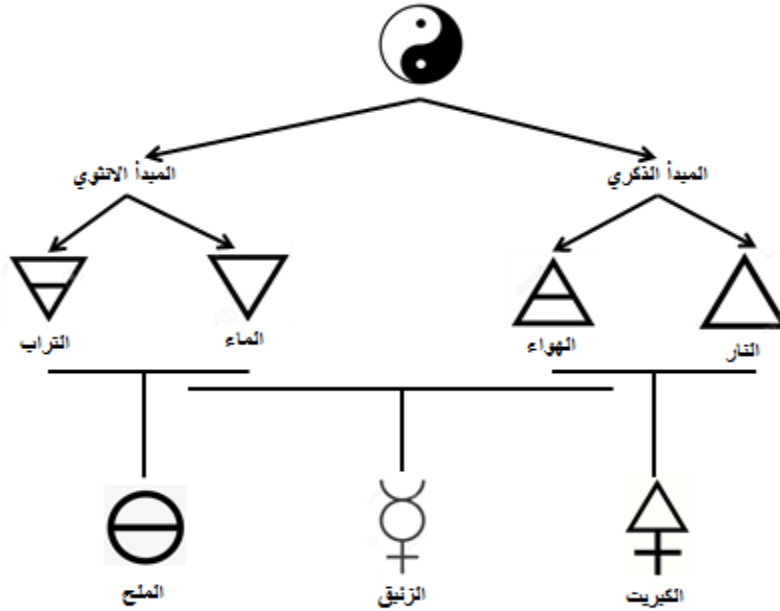
من وجهة نظر الخيمياء فما يكون تحت الشمس هو عالم المظاهر المادي وهو العالم الناتج من تداخل العناصر الاربعة مع بعضها بنسب مختلفة تطبع كل كائن ارضي بأطباع خاصة وسمات معينة. اما ما هو فوق الشمس فهو عالم الظل وهو العالم الذي يتكون من نفس العناصر قبل تداخلها وهو خارج الزمان الارضي المعروف.

الان لاحظ دقة النص وكيف انه يجعل السكون هو الضد النوعي للامتداد وليس ضد الحركة. الحركة التي تستلزم استغراق زمن طال او كثر لا وجود لها في عالم الظل وهي من مختصات عالمنا الظاهري. وحتى ضمن نطاق الفلسفة الظاهرية فإن الحركة يرجعها البعض الى الحواس ايضاً وليس الى جوهر المادة المقتصر (خيميائياً) على الوجود والامتداد. وقد نقف في كتاب اخر على تفصيل الفلسفة الخيميائية بتوسع اكثر اذا شاء الله وسنكتفي بالإشارات فقط في هذا الكتاب. بقي ان نشير الى ان نص اخر في القرآن يصرح ان هذا الظل او احد اجزائه مكون من ثلاث شعب فتأمل (ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ).

الاسس الثلاث او المبادئ الثلاث (الثلاث عناصر):

سندخل الان الى اول لحظة من لحظات الاختلاط والتمازج بين العناصر الاربعة سابقة الذكر. هذا الاختلاط والتمازج هو النواة التي يتكون منها هذا العالم المادي المحسوس الذي نعيش فيه. يحدث هذا الخلط في موقع حدي بين العالم المادي والعالم غير المادي، والخيمياء تعتبر الشمس التي نراها في السماء وتحديداً في الجزء المقابل لعالم الظل هو المكان الذي يحدث فيه هذا الخلط والتمازج، لتقذف نتائج هذا التمازج من الجهة الاخرى منها، اي جهة العالم المادي المحسوس.

نتائج هذا الخلط هي ثلاث مكونات ما زالت محتفظة بخصائصها المتعالية السماوية ولكنها اقتربت بشكل كبير من عالم المادة واصبحت تمتاز بكل صفات المادة الاخرى وان كانت ما زالت غير متصفة بإمكانية اعتبارها شيء واحد متعين. اي انها ما زالت تنتمي الى عالم الكليات وليست الاشياء او المصاديق.



هذه الكيانات الثلاث هي ما يطلق عليه الخيميائيين اسماء الاشياء المقابلة لها في بعض الصفات من اجل الاستيعاب مثل الكبريت والزئبق والملح. ونكرر ان هذه المكونات او العناصر الثلاثة لا علاقة لها لا من بعيد ولا من قريب بمقابلاتها (السفلية) الا من باب اتصاف هذه المقابلات ببعض الصفات المشابهة لما (في الاعلى) بحيث اصبحت

امكانية لأطلاق نفس التسميات عليها. اي ان الامر ما زال خارج نطاق التسمية الشيعية كما هو الامر مع العناصر الاربعة المكونة لها.

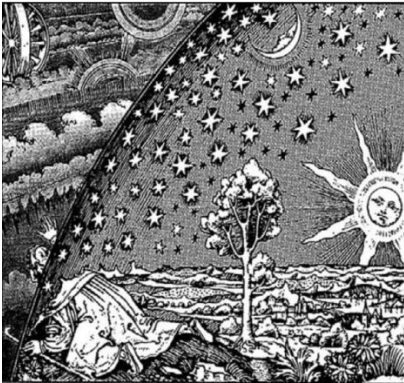
بحسب الرؤية الخيمائية فأن اي موجود مادي مكون في الاساس من هذه المبادئ الثلاث او العناصر الثلاث, التي هي بدورها كانت نتيجة الاختلاط بين العناصر الاربعة الظلية.

الخلط بين النار والهواء نتج عنه الكبريت الخيميائي, والخلط بين الماء والتراب نتج عنه الملح الخيميائي, والخلط بين الهواء والماء نتج عنه الزئبق الخيميائي.

نحن نقف الان في اهم منطقة وجودية, لأنها الموضع الذي يقترب فيه العالم الروحاني المجرد مع العالم المادي الثقيل. اقتراب يصل احياناً حد التداخل بين العالمين والامتزاج الكامل بينهما. وهي منطقة عمل اغلب الخيميائيين, لان المنطقة فوقها (منطقة العناصر الاربعة او عالم الظل) عصية بشكل كبير على الفهم الكامل الذي يؤهل صاحبه للتلاعب به, وان كان لبعض الخيميائيين محاولات عديدة شجاعة للعمل في منطقة الظل ولكن للأسف انتهت اغلبها بالفشل الذريع او سوء العاقبة والمنقلب.

منطقة الظل هي منطقة عمل الخيميائيين الحقيقيين الالهيين وهم فقط من يمتلكون اسرارها ومفاتيح فهمها والتلاعب بها وبذلك فهم وحدهم المؤهلين لتحقيق (العمل العظيم) وهو مصطلح خيميائي يشير الى افضل نتيجة خيمائية ممكن تحقيقها وسيأتي الكلام عنها في حينه.

منطقة المبادئ الثلاث لا تخلو من صعوبات ايضاً ولكن فهمها وادراكها متاح شيئاً ما لأنها كما قلنا في منطقة الحد الفاصل بين عالم الظل وعالم المادة الثقيلة. ولو رجعنا قليلاً الى الصورة التي ادرجناها في اول الكتاب قبل المقدمة ستجد كيف ان الرسام جعل الخيميائي الراكع في هذا الموضع الوجودي بالضبط تخرج عصاه قليلاً وتتخطى حدود عالمه المادي لتصل من رأسها الى منطقة عالم الظل, وهذه من الصور الجميلة والدقيقة التي تشرح معاني عظمة بدون لغة ولا كلمات على طريقة (لغة الطير) التي سنفرد لها فصل اخر من الكتاب.



جزء كبير من عالم العناصر الثلاث ممكن ادراكه بالحواس العادية او بالأجهزة المختبرية المعروفة ولذلك فالتعامل معه اسهل بكثير من التعامل مع العوالم العلوية كما قلنا, ولكنه اصعب بكثير من التعامل مع المواد او الاشياء العادية بالطرق العادية لأنه ما زال عالم يحتوي على الكثير من التجريد والتعامل معه يحتاج الى الكثير من الفهم والادراك القلبي لا العقلي. ما زال الارتباط مع الوعي والعقل الباطن موجود بقوة في هذا العالم وما زالت الروحانيات لها الدور الحاسم في انجاح او افشال التجارب ولكن اصبحت الظروف المعملية مشابهة نوعاً ما للكيمياء العادية او الفيزياء او الاحياء وغيرها من العلوم.

المقصود من الملح الخيميائي هو القاعدة المادية الثقيلة التي تحمل كل شيء فوقها. اي هو الجسد المادي او الارض او النسيج الذي يكون حامل لغيره. او هو الجزء المنفعل المتأثر والذي يستطيع التكاثر والتضاعف. الملح هو العذراء الام والانثى التي يأتي منها كل شيء وهو البوابة للعالم المادي, بل هو كل العالم المادي الظاهر المحسوس. وهو الجزء الذي تعترف به العلوم المادية الاخرى وتتناوله بالبحث والاختبار, وكل الاجهزة العلمية التي طورت خلال السنين كانت للتعامل مع هذا الجزء فقط من الوجود. والانسان وكل الكائنات والموجودات الاخرى لابد ان يدخل هذا الملح في تكوينها لكي تستطيع التواجد في هذا العالم المادي. والملح في النصوص المقدسة هو الطين الناتج من خلط الماء بالتراب. وهو الجزء الانثوي من الموجودات.

الكبريت الخيميائي هو الروح الالهية او النفخة الاولى التي نفخها الله في الكائنات, وهو الجزء الفعال من الموجودات ويمثل الوعي والذكاء والارادة وكل الموجودات تشترك في وجوده فيها (من وجهة نظر الخيمياء) الا ان الانسان كان صاحب النصيب الاكبر منه وهو ما اهله ليكون صاحب اقوى ارادة حرة من بين جميع الموجودات الاخرى, هذا النوع من الارادة يؤهله حتى ان يقف موقف معاكس من ارادة الله احياناً وان كان لا يستطيع اختراقها بأي حال من الاحوال. هذا الجزء من الموجودات هو الجزء السماوي العصي على الحواس او الاجهزة المختبرية وان كان من الممكن جداً دراسة واستشعار مظهره مثل مشاعر الغضب وغيرها التي من الممكن دراسة انعكاساتها العصبية مثلاً بأجهزة خاصة.

هذا الجزء من الانسان هو ما يجب على الخيميائي تطويره ضمن الارادة الالهية لأنه الجزء الذي يمكن للإنسان به الارتفاع عن المادة الى منطقة يمكن له من خلالها تغييرها, والسيطرة عليها واخضاعها. لأنه كما اسلفنا الجزء الذكري الفعال من

الموجودات وتطويره وامتلاك ناصيته يجعل صاحبه فعال اكثر والموجودات من حوله منفعة به وخاضعة له وتابعة, وستجد لو اطلعت الكثير من الاساطير والقصص الرمزية عن خضوع الوحوش مثلاً للأولياء وعدم مساسهم او كما حدث لداوود بعد ان خضعت له الطبيعة واصبح سيدها وذكرها (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا , يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ , وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ).

اما الزئبق الكيميائي فهو النفس, وهي المنطقة الوسطى بين ما في الاعلى على مستوى الموجودات وهو الروح وما في اسفلها وهو الملح. ويتمثل في الانسان بقواه النفسية وقوى اللاوعي والذكاء القلبي والادراك الباطني, وهذا الزئبق الكيميائي هو نفسه رمزية الرسول الذي ذكرناه في بدايات الكتاب والذي يمثل هرمس او ثوث او نابو في الحضارة الرافدينية. اهمية هذا الجزء هو انه الجزء الوحيد الناتج من خلط جزء من المبدأ الذكري وهو الهواء مع جزء من المبدأ الانثوي وهو الماء, لذلك فهذا الجزء هو الرابط الحقيقي بين ما هو في الاعلى وما هو في الاسفل, وهو الذي يمكن به اجراء الكثير من التجارب العملية تكون احدى موادها نارية والاخرى ترابية. وسيتوضح الكثير من الامر في اجزاء الكتاب القادمة.

مهمة الخيمياء هي ضبط نسب العناصر الاربعة بواسطة التلاعب بالمبادئ الثلاث. لعدم القدرة على التلاعب بالعناصر الاربعة مباشرة. مثلاً اذا اراد خيميائي ما ان يزيد نسبة العنصر الناري في موجود من الموجودات فإنه اولا يجب ان يحدد الجزء الذي يمثل الروح فيه لأن عنصر النار موجود مع الهواء في الجزء المسمى الروح من الموجود. زيادة الروح ستعني زيادة النار كما هو مطلوب ولكن مع زيادة الهواء ايضاً. اذن سيحتاج بعدها الخيميائي الى ان يقلل الهواء الزائد هذا بالاعتماد على تقليل الزئبق الذي يمثل النفس وعندها سيقبل الماء ايضاً ويجب ان يعوضه وهكذا.

يمكن للعناصر الاربعة ان تتحول من العنصر الى الآخر القريب منه بطرق خاصة جداً وصعبة ولكن بالنسبة لعنصر الماء وطريقة تحوله الى هواء ثم نار وبالعكس فإنها وان كانت ليست بالسهلة ولكن محسوسة ويمكن ان يدركها الخيميائي بقليل من المهارة.

بشكل عام زيادة الروح التي هي الوعي الالهي بالنسبة للانسان سيؤدي تحولها الى ماء الى زيادة قوة الحياة فيه والتي تتحول هي الاخرى الى ملح وهو ما يعني زيادة القوة الجسدية ومقاومة البيئة المحيطة. والعكس ايضاً صحيح اذ ان قلة الوعي الالهي في الانسان ستؤدي الى تحويل جزء من الماء اليه من اجل الاستمرار في الحياة مما يعني

اضعاف طاقة الحياة في الانسان وبالتالي اضعاف جسده. الماء او النفس او الزئبق الخيميائي هو الرسول بين الروح او الكبريت وبين الملح او الجسد وهو الذي يحول احدهما الى الاخر بميزان باطني متأثر بالكثير من الاشياء التي قد يكون من الصعب ذكرها في هذه الوريقات.

لكن يمكننا ان نشير اشارة الى ان الزئبق الخيميائي الذي من مظاهره في الانسان النفس والوعي الباطن والذكاء القلبي وفي الانسان والحيوان قوة الحياة والصحة والنمو، وفي الطبيعة الماء وكل خصائصه المهمة هو اهم جزء بالنسبة للخيميائي، لأنه كما اسلفنا الجزء الرابط بين الجزئين والذي يمتلك خصائصهما معاً وبذلك سيكون هدف اي خيميائي في معمله او داخل نفسه.

الماء السماوي او طاقة الحياة المجردة قد يرمز لها احياناً بالبطل اطلس الذي يحمل العالم المادي على كتفيه. وهذه الطاقة او الماء السماوي او الزئبق الخيميائي متأثرة بشدة في البيئة المحيطة بها. اذ انها تكتسب طاقة الكواكب والنجوم والشمس والقمر التي تنتمي خيميائياً الى عنصر الروح وتنقلها الى الاجساد التي هي الملح الخيميائي. لذلك ارتبطت الخيمياء قديماً وحديثاً بالتنجيم وعلم مواقع النجوم لأن الاخيرة هي مصادر الروح بالنسبة للخيمياء والتي لا بد منها لأي خيميائي معلمي او نفسي او روحاني. والمخطوطات والنصوص الخيميائية مليئة بالطرق العملية التي تربط عملية خيميائية ما بوقت معين يكون فيه الشمس او القمر او احد الكواكب في موضع محدد من الفلك.

على ان الخيميائي الحقيقي الذي يركز على التحول الباطني لديه سيستغني سريعاً عن طاقات السماء الدنيا بعد ان يكتشف ان كل شيء كان في داخله من البداية (اتحسب انك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الاكبر).

الممالك الثلاث:

من وجهة نظر الخيمياء فأن كل شيء حي في الطبيعة ويمتلك جسد ونفس وروح او قل ملح وزئبق وكبريت.

بالنسبة للعلم الطبيعي فيقصر الحياة على المملكتين الحيوانية والنباتية وما يشابههما ويخرج المعادن والاحجار من نطاق الحياة. اما الخيمياء فتدخل المعادن والاحجار وكل شيء في نطاق الحياة وتتعامل معه على ذلك. والتطور هو عبارة عن ترقى موجود ما

في مدارج الكمال وخوضه مراحلہ ابتداءً من اخس الاشياء وانتهاءً بافضلها. وهذا التطور او الشرف بالمصطلح الكيميائي هو عبارة عن انتصار الكبريت على الملح. او انتصار الروح على الجسد. كلما كانت كمية الكبريت او الروح اعلى في موجود من الموجودات كلما زادت درجة ترقيه وقربه من السماء وهو الموضع الذي يحتله الانسان الان. وكلما قلت درجة الكبريت او الروح في موجود من الموجودات كلما تدنت مرتبته الوجودية. وكل الموجودات خاضعة لهذا القانون حتى المعادن والاحجار التي تكون كريمة بقدر امتلاكها لهذه الطاقة السماوية الروحانية او طاقة النار والتي تظهر على شكل نظام في الطبيعة في مقابل الفوضى. لذلك ترى ان الاحجار الكريمة تتشكل جزيئاتها بكريستالات دقيقة التنظيم كانعكاس لهذه الحقيقة العلوية.

اذن الكيمياء تؤمن بالتطور وتؤمن ايضاً بالتسافل, والكيميائي يعتقد ان الطبيعة هي الكيميائي الاكبر ومهمتها تحويل ما هو خسيس الى ما هو نفيس وفق قوانين غاية في الدقة والخفاء وان كل شيء سينتهي الى الكمال المطلق عاجلاً او اجلاً, وما يفعله الكيميائي في مختبره ليس الا استخدام هذه القوانين الخفية بعد فك شفراتها لتسريع عملية التكامل والتطور الطبيعية هذه لغايات خاصة شريفة او متسافلة.

عملية التسريع هذه تحيلنا الى موضوع الزمن من وجهة النظر الكيميائية. اذ ان الكيمياء لا تنظر الى الزمن مثل ما ننظر اليه. اذ ان الزمن المعروف لدينا ليس زمن حقيقي قائم بذاته بل هو عبارة عن دالة للمكان لا اكثر. مثلاً عندما تقول انك ستفعل امر ما غداً, فانك تشير في الحقيقة الى المكان الذي ستفعل ذلك الامر فيه. اذ ان غداً تعني ان كوكب الارض سيدور دورة كاملة حول نفسه وصولاً الى نفس النقطة السابقة وانه سيدور حول الشمس جزء من 365 جزء اخر ليتغير مكانه وفقاً لهذه الحركة وان الشمس ايضاً ستتحرك حركة ما وكذلك كل الكواكب والابراج. اي انك في الحقيقة تحدد موقع ما وليس زمن ما.

اما الزمن من وجهة النظر الكيميائية فهو الزمن الجوهري الداخلي الكامن في الاشياء, وهو يعبر عن درجة تكاملها وسيرها في طريق الكمال. ومظهر كل موجود وخصائصه هي مقاييس الزمن الحقيقي عند الكيميائي وفي ضوئها يحدد كيفية التعامل معها.

مثلاً يعبر الكيميائيين احياناً عن غازات معينة بأنها تختزن الكثير من (الزمن) وهذا رمز عن هذه الغازات اصبحت كثيفة نوعاً ما او اكدت من باقي الغازات ولذلك فأنها

تحتاج الى عمليات اضافية لأجل تحريرها واطلاقها. او ان سائل ما قليل الزمن, اي انه يتحول الى غاز بشكل اسرع من غيره. اي ان اختزان الزمن هو مرور مدة كافية لموجود من الموجودات بحيث استطاع خلالها تحقيق التحول من حال الى حال. هذا التحول سواء كان في يوم او في الف عام سيكون الموجود المتحول قد حاز على نفس الزمن (الجوهري) بغض النظر عن (الوقت) الذي لزم لذلك.

امتلاك موجود ما للزمن يجعله اكثر ثبات واكثر مقاومة للتحويلات المتسافلة واكثر استعداداً للتحويلات المتعالية, والموجودات الشريفة كالذهب مثلاً تمتلك كل الزمن الخاص بها ولذلك فهي قد وصلت الى اعلى قمة تكاملية تنتمي الى عالمها واصبحت بذلك عصية على التسافل.

بالنسبة للإنسان فإن اختزانه للزمن الحقيقي يعني مباشرة الخلود والخروج تماماً من قيد دورات الموت والحياة وهو ما يسعى الكيميائيون الحقيقيون اليه. اما المشتغلين بالكيمياء العملية وخصوصاً الدخلاء منهم فهم يلاحقون وهم انتاج مادة تجعل من يتناول منها خالد بجسده وليس بروحه, وهو الحلم الذي راود كل المشتغلين بالكيمياء منذ اقدم العصور وجل نجاحهم كان في انتاج مواد التحنيط فائقة الفعالية التي حفظت جثث موتاهم من البلى لألوف السنين. اما امتلاك ناصية الزمن الحقيقية فهي من مختصات الاولياء اصحاب الزمان الحقيقيين والموكلين بعملية التكامل الكيميائي لكل البشرية.

الفصل الثاني:

منطق الطير.... لغة الخيمياء السرية...

طوبى لمن لم يذق سم الفلسفة .. ولم ينحرف عن تعليم الانبياء.....

القديس افرام

منطق الشيطان:

قيل قديماً ان الشيطان يكمن في التفاصيل, وهذا تعبير على مستوى عالي من الرمزية. اذ انه بما ان الشيطان يكمن في التفاصيل, سيكون (الرحمن) اذن كامن في الرؤية الكلية للأشياء. وهذه المقدمة البسيطة هي محور كل ما نريد ان نقوله في هذا الفصل.

كل العلوم والمعارف المتداولة في عصرنا الحالي الممتد من حقبة القرون الوسطى الى اليوم وان اختلف في بعض ميزاته الا انه يستترك في ميزة واحدة لم تتغير على الدوام, وهي انه يتعاطى مع الوجود بطريقة تحليلية تفكيكية. ستجد هذا الامر ماثلاً امامك بوضوح في العلوم الطبيعية التي تقوم اساساً على التجريب في كل المجالات. والتجربة ما هي الا وسيلة العلم التفكيكية لاستنتاج الطبيعة. اذ يعتمد الباحث العلمي في اي مجال من مجالات العلوم الطبيعية الى عزل الموضوع الذي يريد ان يدرسه عن باقي البيئة الخارجية التي ينتمي اليها ثم تصميم تجربة ما بحيث يتلاعب بنوع واحد فقط من الظروف (او انواع قليلة ولكنها منفصلة عن بعض), ثم يسجل النتائج ويحللها بالطرق الاحصائية المعروفة ليستخرج منها نتائج (واقعية) تمثل فعلاً واقع هذا الشيء المدروس وهو في حالة الانفصال عن البيئة المحيطة.

حتى ان اهم الاعتراضات التي وجهها ولها لم ريتش ذلك الطبيب الغريب الى المنهج التحليلي للعلوم هو انه منهج ميت يدرس اموات منعزلين ومدفونين في توابيت الدوارق ومقابر المختبرات. حتى ان علم الخلية كله مستمد من (حقائق) كانت نتاج تجارب اجريت على خلايا ميتة حصراً, اذ ان الخلية لا يمكن ان توضع تحت المجهر لتصبح مشاهدة للعيان الا بعد تصبيغها بصبغات خاصة يعرفها العاملان في هذا المجال, هذه الصبغات تقتل الخلية من البداية, ثم يعتمد الى تثبيت حركتها بواسطة شمع خاص قبل ان توضع تحت المجهر ليتم دراستها. فتخيل معي سعي اناس لدراسة حقيقة الحياة واصلها وهم يعمدون الى قتلها في اول لحظة من لحظات هذه الدراسة.

كل علوم الحياة (البيولوجي) التي تدرس في المدارس والجامعات والمعاهد العلمية اعتمدت في الاساس على تجارب اجريت على خلايا ميتة منعزلة عن بيئتها المحيطة ومثبتة بالشمع المذاب. وكل علم التشريح وعلم وظائف الاعضاء (الфизиولوجي) كان يتناول الجثث الميتة والمقطعة في دراساته. وحتى بعد التطور الكبير الحاصل في العلوم والقدرة على التصوير الفوتوغرافي والسونار فما زالت دراسة (الحياة) بدون ايقافها قبل ذلك وعزلها عن محيطها امر صعب المنال.

حاول هذا العالم الهمام سابق الذكر ولهالم ريتش (رحمه الله) كسر هذه النمطية السخيفة وتغيير هذه المنهجية الخاطئة بتقطيع اوصال الشيء المراد دراسته وقتله من البداية, اذ حاول بناء مجهر ذو قدرة تكبيرية كبيرة جداً تصل الى احد عشر الف مرة (اقوى تكبير في المجاهر المعروفة يصل الى الف مرة) وبتفاصيل اخرى توهله لرؤية الخلايا بدون قتلها وتصبيغها ودراسة الحياة بشكل حقيقي من مشاهدة الاحياء وليس الاموات, وخاض تجارب كبيرة مهمة في هذا المجال كانت نتيجتها الطبيعية الانخراط في دراسة الخيمياء والابتعاد عن جذب صحراء العلوم الطبيعية الميتة والانتهاك باكتشافات مهمة جداً لم ترق لأصحاب القرار مما جعل نتيجة ذلك الاتهام بالجنون ثم الموت وحرق كل ابحاثه المهمة في هذا المجال.

في الدين لم يكن الامر مختلف جداً, اذ ان اغلب البحوث في اي مجال من مجالات الاديان كانت تفريقية تحليلية تأخذ كل قضية منفصلة عن الاخرى وتبحث فيها وتصل الى نتائج خاصة جداً وكأن الفقه منفصل عن العقائد او عن التفسير والكل منفصل عن اصل الانسان وحقيقته الباطنية. والمشتغلين في العلوم الدينية من اصحاب القلوب التي لم تمت بعد بسبب الاسلوب البحثي الميت هذا يعرفون ويشعرون بعقم الاطروحات الدينية وانفصالها عن الواقع وجذبها وعدم قدرتها على ارواء الظمأ المعرفي الحقيقي للناس, واقتصارها على الاستعراض العضلي للمفاهيم والمصطلحات, كالشخص منفوخ العضلات في صالات الرياضة, العاجز عن النفع والدفع خارجها.

في الفلسفة كان الامر اكثر وضوحاً, لا بل ان المناهج التحليلية في البحث التي اتخذها وتبناها الدين والعلم على حد سواء كانت من اختراع فلاسفة من امثال ديكارت وبيكون وغيرهم. اما في مجال الادب والنصوص والكتابة فقد وصلت هذه النظرة التحليلية التفريقية الى حد النشاز على ايدي دريدا ومن ماثله, بحيث اصبح المعنى يصل الى كل كلمة منفصلة عن الاخرى ومفترقة عنها ولا معنى للنص ككل ولا نية للكاتب في ايصال شيء ما, بل ان الكاتب كان قد مات بعد كتابة النص, ولا وجود الا لعقل القارئ التفريقي التفكيكي, كما كانت الخلية من قبله قد ماتت قبل ان توضع تحت منصة المجهر التحليلي.

لاحظ معي كيف ان المنهج السخيف واحد وان اختلفت الموضوعات, ويمكن تلخيصه بجملة واحدة هي (اعزل الشيء عن محيطه ثم اقتله قبل دراسته), اعزل النص واقتل مؤلفه قبل فهمه, اعزل الخلية واقتلها بالتصبيغ قبل دراستها, خذ جثة هامة وقطع اوصالها بالتشريح وافهم معنى الحياة منها, اعزل الموضوع الديني واقتله

بالمصطلحات العقيمة قبل دراسته, وهكذا على كل الموضوعات في كل مجالات العلم والفلسفة والحياة.

ان نظرة بسيطة تأملية للوجود يمكن ان تكفي لفهم عقم هذا المنهج التحليلي التفكيكي وجذبه وافتقاره الى ابسط قواعد الحس الانساني السليم. فقط انظر الى طريقة كلامك وتصرفك اليومي وانت وحدك مثلاً وقارنها بطريقة تصرفك وانت مع عائلتك وكذلك بطريقة تصرفك وانت بين اناس غرباء. ستجد انك لست نفسك في كل موقف من المواقف وان طريقة تصرفك اختلفت تماماً طبقاً للحالات البيئية التي كنت داخلها.

انظر الى المغناطيس مثلاً كيف انه لو كان بمعزل عن باقي الاشياء ستكون له خصائص معينة يمكن لك دراستها, ولكنك لن تستطيع ابدأ ان تكتشف خواصه الجاذبة الا اذا كان بقربه مغناطيس اخر. لو بقيت الف سنة تدرس مغناطيس منفصل عن بيئته المحيطة به لما امكنك ان تعرف خواصه الا اذا قربته من قطعة حديد او مغناطيس اخر. وهناك الاف الامثلة الاخرى البسيطة جداً والتي تبين عقم هذا المنهج العلمي السخيف, بل ان كل خلية وكل حجر وكل موجود يصرخ وينادي, ان لا امكانية لمعرفتي الا وانا داخل الوجود ومتحد معه ومتفاعل مع باقي الموجودات.

ان الخصائص بما هي خصائص للموجود هي عين علاقته بغيره من الموجودات. خصيصة الجذب للمغناطيس هي في الحقيقة خصيصة جذبه للآخر, والا فان المغناطيس المعزول عن بيئته لا يجذب شيء ابدأ. وخصيصة الخلايا هي في علاقاتها مع محيطها, والا فهي كتلة بروتوبلازم ميتة وفاقة للحياة من البداية ولا تشير الى الحياة الا من طرف باهت بعيد. ومعنى الكلمة يجب ان يكون في سياق الجملة ولا معنى للكلمات (الا معنى من طرف باهت بعيد) وهي متقطعة ومنفصلة عن نصوصها.

المنهج التحليلي التفكيكي يتعاطى مع الوجود بتقطيعه وعزل مواضعه احدها عن الاخر وهو يدعي انه يلاحق الحقيقة. ومواضعه اما ان يكونوا اغبياء من الاساس واما ان يكونوا قد ارتبطوا بعهد الدم مع الشيطان. والا كيف يستمر هكذا منهج لمئات السنين وهو واضح الغباء والسخافة والبطلان؟.

لكن ما نريد ان نشير اليه هنا هو ليس المنهج التحليلي التفكيكي في الحقيقة, وان كان الاخير هو الصورة المظهرية للحقيقة التي نريد ان نبينها. ما نريد ان نشير اليه هو منطق التحليل والتفكيك وليس المنهج العلمي له.

منطق التحليل او منطق رؤية الجزئيات اذا صح لنا التعبير عنه بذلك هو توجه نفسي باطني ناتج اصلاً عن عدم النضج المعرفي بالمعنى الباطني للاصطلاح. هو رؤية طفولية للوجود تعتمد على رؤية الجزئيات والانغماس الكلي فيها بدون القدرة على استخراج المعنى الكلي من وراء هذه الجزئيات الكثيرة.

كالطفل الذي لا يستطيع فهم معنى الواحد او الاثنان او الثلاثة الا اذا ارите تفاحة واحدة مثلاً او تفاحتان او غير ذلك من الاشياء التي يستطيع ان يختبرها بحواسه, ثم شيئاً فشيئاً يستطيع ان يصل الى قدرات وقابليات عقلية تؤهله الى ان يفهم معنى الواحد او الاثنان او اي معنى مجرد اخر بدون الحاجة الى رؤية الجزئيات والكثرات.

قصر المنهاج المعرفية على التعامل مع الجزئيات في كل المواضيع الوجودية هو تأصيل وترسيخ لبقاء هذه الرؤية الطفولية للوجود والتي لن ينجم عنها اي تقدم تكاملي او ترقى للإنسان, وسيبقى فيها قابلاً في قعر ادنى مستويات الوجود مكبلاً بسلاسل الكثرات, عاجزاً عن ادراك الكليات التي هي هدفه الاسمى والخطوة الاولى له في طريق عودته الى السماء.

منطق الطير, منطق الرحمن:

(وَوَرِثَ سُلَيْمٌ دَاوُدَ , وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ , إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ).

يفهم اغلب الناس ان المطلوب من هذه الآية هو ان سليمان وداود عليهما السلام كانا قد تعلمتا لغة الطيور. ويستغرق الخيال الطفولي لبعض المفسرين في ادراج قصص واساطير عن علاقة سليمان بالحيوانات والطيور, واهمية لغة هذه الكائنات الضعيفة والمعارف العظيمة التي سيحصل عليها من استطاع فك شفرات لغة النمل او الصراصير.

ان من عاش فترة كافية بين الحيوانات سيستطيع بسهولة كبيرة ان يتعلم (لغتها) اذا كان مصطلح لغة صحيح في هذا الموضع. وهي في الحقيقة مجرد اصوات وحركات تستخدمها الحيوانات للتواصل اليومي فيما بينها. صوت وحركة للتعبير عن الجوع واخرى عند الراحة واخرى عند طلب التزاوج وحركات اخرى واصوات للتحذير من الخطر وغيرها. وهي تتكرر يومياً بشكل كبير, ويمكن لأي شخص ان يفهمها اذا قضى شهر او اقل مع اي صنف من اصناف الحيوانات. لا بل يستطيع ان يستخدمها لزيادة انتاج الحيوانات الزراعية او اي غاية اخرى. ولغة الحيوان ليست لغة يتعلمها الحيوان من بيئته المحيطة مثل اللغات الانسانية, بل هي جزء من خلقه وصفاته, مثل لونه وشكله المحدد سلفاً بواسطة الجينات. ولو وضعت دجاجة مثلاً منذ اول يوم فقسها مع الخراف لما تعلمت المعجمة, بل لأصدرت نفس النقنقة التي تصدرها اي دجاجة اخرى عاشت وماتت بين الدجاج. وهناك علم كامل حديث نسبياً يسمى علم سلوك الحيوانات يدرس هذه (اللغة) البدائية ويضع لها ما يشبه القوانين. ومن يحوز فهم معين لها لا يمكن ان يعتبر نفسه بأي حال من الاحوال قد حاز على نوع من المعرفة العظيمة بحيث يخرج على الملأ ويفتخر بنفسه لأنه تعلم لغة الدجاج ويقول ان هذا لهو الفضل المبين.

سيأتي من يقول ان لغة الحيوان ليست هذه الاصوات التي يطلقها وانما هي لغة اخرى تسبيلية لا نفقهها, وغير ذلك من الاقوال التي يمكن تفنيدها بسهولة لو ان هذا كان هدف الكتاب من البداية.

ان مشكلتنا الازلية هي مع الاطفال ذوي اللحي, أولئك الذي ما زالوا يعيشون في عالم الجزئيات والكثرات والتفاصيل المملة ولكنهم بسبب الغرور المتأصل في نفوسهم (وهو

من صفات الاطفال ايضاً) يتصدون لما لا يعرفون ويخوضون فيما لا يحسنون (فَدَرُّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ).

مصطلح منطق الطير من اقدم المصطلحات الخيمائية التي غطاها النسيان واختفت من الكتب, وظهورها في القرآن هو نوع من الاحياء لهذا الاصطلاح القديم المهم الذي يشير الى الطريقة الصحيحة لرؤية الوجود وهو كل متكامل متفاعل مع بعضه البعض. وهي حالة نفسية باطنية قبل كل شيء تجعل صاحبها يصل الى مستوى من التجريد والكلانية والتعالي على الجزئيات بحيث يصبح وكأنه يطير فوقها ويراهها من عل.

يرجع اصل استخدام هذا المصطلح الى حقب مغرقة في القدم وتراه يظهر في الكثير من الاساطير والقصص الرمزية مثل قصة الملك ايتانا والنسر الذي ركبه وحلق به في الفضاء او قصة سلمان الفارسي عليه السلام عندما استطاع ببركة الامام ان يرتفع في السماوات كالطائر حتى انه رأى الارض وكأنها درهم. والمتتبع لهذا الموضوع سيجد عشرات القصص عن اشخاص استطاعوا التحليق في الجو بمساعدة الطيور او غيرها, حتى استطاعوا ان يروا الاشياء وهي بصورة اخرى متداخلة ومتفاعلة وموجودة كلها بصورة واحدة ومشهد متوحد واضح.

المشهد الذي يشاهده الطائر وهو يحلق في اعلى الجو هو صورة كلانية شمولية (من اعلى) لما هو (في الاسفل), وهذه الرؤية الفوقية المتعالية هي على العكس تماماً من رؤية الآخرين القابعين بين الجزئيات والتائهيين بين ظلماتها. تخيل شخص يعيش طول عمره داخل غابة كثيفة من الاشجار يتنقل بين اجزاءها. سيظن انه يعرف كل شيء عن هذه الغابة بكل تفاصيلها, ولكن لو قدر له يوماً التحليق فوقها لرأها من زاوية اخرى بحيث سيعرف حدودها الفاصلة ونهاياتها واعلى قمم جبالها وعلاقتها بباقي المناطق المحيطة. بل انه من الممكن ان يشاهد انه لم يكن يسكن سوى ظهر حوت عملاق يطفو فوق سطح الماء لسنين قبل ان يغطس كما جاء في احد قصص السندباد.

رؤية الوجود من عل لا يستلزم التحليق المادي فوقه, ولا يمكن اصلاً التحليق فوق (الوجود) بصورة مادية. انما هو -كما اسلفنا- حالة معنوية باطنية يصل اليها بعض الناس بعد ان تتعاضم قدرتهم على الانتقال العقلي من الجزئي الى الكلي بحيث يصبحون قادرين على فهم الوجود ورؤيته وكأنما هم يحلقون فوقه وخارجين من قوانينه.

وهي حالة الوصول الى فهم كلانية الاشياء وفهم باطن الرموز والاشارات التي تظهر بصورة الجزئيات ولكنها تشير الى الكليات. لذلك تلاحظ النص القرآني يقول بعد ذكر

اصطلاح منطق الطريق عبارة (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) كإشارة الى عالم الكليات (كل شيء)، وهو نفس المعنى الذي يشير فيه القرآن الى نفسه انه (تبييناً لكل شيء)، لأنه عبارة عن كتاب كلاني يتعامل مع كليات الاشياء، وفيه جمع لكل الكليات الوجودية على عكس كل الكتب السابقة التي كانت تحوي حقائق كلية (من كل شيء) وليس (كل شيء)، ولذلك سيكون العالم بكل القرآن عالم بكل شيء وله الحق ان يقول (اوتينا كل شيء) وهي الجملة التي لم يقلها سليمان لأنه لم يصل اليها، وهي من مختصات اهل البيت عليهم السلام تراجمة القرآن والعالمين بواسطته (بكل شيء). اما سليمان المؤتى (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) فله الحق هنا ان يخرج على قومه ويفتخر بأن هذا هو الفضل المبين، وهو حقاً كذلك على عكس من يعلم لغة الدجاج حيث لا يؤهله هذا العلم الا ان يفتح مشروع تربية دواجن ناجح.

الرؤية الوجودية المتعالية هذه على شرفها وفضلها واهميتها ليست الا مرتبة متدنية بالنسبة الى مراتب وجودية اعلى ومستويات اشرف، وهي حتى ليست مما يعلمه الله لأوليائه بشكل خاص، بل هي متاحة لما دون ذلك من البشر او حتى الشياطين. وحتى سليمان نفسه وان كان قد افتخر بان ذلك هو الفضل المبين لم ينسبها الى التعليم الالهي الخاص. والنص القرآني واضح جدا ببنائها الى المجهول (عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) اذ لم يقل النص وعلمنا الله منطق الطير مثلاً واتانا من كل شيء، لدنو هذه المنزلة (على ارتفاعها) من منازل حقيقية مختصة بأولياء الله الكمل كمنزلة الشاهدية مثلاً.

حتى الشياطين والكفرة والضالين قد تكون لهم حظوظ في هذه المنزلة وان كانت في بدايتها لا تكون الا بقطع طريق تكاملي معين، ولكن في هذه المنزلة لا يأمن الانسان من الانزلاق مرة اخرى الى درجات دنيا من التكامل حتى بعد حيازة موقع رؤية الطير المتعالية هذه. واغلب السحرة الحقيقيين والخيميائيين الضالين كانوا ممن وصل الى هذه المرتبة ثم انحرف بسبب اغراءات الذهب والسطوة والمجد ونزل مرة اخرى الى قعر الوجود مع احتفاظه بقدراته التي اكتسبها. بل ان نص مقدس اخر يشير الى ان الملكة التي خاضت مع سليمان في صراعهم التكاملي كملك وملكة خيميائيين كانت ممن حاز هذه المرتبة، اذ جاء على لسان الهدد (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ). لاحظ كيف يشير النص بوضوح الى ان هذه الملكة التي كانت ضالة في تلك المرحلة كانت قد اوتيت من كل شيء حالها حال سليمان، اي انها قد

وصلت الى مرحلة الرؤية الوجودية بطريقة منطق الطير نفسه, وقد تكون لنا وقفة في مواضيع قادمة للتعمق اكثر برمزيات هذه النصوص الخيمائية العجيبة.

اذن منطق الطير هو موضع وجودي يكون الواصل اليه قد قطع مرحلة تكاملية اصبح فيها فوق عالم الجزئيات والكثرات. ويجب ان نوضح ان الجزئيات والكثرات المقصودة هنا اوسع قليلاً من المصاديق التي ينتقل منها العقل الى المفاهيم واوسع ايضاً من الكليات المنطقية او المفاهيم الثانوية الكلية مثل مفهوم الجزئي والكلي. اذ ان كل ما سبق من مصاديق ومفاهيم وكليات منطقية هي جزئيات بالنسبة لمنطق الطير وموضعه المتعالي.

واذا عدنا الى استخدام لغة الباطن نقول ان موضع منطق الطير الوجودي هو بالضبط في اعلى نقطة مما هو في الاسفل وفي اسفل نقطة مما هو في الاعلى. اي في الحد الفاصل الذي يجثو فيه الخيميائي في اول صورة من الكتاب وتخرج عصاه قليلاً الى الخارج. كل ما في الاسفل من عالم الكثرات والجزئيات يختصر لديه في رمز واحد بسيط او رمزين ولكن ما زال كل ما في الاعلى عصي على فهمه والتعاطي معه وان كان في موضع اشرف ما يمكن لمخلوق عادي من الوصول اليه.

من المهم ان نشير ايضاً الى اسمين من اسماء الله الحسنی متعلقين بقوة بهذا الموضع الوجودي وهو اسم الباسط واسم القابض. اذ ان الحركة من الاسفل الى الاعلى او من الجزئيات والكثرات الى المجردات والرمزيات تكون ببركة اسم القابض. اما الحركة من المجردات والرمزيات الى الجزئيات والكثرات تكون ببركة اسم الباسط.

او لنقل ان الخيميائي الحقيقي الرحماني اذا اراد ان يفهم جزئيات الامر من رمزه التجريدي فعليه استخدام قوة اسم الباسط. واذا اراد ان يفهم رمز من الرمزيات العسية عليه من جزئياتها وكثراتها فعليه استخدام قوة اسم القابض, وفي هذه الاشارة كفاية (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ).

كل مرحلة من مراحل الوجود العليا هي قبض لما تحتها من جزئيات حتى ينتهي الوجود مرة اخرى الى عالم العناصر الاربعة او عالم الظل والامتداد الذي هو قبض وتجريد لكل ما تحته من العوالم, وهذا العالم نفسه على تعاليه وتساميه ايضاً قابل للقبض والتجريد, ولكن فقط من قبل نفس الايدي الالهية المباركة التي شهدت عليه من قبل وخلقته واوجدته من عدم الفوضى (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا, ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا).

لغة منطق الطير ومفرداتها:

جاء في الفصل السابق من هذا الكتاب ان لغة السومريين هي لغة حقائق لا لغة اشياء. وقد يعود ذلك الى ان هؤلاء القوم كانوا مازالوا قريبين من حقيقة الوجود قبل ان يتكاثر ويتجزأ وتتفصل عراه. ولذلك كانوا (كما كل الاقدمين) قليلي المفردات والكلمات. اذ تجد ان مفردة واحدة قد تشير الى عشرات المعاني التي يربط بينها رابط مشترك.

وقد سقنا مثال فيما سبق عن معنى الخيمياء باستخدام نفس هذه الفكرة واستنتجنا ايضاً ان معنى اسم العراق القديم (كي ان كي) هو ارض الاشياء الممتدة الى الاعلى، والذي درج اغلب المختصين على انها تعني ارض القصب او ارض النخيل باعتبارها نباتات ممتدة بشكل كامل الى الاعلى. حتى من شذ منهم عن هذا التفسير فقد ذهب الى انها تعني ارض الصواريخ باعتبار ان السومريين (بزعمه) كانوا قد قدموا من الفضاء. والمعنى واحد كما لا يخفى، اذ ان الصواريخ هي اشياء تمتد الى السماء وتتجه اليها دائماً وتأتي منها ايضاً.

اللغة الهيروغليفية كانت ايضاً تستخدم نفس الاسلوب، وان كانت اقرب الى لغة الخيمياء من اللغة السومرية لأنهما معاً استخدمتا الصور الرمزية في التعبير. لكن لغة الخيمياء اعمق كثيراً من اللغة الهيروغليفية لأنها في الاساس ليست لغة وانما صور تصف حقائق ممكن ان تسقطها على اكثر من مجال من مجالات الحياة كما سيتبين، اما اللغة الهيروغليفية فلا تفعل ذلك، وانما هي لغة تخاطب عادية وان كانت ما زالت اقرب الى عالم الحقائق منها الى عالم الاشياء.

اذن اللغة السومرية القديمة هي الاقرب الى اللغة الخيمائية من حيث انها لغة حقائق مجردة، واللغة الهيروغليفية اقرب الى لغة الخيمياء من حيث انها لغة تستخدم الصور في التعبير بدلاً عن الاحرف. ولكن كلتا اللغتين الهيروغليفية والسومرية تصنف على انها لغات حقيقية تستخدم للتخاطب والتواصل اما لغة الخيمياء فهي طريقة تصف حقائق مجردة سامية مازالت متعالية عن عالم الجزئيات والكثرات.

هذه الحقائق المتعالية وبحسب القانون الهرمسي الاول (كما في الاعلى يكون في الاسفل) ستتجسد في عالم الظواهر وتكوّن من تجسدها كل عالم الجزئيات. وهذا التجسد سيتباين من جزئي الى اخر، وبحسب استعداد هذا الجزئي نفسه وقوانين اخرى كثيرة ينتج عنها دائماً انحراف وتشوه عن النموذج الاول للحقيقة المتعالية الكلاسية. والامر اشبه بكهف افلاطون وانعكاس الظلال على الحائط، وان كان الامر اعمق من ذلك

بكثير, اذ ان الظلال في كهف افلاطون ثابتة, كل ظل لحقيقة معينة, اما في الخيمياء فالانعكاسات السفلية ليست ثابتة ابدا بل مختلفة كل الاختلاف. وان حقيقة ما من حقائق العالم العلوي قد تنعكس عدة انعكاسات في عالم النبات مثلاً وانعكاسات اخرى في عالم الحيوان واخرى في البشر واخرى في المفاهيم واخرى في اي عالم اخر من العوالم السفلية الكثيرة. بحيث ان الخيميائيين وضعوا جداول اسموها بجداول التقابلات تضع اشياء متباينة ومختلفة كل الاختلاف عن بعضها البعض في خانة واحدة موضوعة لحقيقة واحدة. مثلاً وضع الزئبق الذي هو معدن مع الماء الذي هو مركب كيميائي او مادة طبيعية مع القمر الذي هو جرم سماوي مع هرمس الذي هو كيان روحاني مع نابو الذي هو اله قديم مع الرسل والانبياء مع طائر ابو منجل في خانة واحدة تعبر عن حقيقة سماوية واحدة. او وضع الرصاص مع بني اسرائيل (المعنويين) مع زحل مع انواع من النباتات في خانة اخرى تمثل حقيقة اخرى وهكذا.

يمكن للخيميائي ان يستخدم اي من الجزئيات التي تنتمي للخانة الواحدة للإشارة الى هذه الحقيقة العلوية ولكن جرت العادة ان يستخدم الخيميائيين احد الجزئيات المشهورة في احدى الخانات للإشارة اليها, وعادة ما تكون هذه الجزئية واضحة الانعكاس او غير مشوهة بشكل كبير عن نموذجها السماوي الاصلي. طائر ابو منجل مثلاً الذي هو مجرد طائر عادي يصطاد الاسماك ولكن شكل ارجله ومنقاره وطريقة التقاطه للأسماك تشير بقوة الى نموذجها السماوي الاول الذي هو عبارة عن قابلية بعض المخلوقات السماوية او الارضية على التعامل مع العقل الباطن المرتبط بالكون وفهم معانيه والقدرة على تحويلها الى كلمات بشرية مفهومة نوعاً ما للناس العاديين.

ولغة الخيمياء الرمزية هي مثل اي لغة اخرى تتطور وتتغير باستمرار نتيجة لمرور الوقت, وقد تتزاح بعض الصور عن المعنى الاصلي الذي وضعت له لتأخذ معنى اخر حالها حال اي لغة اخرى ولكنها وبسبب اقتصار فهمها على طبقة معينة من البشر (او غير البشر) لم تتعرض للتشويه الكبير او التغيير الشديد وحافظت اغلب صورها ورموزها على نفس المعاني الاصلية التي وضعت لها.

لا يوجد كتاب في العالم يعلمك لغة الخيمياء بالطريقة التي تتعلم بها اي لغة اخرى, لأنها لغة العقل الباطن او لغة القلب وتحتاج الى قطع مرحلة تكاملية قبل ان تصل الى فهمها, وستبقى صورها واشكالها مجرد رموز او صور عادية بالنسبة لك اذا لن تصل الى المرحلة الباطنية المعدة لذلك, والتي عندها لن تحتاج الى اي معمل او كتاب وستجد ان المعنى يبرز امامك مباشرة بعد فترة من وقوفك امام الرمز او التمثال او بعد فترة

من رؤيتك له او في المنام بعد ليلة او ليلتين من رؤيتك للرمز المعني. ستجد ان هناك عالم كامل مدفون ومخبأ في داخلك متصل بكل الكون من حولك, وستجد ان الاقدمين تحدثوا اليك بلغة مفهومة بواسطة الازميل, لم يكن هناك من طريقة اخرى لحفظ كلماتها خلال الاف السنين غير لغة الصخر المحفور.

في القادم من هذا الفصل سنحاول ان نشرح معاني اشهر هذه الرموز لكي نتبين فكرة لغة الخيمياء وطريقة التواصل بها فقط, وكنوع من التحفيز لعقل القارئ وتفعيل قدراته المنسية لا اكثر. اما شرح كل الرموز فقد يحتاج الى موسوعة كبيرة, وحتى اذا وضعناها فأنا سنكون قد اسأنا للغاية الشريفة التي من اجلها وضعت الرموز, وهي شحذ العقول واستخراج الافكار الكامنة فيها والمتصلة مع النسيج الداخلي للكون وهي عملية لا يمكن ان تحدث بقراءة الكتب بأي حال من الاحوال.

رمزيات الخيمياء:

فيما يأتي اشارات وتوضيحات لبعض الرمزيات المهمة التي تظهر بصورة متكررة في مخطوطات الخيمياء. والتي بإيضاحها قد نكون وضعنا مفتاح مهم من مفاتيح فهم المخطوطات الرمزية في يد القارئ الكريم, على اننا يجب ان نوضح ايضاً ومن البداية ان السياق الذي تظهر فيه الرموز له مدخلية كبيرة بفهمها, بل ان فهم الرمز لا ينفصل عن بيئته التي ظهر بها, والا نكون قد رجعنا الى نفس المنطق التفكيكي الذي نقدناه من قبل, اذ لا انفصال بين الرمز وبين البيئة التي تحويه فلماذا نسترعي الانتباه الشديد.

رغم ذلك فهناك —كما قلنا— رموز مفتاحية يمكن بشكل او بآخر ان نتعامل معها على انها ثابتة المعنى نوعاً ما, ولا ثبات في بحر الباطن.

1- رمزية الطيور: الطيور بشكل عام تشير الى حالات التسامي والتعالي على عالم المادة في الخيمياء الروحية وتشير الى نفس المعنى ولكن من جهة في الخيمياء العملية او غيرها من فروع الخيمياء. مثلاً الطير الصاعد الى السماء او المتجه الى الاعلى يشير الى ان الروح في طريقها الى الانفصال عن الجسد والعروج الى السماء او ان موجود ما قد وصل الى مرحلة الفهم المتعالية او رؤية الكلّيات من الاشياء او التعالي على جزئياتها, او غير ذلك من المعاني الاخرى المرتبطة بالتعالي والتسامي والتفوق.

في الخيمياء العملية سيكون الطير المرتفع اشارة للخيميائي لأجراء عملية التبخير او التصعيد, او ان المادة المطلوبة تمتلك صفة التسامي الكيميائية (التسامي الكيميائي هو



تحول المادة من الحالة الصلبة الى الحالة الغازية مباشرة بدون المرور بالحالة السائلة مثل تحول الثلج الى بخار مباشرة او تحول الشب الصلب الى بخاره بدون توسط حالة سائلة).

الطير الهابط او النازل يشير الى عكس هذه الحقائق. فهو اشارة الى تسافل موجود وفقدانه لملكاته الباطنية الشريفة او نسيانها مثل ما حدث لادم وحواء في مراحل الوجود الاولى (فُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا

جَمِيعًا). او قد يشير الى حالات التمظهر المادي وتحول الموجود من حالة روحانية بحتة غير مرئية او محسوسة الى حالة مادية او شبه مادية محسوسة بالحواس البشرية العادية. ويظهر هذا الرمز في المخطوطات المتعلقة بتحضير الارواح او استدعاء الشياطين عادة.

في الخيمياء العملية سيكون الطير الهابط اشارة الى عملية التكتيف او التكليل او غيرها من العمليات التي تستوجب من الخيميائي تحويل بخار او غاز الى حالة سائلة او صلبة.

انواع الطيور بحد ذاتها هي ايضاً رموز واشارات وليس فقط حركاتها. الغراب مثلاً هو اهم رمز من الرموز الخيمائية المرتبط بحالة التحلل او التفسخ او اعادة النظام (اي نظام) الى حالة الفوضى الخلاقة الاولى بعد ان يصل الى مرحلة من الفساد لا يمكن معها اصلاحه او ترميمه. والغراب لذلك ارتبط منذ الازل بالموت والدفن والتحلل الجسدي, وكذلك بالخسارة والندم والحزن والكآبة والنحس, وهي كلها مشاعر وحالات مرتبطة مباشرة بتحول الانظمة ورجوعها القهقري الى حالة الفوضى الاولى (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ , قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَ أَخِي , فَاصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ).

الغراب ايضاً مرتبط بشدة بالكوكب زحل وبالمرحلة الاولى من مراحل الخيمياء وبمعدن الرصاص وبنبي اسرائيل (المعنويين) وسيأتي شرح مفصل لكل ذلك في القادم من الكتاب ان شاء الله.

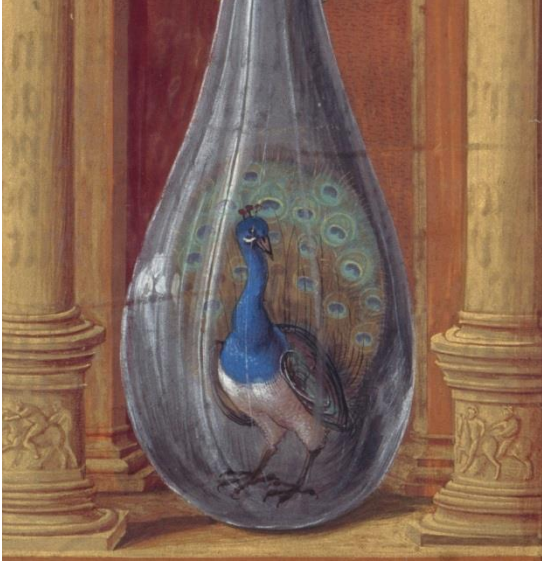
البجعة او الاوزة البيضاء تقف على العكس من رمزية الغراب مباشرة. تشير في الخيمياء العملية الى المرحلة البيضاء او المرحلة الثانية من مراحل التحول الخيميائي وهي مرحلة التطهير والتخلص من الطاقات السلبية بعد ان تم التحلل والرجوع الى حالة الفوضى. (سيأتي شرح المراحل الخيميائية لاحقاً), البجعة ترمز ايضاً الى الروح الالهية الطاهرة النقية التي كانت تطفو فوق ظهر الماء او بحر العماء الاول قبل خلق اي شيء واعطاه صفة الوجود وهي بذلك رمزية مهمة لأولياء الله المقدسين أولئك الذي قاموا بالشهادة الاولى ثم تمظهرت لديهم بشهاداتهم المادية على الصليب او فوق رمضاء كربلاء المقدسة. وسيكون لنا وقفات مع رمزية البجعة في حينه ان شاء الله.

الطاووس او الديك في نصوص اخرى رمز لبداية مرحلة التخمير, وهي مرحلة وسطية بين المرحلة البيضاء والمرحلة الحمراء الاخيرة.

في الخيمياء العملية تكون مرحلة الطاووس او الديك هي بظهور الوان الطيف السبعة وانعكاسها من داخل الدورق ورؤيتها من الخارج. الوان متداخلة زاهية تشبه الوان ريش الطاووس او الديك التي تظهر لماعة وزاهية وذات انعكاسات متداخلة تشبه انعكاسات ريش صدر الحمام ايضاً, اذ لا يمكن تحديدها بلون واحد وتظهر بعدة الوان في كل لحظة ومن كل زاوية. ظهورها هي بشرى للخيميائي بأن دورقه وتفاعلاته تسير في الطريق الصحيح.

ولأن الكون واحد وقوانينه واحدة ستجد ان حتى صانع الخل العادي سيعرف ان مرحلة التخمير قد بدأت وان عمله يسير بالاتجاه الصحيح من ظهور ذباب معروف لديه بذباب الخل يتجمع فوق الحاويات لديه, تكون الوان اجسامه زاهية ولماعة وتشبه الوان ريش الطاووس او الديك.

من وجهة نظر الخيمياء النفسية او الروحية فهذه المرحلة هي مرحلة التخمير الفكري, او قل التحول الفكري والانتقال من مرحلة فكرية طفولية الى مرحلة فكرية ناضجة, تظهر لدى صاحبها على شكل خروج (عنيف او خفيف) عن السائد من الافكار وتلونه بأفكار عديدة مختلفة وحتى متناقضة يكون الالحاد او الكفر او الشك سمات طبيعية فيها. هذه المرحلة لا تخلو من الابداع الفكري, بل انها اكثر مرحلة يمكن ان يكون فيها انتاج فكري ابداعي بغض النظر عن صحته او خطأه. الابداع الفكري هذه هو المظهر الاخر للألوان الزاهية في الخيمياء العملية.



الخمور هي اصلا نتاج توقيف المواد المتخمرة في هذه المرحلة التكاملية من وجودها وعدم السماح لها بالانتقال الى مرحلة النضج فيها وهي تحولها الى خل ذو طبيعة روحانية خيرة. وشرب الخمور هي استئثار لهذه المرحلة النفسية في الانسان ولكن بطريقة خبيثة بحيث يبقى الانسان عالق في هذه المرحلة لفترات طويلة قد يقضي فيها عمره كله.

يجب ان يعرف المتصدي لقيادة الناس او تربيتهم ان طريقة التفكير المشوبة بالشك او حتى الالحاد وحالات تكسير ورفض كل المسلمات والقناعات السابقة هي حالة وسطية قصيرة الوقت وستنتهي الى خير كبير ومعرفة روحانية حقيقية, لذلك عليه ان لا يقف موقف المضاد المطلق او ان يحاول قطع الطريق امام من دخلها بدعوى الحاده او كفره, لأن هذا يعني توقف التفاعل (من وجهة نظر الخيمياء) وعدم الحصول على نتيجة العمل التي هي الذهب الابريز او الخل الروحاني الطاهر.

النسر او العنقاء او في بعض الاحيان يدخل معهما طائر البلشون (وهو نوع من البجع ولكن بحجم كبير) هي رموز لآخر مرحلة من مراحل التحول الخيميائي والتي تسمى المرحلة الحمراء. في الخيمياء العملية تعني هذه المرحلة الوصول الى نهاية التفاعل والحصول على حجر الفلاسفة الاحمر ولكن بحالته السائلة قبل عملية التقطير. اي ان هذه المرحلة تشير الى الخيميائي ببدء مرحلة التقطير لاستخراج المنتج النهائي من الدورق بحالة نقية جداً (سيأتي شرح المراحل لاحقاً).

انسانياً تعني هذه المرحلة وصول صاحبها الى حالة التوازن التي اشرنا اليها سابقاً والتي من اهم خصائصها الوصول الى نوع من النظرة الكلية للوجود والادراك الباطني العميق والفهم السريع للرموز والتسامي والتعالي على عالم التفكير الطفولي.

الواصلين الى هذه المرحلة هم ما اسميناهم بالأوتاد في كتاب حبة الرمان فراجع. وقد يرمز لهم (خارج الخيمياء) بحيوان القنطور او الحصان ذو الوجه البشري او حامل القوس. وهؤلاء قد يحوز اغلبهم او بعضهم على الاقل قدرات روحانية شخصية بدون

مساعدة من اي جهة خارجية سواء من انس او جان, ويبدأون بالتدريج بالتعرف على طريقة التعامل مع وجودهم الجديد وطريقة تفكيرهم الجديدة. وهم من سيكونون الاورورا او حجر الفلاسفة البشري الذي سيرمي به المصلح العالمي في وجه الامم ليحول العالم كله الى ذهب ابريز او فضة نقية.

يرمز لهذه المرحلة (احياناً) بالشمس او الكبريت الاحمر او الملح النادر وقد جاء في المرويات عن اهل البيت ان العدد الكافي منهم هو عشرة الاف وثلاثمائة وثلاثة عشر بحيث تكون كمية الاورورا المتكونة منهم كافية لتحويل كل البشر الاخرين الى مستوى التكامل البشري المطلوب.

يشار احياناً لهم بالعنقاء ذات الرأسين او النسر ذو الرأسين كرمز لوصولهم الى مرحلة التوازن بين الكفتين المادية والمعنوية وقدرتهم على العمل الارضي والتأثير المادي التي اضيفت لها القدرات الروحانية والفهم الباطني, ولذلك فهم ليسوا كقديسي المسيحية المنعزلين عن العالم والمعتكفين عن الحياة الارضية, ولا مثل صيارفة اليهود المتعلقين بالمادة والاموال والحياة الارضية, بل هم حالة متوازنة من الحالتين (رهبان الليل اسود النهار).

هناك رموز اخرى كثيرة متعلقة بالطيور لا نريد الخوض فيها كلها لكثرتها, منها الحمامة التي تمثل الروح النقية الطاهرة والخفاش الذي يشير الى الطبيعة المزدوجة لحالات خيميائية, او لنقل اختلاط الخير والشر في حالة واحدة (حالة باتمان او الرجل الوطواط) او الوصول الى الخير من طريق الشر او الفوضى وغيرها.

هناك ايضاً طيور اسطورية في الخيمياء غير موجودة في الواقع ولكنها ايضاً اشارات

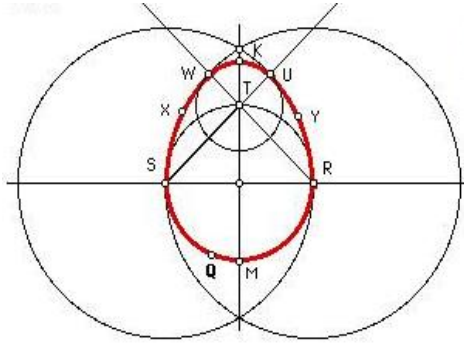


لحالات او عمليات خيميائية, منها ما يسمى بحيوان الباسيلسك, وهو تنين بوجه طائر (وجه ديك غالباً), اذ تقول الاسطورة ان ديك ما كان قد باض بيضة خنثية وهذه البيضة تمت رعايتها بواسطة افعى, ليولد منها هذا الحيوان الاسطوري الذي هو تنين بوجه ديك. وهو من اهم الرموز الخيميائية.



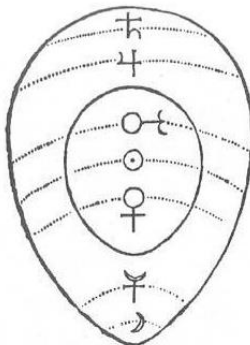
حيوان اسطوري اخر هو الكريفيين وهو حيوان تركبي بجسم اسد ووجه واجنحة نسر، وبييض بيضة مهمة جداً في الرمزيات الخيمائية، وقد تتوضح رمزيات هذين الحيوانين في القادم من الكتاب او قد نتركهما لذهن القارئ.

تبقى رمزية البيضة المرتبطة بالطيور والتي تعتبر ايضاً من الرمزيات المهمة والمتعلقة جداً بسباق الموضوع وبيئة الرمز المحيطة، ولكن بشكل عام يمكن ان تشير الى حالة الاغلاق او الانغلاق او عزل الحالة الخيمائية عن محيطها الخارجي لفترة حتى تصل الى مرحلة معينة.



قد تشير في الخيماء العملية الى ضرورة استخدام الدورق المحكم الاغلاق او ما يسمى بالختم الهرمسي، وهو دورق توضع فيه مواد التفاعل ثم تغلق نهايته فتحتة اغلاق تام بواسطة صهر مكوناتها نهائياً اي ان الختم سيكون لفترات طويلة جداً تصل الى مئات السنين او حتى الاف. وما زالت البعثات الاثرية تكتشف احياناً دوارق مختومة بالختم الهرمسي في التنقيبات الاثرية.

شكل البيضة مهم جداً وهناك ابحاث عديدة تتناول البيضة من الناحية الهندسية، اذ انها اعلى شكل كامل (تام) ممكن ان تصل اليه الموجودات. وهي في حالة دورانها حول موجدتها او سيدها. اذ ان الدائرة الكاملة هي شكل افتراضي ينتمي للهندسة العقلية المجردة. اما الشكل البيضي فهو الشكل الاعلى من حيث التمام



والكمال الهندسي الموجود فعلاً في الطبيعة، حتى مدارات الكواكب حول الشمس تتبع المسار البيضي. كما ان الشكل البيضي مهم جداً في الهندسة الباطنية وهو شكل يجمع كل الاشكال والرموز الاخرى فيه وهو علامة التوازن الهندسي ورمزها الاكبر.

اختار خالق الطبيعة ان يكون الشكل البيضي هو شكل الدورق الذي يقوم بعملية الخلق فيه ولذلك وبحسب القانون الهرمسي الاول فسيكون الكون كله بيضي الشكل لأنه مكان الخلق الالهي ودورقه الكبير. ولا نريد ان نخوض اكثر في شكل البيضة لأن ذلك ليس هدف الكتاب, ولكن فقط نشير الى ان لهذا الشكل السماوي واهمية ادراكه علاقة كبيرة بالتكامل الانساني من جهة وكيفية التعرف على ولي الله الحقيقي وتفريقه عن المزيف من جهة اخرى. ونقول ايضاً ان طريقة الشيطان في التعامل مع الوجود طريقة كروية اما طريقة الرحمن فهي بيضية. ونسأل الله للجميع فتح الازهان والله من وراء القصد.

2- رمزية بعض الحيوانات:

اذن الطيور بشكل عام ترمز الى المبدأ الفعال او الطيار او اي حالة اخرى تنتمي للتسامي او التعالي وما يلحقها من معاني مشابهة.

الحيوانات الارضية على العكس من ذلك, اذ انها بشكل عام ترمز الى المبدأ الثابت او الاقل تسامي او الذي يميل الى الارضية او المادية اكثر.

عنصر التراب الخيميائي غالباً ما يشار اليه بالثور او الاسد. طبعاً نذكر هنا ان التراب هو احد العناصر الاربعة التي لا تنتمي الى المواد المقابلة المعروفة بل هي حالات طاقوية ترددية اذا صح التعبير. الثور هو اقوى الحيوانات من ناحية الجسد والاسد ايضاً كذلك, ولذلك وضعنا كرمز مناسب للمبدأ الترابي, على ان الثور يختلف عن الاسد وقد يشير الى حالة الطاقة السماوية التي وصلت توأ الى مرحلة التمثطر وهي جاهزة للولوج الى الحياة الارضية المادية ولكن تحتاج الى من يوجهها ويسيطر عليها ويوزعها بالعدل على مستحقيها, والموكل بهذه المهمة هو الملك الحقيقي الباطني للوجود. وهو مروض الثور السماوي وماسك الاسد من فمه.

لا تخلو حضارة من الحضارات من اسطورة رمزية يكون الثور او الاسد احد اهم رموزها يتعامل معه بطل من الابطال ويسيطر عليه, ولنا في ملحمة كلكامش مثال جيد على هذا النوع من الاساطير, وقد كنا اشرنا في كتاب حبة الرمان الى ذلك بالتفصيل فراجع.

عنصر الماء قد يشار له في الخيمياء المعملية بالحوت او السمكة, او قد يرتبط هذا الرمز بنوع الافكار الروحانية التي يتم اصطيادها من عالم الروح او العقل الباطن

المرتبط بالنسيج الكوني الذي هو الماء الاول في تمظهره الانساني, وقد كنا اشرنا ايضا في بداية الكتاب الى رمزية طائر ابو منجل المرتبطة بهذا الموضوع.

التنين مرتبط بعنصر الهواء في الكثير من رموز الخيمياء, وقد يرمز احياناً لعنصر النار ايضاً وقد يشار الى عنصر النار بحيوان السلمندر وهو نوع من انواع العظايا الصحراوية (الأرغول او الارول). الثور احياناً يرمز لعنصر الهواء ايضاً وهو في حالاته الاولى قبل اي سيطرة او ادراك. النسر ترمز احياناً لعنصر الهواء وحتى الحمامة في بعض الاحيان وتعتمد هذه الرمزيات بشدة على بيئة الموضوع وسياقه وكذلك تختلف من ثقافة الى اخرى. لذلك يجب معرفة نوع المخطوطة او النص الخيميائي والى اي حقبة ينتمي قبل محاولة فهم معانيه ورموزه بدقة.

ترمز الافاعي بشكل عام الى طاقة الحياة بعد ان تمظهرت, اي مرحلة وجودية بعد مرحلة عنصر التراب. او يمكن ان نعبر عنها انها المرحلة التي تلت سيطرة البطل الالهي على الثور السماوي وذبحه وتوزيعه على مستحقيه. الافعوانان الملتقان على احدهما الآخر هما رمزا الطاقة الذكورية والانثوية والتوازن بينهما الذي تنبثق منه الحياة في الموجودات الحية. وهو نفسه قادوس هرمس او عصا هرمس التي من خلالها يعيد التوازن الى الاحياء بعد ان اختلله. ووضح تمظهر مادي لهذين المبدئين يكون في زوجي شريط الحامض النووي في كل خلية من خلايا الجسم. اللذان هما بحق مبدأ الحياة الارضية لكل الاشياء الحية.

مصطلح الزواج الخيميائي الذي قد تصادفه في مخطوطات الخيمياء يشير الى هذه النقطة بالضبط. وهو وضع الطاقة الانثوية المجردة مع الطاقة الذكورية المجردة في مكان ما معاً (دورق خيميائي اذا كانت الخيمياء عملية) ليحدث التفاعل بينهما والذي ينتج عنه تكاثر الحياة وتجديدها. والزواج الخيميائي سر اسرار هذا الفن ولا يملكه الا صنفان, اما اعلى طبقة من اولياء الله او اعلى طبقة من شياطين الانس والجن. ويمكن فيه احداث كسر كبير لقوانين الطبيعة الصارمة, مما قد يسبب اخلال عظيم في النظام الكوني. وهو نوع من انواع الطغيان في الميزان الذي حذرت منه سورة الرحمن واشرنا اليه في بداية الكتاب.

يمكن ان تعتبر الزواج الخيميائي الذي يقوم به الخيميائيين المرتبطين بالظلام نوع من الزنا الباطني التجريدي, وباعتبار ان عالم الباطن هو عالم اوسع واكثر تأثير من عالم الظاهر فسيكون الفساد الحاصل من هذا النوع من الممارسات الباطنية اكثر تأثيراً



واصعب اصلاحاً من فساد زنا الظاهر. ونتائج هذا (الزنا) هي كيانات ظلامية فاسدة مهمتها الفساد والافساد الباطني, ولن يكون اللقطاء او ابناء الزنا الظاهري الا مظهر مخفف جداً مما يحدث في عالم الباطن.

ممارسات الزواج الخيميائي الصالحة مثل الزواج الظاهري المبارك (بحسب قانون التقابل المعروف) يحتاج الى شهود (شهادة) لكي يتحول عدم الفوضى الى نظام محكم ينتج عنه تكاثر سليم مبارك. والممارسات الشاذة منه تشبه الزنا

لا ينتج عنه الا الشر, والمتعمق في الموضوع يستطيع ان يتلمس شيء عن سبب نبذ ابن الزنا في الاديان الحقّة وان كان بريء مما فعل ابويه (وَالَّذِي خُبْتُ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكْذًا).

الافاعي الثلاث او الافعى ذات الرؤوس الثلاث ترمز الى العناصر الثلاث الاساسية في الخيمياء وهي الكبريت الخيميائي والزئبق والملح.

الضفادع والدعاميص (ابناء الضفادع التي تشبه الديدان السوداء) رمز دائم للطاقات المادية. او الطاقات التي يمكن للخيميائي ان يستخلصها من الاحياء الارضية العادية بطريقة التفسخ. وهذه الطاقات هي نفسها التي يبحث عنها السحرة في جثث الموتى في المقابر او الطاقات المرتبطة بالممارسات السحرية التي تجري قرب القبور او تحتاج الى جثث متفسخة وهي من الممارسات الخيميائية الشاذة كما هو واضح.



تظهر في بعض المخطوطات صور لضفادع مع نسر يحلق فوقها, وهي رموز عن ممارسات يجريها الخيميائي الساحر لتحويل هذه الطاقات المستحصلة من تفسخ الجثث الى ما يشبه الروح او طاقات السماوية لاستخدامها في صنع كائنات تبدو للناظر انها حية او متحركة.

النحل والخنافس والفراشات كلها رموز خيميائية بامتياز ايضا كما هو حال الكثير من الحشرات والهوام الاخرى.

الفراشات رمز عظيم لإعادة الولادة من جديد او البعث بعد الموت او دورات الحياة- الموت غير المنتهية, وجناح الفراشة رمز مازال مستخدم للتعبير عن اللانهاية في الرياضيات والفيزياء وغيرها. النحل رمز عظيم عن النظام الصارم لقوانين الحياة وعن سيادة المبدأ الانثوي على الذكري احياناً خصوصاً في ممارسات الخيمياء العملية. الخنافس مرتبطة بطاقة الشمس الذكرية (بحسب الطرح الخيميائي الشائع) وكذلك بوفرة طاقة الكبريت الخيميائي وإعادة الموتى الى الحياة مرة ثانية, وقد اشتهرت بقوة في الخيمياء الفرعونية وممارسات التحنيط. من الجدير بالذكر ان احد الباحثين المعاصرين ادعى ان في الخنافس قوة طاغوية بحيث تحرف مقياس كايكر عن الصفر (مقياس كايكر هو جهاز قياس الطاقة النووية).



من الحيوانات الاسطورية المرتبطة بالخيمياء هو الحصان الابيض وحيد القرن ويظهر في كثير من المخطوطات الخيميائية وهو يقف الى جانب وعل كبير احمر اللون في غابة وهناك قصة كاملة حول لقاءهما معاً وما ينتج عنه يفسرها كل خيميائي بشكل مختلف عن الاخر.

الحصان الابيض وحيد القرن يرمز الى المرحلة البيضاء من مراحل التحول الخيميائي والتي قد يوقف بعض الخيميائيين التفاعل عندها لغايات مختلفة وينتج عنه ما يعرف بالمسحوق الابيض الخيميائي الذي يرتبط بممارسات روحية عديدة منها الخروج من الجسد والتواصل مع كيانات (قمرية) او فضائية حسب ما يدعي بعض الخيميائيين.

الوعل الاحمر يشير الى المرحلة الحمراء والتي تنتج حجر الفلاسفة الاحمر او المسحوق الاحمر الشمسي.

في ممارسات خيميائية خاصة (ومنها الزواج الخيميائي) يتم جمع المسحوق الاحمر الشمسي (الوعل) مع المسحوق الابيض القمري (الحصان الابيض وحيد القرن) لإنتاج

كيانات او اشياء مختلفة على درجة عالية من الغرابة واللامألوف واغلبها مرتبطة بممارسات ظلامية شيطانية وتلاعب بالميزان غير محمود العواقب (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ).



هناك تفسيرات اخرى لهذه الصورة من وجهات نظر اخرى غير الخيمياء العملية, منها انها تمثل التقاء الروح والنفس في الغابة التي هي تمثيل للعقل الباطن او اللاواعي للإنسان. او التقاء عالم الظاهر وعالم الباطن في حالات التسامي الروحي. او المرحلة التكاملية التي يصل فيها العالم الى اعتاب اقامة المدينة الفاضلة او الدولة الكونية العادلة والتي يكون اول مراحلها لقاء الوعل الاحمر الذي يمثل الواصلين الى مرحلة الشمس الذين ذاقوا الام الاستضعاف في الزمن الماضي مع الحصان الابيض ذو القرن الذي يمثل الشخصية الكونية القوية والمؤثرة او المنقذ العالمي المنتصر الموعود لتكوين الاورورا الاولى او حجر الفلاسفة الذي سيحول كل العالم الى اعلى درجات الكمال.

الذئب والكلب رمزان مهمان لقوى الطبيعة الام في اول مراحلها. الذئب يمثل القوى الحرة غير المنتظمة بالقوانين او التي يغلب عليها طابع القوة والقسوة, اما الكلب فهو نفس هذه القوى ولكن بعد ان خضعت واصبحت منتظمة في قوانين. او قد يرمز الذئب والكلب احياناً الى ثنائية الفوضى والنظام التي تنتمي لجذر واحد هو العماء العظيم الاول. الانسان في هذه الرمزية هو الشاهد او الكائن الذي قام بتدجين هذا الذئب الاول وتحويله الى مخلوق طائع وفي.

قوى الطبيعة (الذئبية) مرتبطة بالقمر بشكل كبير وحتى الاساطير التي تتكلم عن المستذئبين تربطهم بشكل او بآخر باكمال القمر.

القمر وطاقاته هو المحرك الباطني لكل العمليات الطبيعية وقوانينها المحكمة الخفية العسية على الادراك. كما ان الشمس وطاقاتها هي المحرك الظاهري لكل الطبيعة وقوانينها المدركة وكلاهما مرتبط بالماء بقوة.

في الخيمياء العملية يرمز الذئب الرمادي الى عنصر الانتيمون والذي عند اذابته يتحول الى عنصر وحشي يحكم (يذيب) الرصاص والقصدير والنحاس ولكنه يتوقف عند الذهب ويخضع له. وعندما تشاهد مخطوطة تتحدث عن صراع الذئب مع الكلاب فاعلم انها تتحدث عن تنقية الذهب من الشوائب باستخدام الانتيمون. وبالعودة الى نفس الرمزيات سيكون الانتيمون (الذئب الرمادي) هو الطاقات الفوضوية التي يتحطم كل شيء امامها الا الذهب الذي سيمثل طبعاً الولي الالهي او الشاهد الذي تخضع عنده الفوضى (الذئب) وتتحول الى نظام (كلب) مطيع.

بالانتيمون يعمد الخيميائيين المعملين الى تنقية الذهب من الشوائب او معرفة الذهب الصحيح من المزيف, وبالفوضى الكونية يعرف الناس الولي الحقيقي من مدعي الارتباط بالسماء.

الانتيمون هو في الحقيقة ليس رمزاً للذئب وانما هو الذئب نفسه وقد تمظهر في عالم الحيوانات, وحتى قدرة الذئب الاسطورية على الرؤية الليلية او قوة البصر او السيطرة على جان الصحراء او قواها الخفية تجدها ايضاً في الانتيمون الذي عمد الناس الى استخدام اكاسيده في تكيل العيون رغبة في زيادة قوتها وجلاءها ورغبة في حيازة قوى روحانية خفية. واستخدام الكحل من الممارسات ذات الجذور الخيمائية الضاربة في التاريخ.

3- اسود الخيمياء:

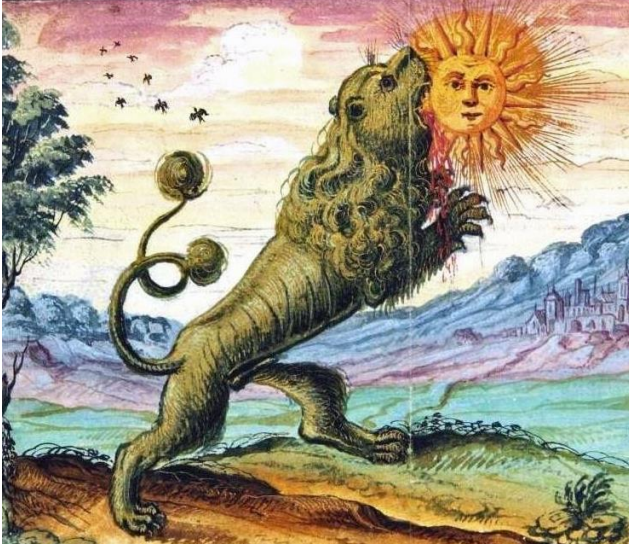
للأسود في الخيمياء رمزية مهمة, وقد اشرنا الى بعضها فيما سبق ونضيف انها ترمز في الخيمياء العملية بشكل عام الى الحالات الثابتة ذات القوى الروحانية, الاسود ترتبط بقوة بأكاسيد الكبريت او المواد القوية المشتقة من الكبريت سواء الكبريت الخيميائي المشير الى المبدأ الفعال او الروح او عالم القوى الروحية, او كيميائياً كإشارة الى اكاسيد الكبريت الكيميائي العادي وثباتيتها وقوتها الازادية العالية. المهم ان العامل المشترك بين النوعين هو انها حالات ثابتة مشتقة من قوى روحانية متغيرة او هو تحول القوى المتغيرة الى قوى ثابتة مع الاحتفاظ بالقوى الروحانية بدون تغيير.

الاسود الملونة رموز اخرى تعبر عن الاكاسيد المشتقة من المعادن والمواد الكيميائية الاخرى غير الكبريت والتي تمتاز بالقوة والثباتية والغلبة الكيميائية. وقد يظهر رمز الاسد اخضر او اسود او احمر وحسب المادة الاساس المشتق منها.

الاسد الاسود رمز معروف ومشهور لأوكسيد الرصاص او الخام الطبيعي للرصاص قبل التنقية, وخام الرصاص هذا وبسبب لونه الاسود الفاحم واحتواءه على الرصاص (او هو ام الرصاص كما يقال له احياناً) يعتبر اسفل المواد كلها من حيث التكامل وهو اكثر مادة تحتاج الى التنقية بواسطة النار ليتحول الى الرصاص الذي هو بدوره في اخر هرم التكامل الخيميائي ايضاً وان كان اعلى من خامه بشكل كبير وسيأتي شرح عن الرصاص وخامه من وجهة نظر الخيمياء الروحية في حينه.

الاسد الاخضر العظيم الذي يلتهم كل شيء في الخيمياء العملية يشير الى المذيب الحامضي الذي يتم تحضيره من سلفات الحديد مع الحوامض القوية والذي يستخدمه الكيميائيين المعملين لإذابة اي معدن واستخراج روحه بحسب تعبيرهم.

هناك اسد اخضر اخر في الخيمياء العملية وهو اشد خضرة من الاسد الاخضر الاول ويظهر دائماً في المخطوطات وهو يلتهم الشمس, وهو اشارة الى ما يعرف بالماء الملكي الذي يحضر من مزج حامض النتريك مع الهيدروكلوريك بنسبة معينة والذي يستطيع اذابة كل شيء حتى الملك الشمس او الذهب. ويرجع اختراع هذا الماء الملكي الى جابر ابن حيان بحسب اغلب المصادر. وقد يشير الاسد الاخضر الى خلاص الرصاص احياناً, ويبقى سياق وبيئة المخطوطة هو الفاصل في المعنى بين الرموز.



عند العمل مع مخطوطات الخيمياء الصيدلية سيكون الاسد الاخضر هو اليخضور التي تحتويه اجزاء النباتات الخضراء (البلاستيدات الخضراء)، وهي الجزء الخلوي المسؤول عن التركيب الضوئي (ابتلاع الشمس) في النباتات، وهي العملية المهمة التي تنتج منها الطاقة في المملكة النباتية. وهكذا يكون التعامل مع نفس الرمز الكلي بحسب الحالة الجزئية التي

تنتمي اليها. وهذا هو لب ما يصطلح عليه لغة الطير كما اسلفنا. وستجد هناك دائماً مصاديق لكل رمز من الرموز بحسب الحالة المتعامل معها. ولكن يبقى هناك رابط وقاسم مشترك بين كل الجزئيات، هذا القاسم المشترك هو ما يحويه الرمز المرسوم وهو ما يشاهده الطير من الاعلى عند النظر الى ما يكون في الاسفل. القوة المطلقة والغلبة واللون الاخضر والتهم الشمس هي القواسم المشتركة التي لا بد للرمز ان يحويها في تصويره، والتي يجب ان يكون لها انطباق على كل جزئياته. ومن المفترض ان يكون القارئ قد ادرك شيء ما عن كيفية التعامل مع الرموز وستتوسع ادراكاته تباعاً مع التدريب المستمر وتوفيق الله له.

الاسد الآخر هو الاسد الاحمر، واللون الاحمر مرتبط بشكل كبير بالحديد والدم وقوة الحياة، والحديد بدوره له ارتباط معروف بالدم وبقوة اداء الدورة الدموية في المملكة الحيوانية، فيكون الاسد الاحمر في المخطوطات التي تتعامل مع الاحياء علامة اكيدة على استخدام الدم في ممارسات الخيمياء او ان الممارسة نفسها تستهدف الدم.

في الخيمياء المعدنية فالأسد الاحمر غالباً ما يكون رمز لخلات الحديد الحمراء او اوكسيد الحديد الاحمر الذي هو صدأ الحديد المعروف والذي قد يدعى خيميائياً بدم الحديد. وهو فعلاً مادة قوية تحوي روح الحديد وقوته الباطنية المتفوقة المرتبطة بكونك المريخ الاحمر هو الآخر.

هناك علاقة رمزية كبيرة بين الاسد الاخضر والاسد الاحمر، اذ يعتبر الخيميائيون الروحانيون والنفسيون ان الاسد الاخضر هو قوة النماء الطبيعية او مراحل التكامل السفلى او المرحلة الذي يكون فيها الانسان او اي موجود اخر او حتى الامم في اطوار

النمو الذي يشبه النمو النباتي غير الواعي, ثم في مرحلة من المراحل يتحول هذا التطور الى مرحلة امتلاك العقل الحيواني الواعي نوعاً ما, والذي يؤهله الى نوع من الحياة اكثر حرية (متحرك بالإرادة), ومظهر ذلك هو سيادة كل المملكة الحيوانية بكل اصنافها على المملكة النباتية الادنى من ناحية التطور. وتظهر رمزيات هذا الامر في المخطوطات على شكل صراع بين الاسد الاخضر والاحمر تنتهي بسيادة الاخير النهائية.

هذا القانون الطبيعي يستخدمه الخيميائيين في معاملهم عندما يمارسون الخيمياء العملية المتعلقة بخلق ما يسمى بالهيموكيولي, وهو نوع من انواع الحياة الحيوانية يتم تخليقها داخل المعمل الخيميائي والذي يجب ان يمر بكل مراحل التحول التي حدثت في الطبيعة ومن ضمنها التحول من القوة النباتية او المرحلة النباتية الى حيوان او المرحلة الحيوانية او غلبة الاسد الاحمر على الاسد الاخضر. لكن غالباً ما يكون هذا النوع من الحيوانات خارج السياقات الطبيعية او خارج قوانين الطبيعة لأنه ناتج عن زنى باطني كما سيتم الاشارة اليه في فصل اخر ان شاء الله.

اما ضمن القوانين الطبيعية فالخيمياء تعترف بالتطور والتحول من فصيلة الى اخرى وتعترف بأن الحياة كانت قد بدأت من خلية واحدة او نواة واحدة وطبقاً للقانون الهرمسي الاول الذي يقر ان (كل شيء كان قد بدأ من الواحد وان كل ما في الاعلى سيكون في الاسفل) وبذلك فأنا وحدة الوجود والانطلاق الاول من المبدأ الاول لا بد ان يقابلها (في الاسفل) وحدة الكائنات المادية وانطلاقها من مبدأ واحد.

هذا الاسد الاخضر يتحول طبيعياً الى الاسد الاحمر الغالب ثم يتحول طبقاً لقوانين الطبيعة الصارمة الى اسد احمر مجنح هو اعلى درجة من درجات التحول وهو درة تاج التطور والمتمثل بالإنسان الذي خاض كل مراتب التكامل من اسفل سافلين الى اعلى عليين حتى حاز على القدرات الروحانية الملائكية وقدرات قراءة كتاب الوجود وهو ما زال بلحمه ودمه الارضيين.



4- تتانين الخيمياء:

ارتبطت رمزية التنين بشكل او بأخر بعلوم الباطن بشكل عام وليس فقط بالخيمياء. واعتبرت اغلب الحضارات ان تنين رمز للحكمة التي قد تلتهم صاحبها اذا لم يحسن استخدامها. ولذلك فالتنين رمز لكل ما يسمى بالعلوم الوسطى ذات الحدين, والتي اودت بحياة الكثير من المهتمين بها وخصوصاً المتسرعين والطامحين والحالمين, من حاولوا امتطاء التنين بدون سرج ولا لجام.

في الخيمياء تختلف رمزية التنين من موضع لآخر, ولكنه بشكل عام دائم الاشارة الى اقوى نقطة في موضوع ما. اذا قُصد من التنين المواد المنتجة من تفاعلات الخيمياء العملية فهو رمز لأقصى قوة ممكن الحصول عليها من مادة ما. واذا قُصد منه المواد الاولية الداخلة في التفاعلات فهو رمز لأقوى المواد واكثرها خطورة واصعبها مراساً.

في الخيمياء الروحية تشير التنانين او التواصل مع التنانين الى حالة الوصول الى اعلى درجات الوعي او التنوير الذي لا يخلوا من خطورة على صاحبه. وهو فتح كامل لكل الملكات الروحانية الكامنة في الانسان. او هو انفتاح العقل الباطن بكامله على العقل الواعي واندماج الاثنين بكيان واحد. اي هي حالة مشابهة لمقام النبوة في الاديان. واسطورة هرمس الرسول نفسه تبدأ بالتواصل مع التنين العظيم بما يعرف في الادبيات الهرمسية برؤيا هرمس.

ترتبط التنانين ايضاً مثل الاسود من قبلها برمزيات الالوان, اذ غالباً ما يشير التنين الاسود الى الطاقة المتحررة من المواد المعدنية بعد ان نجح الخيميائي بإرجاعها الى موضع وجودي قريب من حالة الفوضى الاولى. الطاقات المتحررة في هذه المرحلة اشبه بالطاقة النووية, بل هي الطاقة النووية نفسها بعد السيطرة عليها من قبل وعي الخيميائي, الذي يجب ان يكون قد درب نفسه على التركيز الشديد والتأمل العميق بحيث انه اذا دخل في حالة التأمل لا يمكن ان يفيق منها لأي سبب كان والا لحدث ما يشبه الانفجار النووي في مختبره.

التأمل العميق وحالة الغشية التامة والتدريب على ممارسات الخروج من الجسد والتوحد مع الكون هي اهم القدرات والقابليات التي يجب على الخيميائي التدرب عليها والامساك بناصيتها قبل ان يبدأ بأي ممارسات معملية اخرى. لأن الخطأ الاول فيها سيكون هو الخطأ الاخير. تذكر انك تتعامل مع تنين حقيقي وليس رمز بلا معنى. اذ ان

حالة الفوضى هي تنين حقيقي قد اطلقته انت بنفسك من مخبأه لتحاول ان تمتطيه. فأن حدث ما لا يحمد عقباه فلا تلم الا نفسك.

من الجدير بالذكر ان السيد والسيدة كوري (المشهورة بمدام كوري) كانا من اشهر علماء الخيمياء في عصرهم واتصلهم بالمحافل الروحانية والمدارس الباطنية لم يكن يخفى على احد, واكتشافهم عنصر الراديوم المشع الذي حازوا فيه على جائزة نوبل كان احد منجزاتهم العرضية, واهتمامهم الاكبر كان في مجال علم الخيمياء. وانتهى بهم الحال كأغلب الخيميائيين الى سوء العاقبة وماتوا بالسرطان بسبب تعرضهم للإشعاع.

التنين الاخضر هو نفس التنين القاسي العنيف ولكن بعد اخضاعه قليلاً من قبل الخيميائي والسيطرة نوعاً ما على طاقاته المتفجرة. وهو يعادل دخول (الموجود) الى مرحلة الحياة النباتية شبه الواعية في سلسلة الخلق التي يجريها الخيميائي وصولاً الى المخلوق المتكامل, والذي هو احد اوهام الخيميائيين الكثيرة.

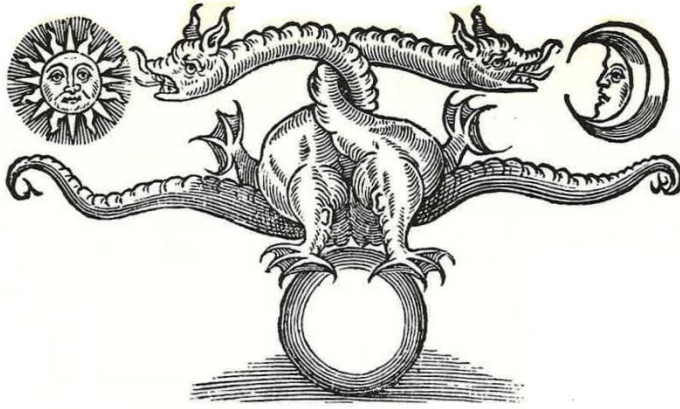
تخفيف قوة التنين والسيطرة عليه يكون ببلورة الطاقة او تحويلها الى بلورات تشبه الملح او السكر. اي بكلمة اخرى احلال نوع من النظام الاولي فيها واخراجها من فوضى العدم. يجب التذكير هنا ان حالة الفوضى هذه وارجاع المواد اليها ليست بالممارسة المتاحة لكل الخيميائيين ولم تحدث خلال التاريخ الا مرات معدودة وكانت تنتهي غالباً بخسارة كبيرة, لكن المخطوطات والرموز تتحدث عن نظريات وطرق قد لا يكون تطبيقها متاحاً للجميع. اذ ان لحظة انصراف بسيطة في وعي الخيميائي وهو في حالة الغشوة العميقة قد تؤدي الى فشل ممارسات وتجارب قضى فيها عشرات السنين.

في الخيمياء الروحية يرمز تحول التنين الاسود الى التنين الاخضر الى حالة سيطرة عقل الواصل الى هذه على شهواته وغرائزه وبداية تفنق الوعي الالهي لديه وان كان ما زال تحت خطر انفلات التنين من محبسه واحراق كل غابة وعيه الباطن عن بكرة ابيها. في هذه المرحلة يكون هناك اتصال بين العقل والعقل الباطن مسيطر عليه نوعاً ما, يؤدي الى ظهور حالة الابداع والتفوق العقلي لدى صاحبه.

التنين الاحمر هو اعلى درجة من التكامل ممكن ان تصل اليه الموجودات وهو يشير الى الوصول الى مرحلة حجر الفلاسفة بالنسبة للخيمياء العملية او مرحلة الاورورا او حجر الفلاسفة البشري بالنسبة للخيمياء الروحية والذي سيكون حجر الزاوية الذي منه ينطلق بناء كل العالم وصولاً الى الدولة العالمية الواحدة .

التنين الاحمر يشير ايضا الى نفس الحالة الاولى للوجود او حالة الفوضى الخلاقة. لأن الوصول الى اقصى نقطة من جهة ما هو عين الوصول الى النقطة الاولى او نقطة المبدأ, (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ), (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ). وبذلك ستكون اخر مرحلة تكاملية تصل اليها البشرية في مسعاها الحالي هي اول نقطة انطلاق الى مرحلة تكاملية اخرى. وان اقصى حالة نظام ممكن ان يصل اليها موجود من الموجودات هي عينها حالة الفوضى الخلاقة لمرحلة تكاملية جديدة. ولذلك تعتمد رموز الكبالا الى جعل ملكوث من شجرة الحياة هو عينه كثير للشجرة التي تليها وهكذا صعوداً (او نزولاً) في مدارج الكمال (راجع كتاب حبة الرمان).

لذلك يرمز التنين الاحمر في الخيمياء المعملية الى زيت الرصاص الاحمر من جهة والذي هو ادنى رتبة تكاملية في عالم المعادن, ويرمز ايضاً الى المسحوق الاحمر او مسحوق حجر الفلاسفة



(مسحوق الطرح) والذي هو اعلى مرتبة تكاملية في عالم المعادن.

نفس الرمز السابق الذي تحدثنا فيه عن لقاء الوعل الاحمر بالحصان الابيض وحيد القرن يلقي بظلاله ايضاً في هذا الموضوع, اذ ان الرمز

(بحسب لغة الطير) يتحدث عن حقيقة علوية لها اكثر من مصداق في (الاسفل). ليكون الوعل الاحمر فيه هو ملكوث الاحمر او حالة الفوضى الخلاقة الاولى وهو يقابل في نفس الموضع الحصان وحيد القرن الذي يرمز للانباتق كثير من شجرة الحياة, واللذان يلتقيان دائماً في موضع وجودي واحد على الرغم من اتساع المسافة التكاملية بينهما. وسيأتي شرح مفصل اكثر عن هذه الحقيقة وانعكاسها في عالم الانسان في القادم من الكتاب بأذن الله.

اشرنا في مواضيع سابقة الى رمزية الاوروبورس او التنين المتصارعان والذي يكون احدهما مجنح والآخر بلا اجنحة وعلاقتها برمزية حالة الاستقطاب الاولى التي قام بها (الشاهدين) في اول لحظات انباتق الوجود فلا داعي للإعادة.

يمكن ان يشير التنين الذي ينفث اللهب الى بداية مرحلة التكلس في الخيمياء. مرحلة التكلس -كما سيأتي ذكرها- هي تحول المواد الى حالة صلبة بعد ان تفقد طاقاتها. وحتى في الكيمياء العادية تكون حالة فقدان الطاقة مرتبطة دائماً بتحول المواد الى الحالة الصلبة بدل السائلة.

الخيميائي الحقيقي والذي تكونت لديه قدرة استشعار الطاقات الكونية في جسده يعرف ان عملية تشبه نفث النار من فم التنين تحدث لديه تؤدي الى اخراج الطاقات السلبية من جسده بعد ان دخلت اليه بسبب او بآخر وقد تؤدي الى حروق حقيقية في فمه ولسانه, وهو يعرف حالة السكينة او الهدوء الداخلي بعد هذه العملية والتي تعادل حالة التكلس والتوقف عن الحركة في مملكة المعادن. وحتى الشخص العادي الذي يصاب بالحمى بسبب مرض ما ستظهر عليه ما يشبه الحروق في شفته ولثته وهو في طريقه الى البرء من مرضه. هذه المظاهر هي من ضمن انعكاسات (سفل) كثيرة لحقيقة علوية واحدة تشير اليها لغة الطير بالتنين الذي ينفث اللهب, ويمكن للمتعمق في الرمز ان يكتشف حقائق مذهلة كثيرة من نفس الرسمة البسيطة التي تبدو تافهة للبسطاء من الناس.

5- سر الزهور المقدس:

لو وضعنا كل رموز الخيمياء واسرارها ولغتها المتعالية في كفة ميزان, واسرار رمزية الزهور في كفة الميزان الاخرى لرجحت كفة الزهور بلا منازع. رمزيات الزهور والحقائق المتعالية التي تشير اليها لا يمكن ان يحتويها كتاب او لغة بأي حال من الاحوال. وحتى اعظم الخيميائيين لا يدعي الاحاطة بكل اسرار الزهور.

ان اسرار الزهور عصية على الفهم لا بسبب محدودية ادراك العقول لها, بل بسبب ان اغلبها من طبقة وجودية متعالية جداً على الفهم البشري في مراحلها الحالية. وان ادراك بعضاً من هذه الاسرار سيؤهل صاحبها لامتلاك قوى عظيمة فوق تصور العقول تؤهله لمستوى لا اقل من للسيطرة على مقادير البشرية. ولذلك كانت من حكمة الخالق ان يغلق هذه الاسرار ويحبسها في خزائن محروسة بأقوى الكيانات السماوية (مَلَائِكَةُ غِلَاطُ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ).

رغم هذا المستوى العالي من الاغلاق فقد شاء الخالق ان تتسرب بعض من هذه الاسرار العظيمة وتتناثر هنا وهناك وتكون هدف للباحثين عن المجد والسيطرة والملك. وقد كان من اشهر هؤلاء جماعة منظمة الصليب الوردي, اللذين تشير المخطوطات

التي صدرت عنهم انهم كانوا على مستوى عالي من العلم ببعض اسرار رمزيات الزهور او الورود, واستطاعوا تطبيق الكثير منها مما جعلهم يحوزون قوى غاية في السرية والاهمية.

يمكن لك ان تقول ان الخيمياء الروحية والنفسية والتي تؤهل العالمين بها للسيطرة على مقدرات البشر بسبب فهمهم لباطن النفس الانسانية وطريقة تحريكها وفق ما يريدون تعتمد بشكل كامل على فهم رمزيات الزهور والورود. ممارسات تحويل المعادن الى ذهب او انتاج حجر الفلاسفة او اكسير الخلود ستكون مجرد تحصيل حاصل وتطبيقات ثانوية بسيطة في هذا النوع الخطير من الخيمياء.

مخطوطات منظمة الصليب الوردي (والتي قد تكون الترجمة الصحيحة لاسمها صلب الوردية او وضع الزهرة على الصليب) لم تستخدم تقريباً اي رمزية اخرى غير رمزية الزهرة وتداخلاتها الهندسية, وطريقة فهم مخطوطاتهم بشكل كامل تحتاج حقاً الى قلب وليس عقل, لأنها تعتمد بشكل كامل على الاشراف او الكشف الباطني بالعلم الحضوري حصراً. كل محاولة لفهم رمزيات الصليب الوردي بدون الوصول الى المرحلة التكاملية الباطنية اللازمة ستكون نوع من لعب الاطفال.

الزهور والورود وعلاقة العقل الباطن للإنسان بها اقدم واعمق وابعد مما يتخيل البعض. اول الممارسات العقائدية او شبه العقائدية المكتشفة قبل مئات الاف السنين في كهوف الانسان القديم كانت تتم بالأزهار. اذ كان يضع هذا الانسان القديم نوع محدد من الزهور قرب جثث موتاه في اول ممارسة دينية مكتشفة على الاطلاق. والسؤال هو لماذا اختار الازهار ليعبر بها عن نوع خاص من المشاعر الدينية؟ لماذا لم يختار اللحم مثلاً الذي كان يتغذى عليه قبل ان يعرف اي نوع اخر من الغذاء؟ ما علاقة الازهار بالطقوس الدينية وبمشاعر الحب الديني او الجنسي؟ وما الذي يربط بينها؟ لماذا تصنع الحلبي منذ اقدم الازمان على شكل ازهار وورود؟ اسئلة كثيرة اخرى يمكن ان تشرق في عقل المتتبع لعلاقة الانسان بالزهور وارتباطه الباطني العميق بها, والذي سيؤهل العارف بمعناها بان يحرك باطن الانسان وفق ما يشاء, وان تكون الظواهر الانسانية والاجتماعية له مجرد تحصيل حاصل.

لذلك لن يكون من اليسير ابداً شرح شيء وافي في هذا الموضوع, ولكننا سنحاول فقط الاشارة من بعيد الى مفاتيح ممكن لها ان تكون نقطة انطلاق لحصول حالة من حالات الفهم الباطني الجزئي لرمزية الزهور.

لفهم رمزية الزهور يجب ان نشير الى موضوع المندالا. والمندالا هي رسومات زخرفية تدخل الزهور واشكال اخرى فيها, ولكن السمة الفارقة فيها عن باقي الرموز او الرسوم الاخرى هي انها تدور او تلتف حول نقطة مركزية فيها. وهناك المئات او الالوف من المندالات وخصوصاً في الديانة الهندوسية والبوذية وتستخدم كل منها استخدام خاص ومحدد لغاية دينية باطنية معروفة.

هذه الرسوم (الدورانية) اذا صح التعبير تحاكي سر باطني عظيم من اسرار الطبيعة المقدسة. اذ ان الحركة الدورانية حول مركز محدد يثير في داخل العقل الباطن قوى معينة تجعله يتحد بالكون من حوله (او هكذا يشعر). حالة الاتحاد مع الكون (الوحدة مع الله بحسب التعبير الصوفي) تفتح على القلب باب التواصل مع الموجودات الكونية الاخرى خيرها وشرها, وهي اهم بوابة من بوابات الكشف العرفاني او الاشرافي الذي يدعيه المدعون. وكل هذا يحدث باستثارة حالة الدوران حول المركز سواء دار الشخص بكامل جسمه حول مركزه كما في حالة رقصات الصوفية او بالتأمل بالمندالا الموضوع امامه كما في حالة الهندوس والبوذيين. وكل هذا يؤدي الى استثارة العقل الباطن وفتحه على العوالم الوسطى.

حالة الدوران (المادي او المعنوي) يؤدي الى احداث الدوامة التي يمكن ان تراها في حالة دوران الماء في قذح مثلاً. هذه الدوامة التي تؤدي مباشرة الى فجوة في وسطها ممكن للأشياء ان تسقط فيها, وهي بالضبط ما يحدث عند دوران الصوفي حول نفسه او حالة الدوران المعنوي عند تأمل رموز المندالا. اذ تحدث فجوة دوامية في نسج الكون من فوق قمة رأس الراقص او المتأمل تجعل (الأشياء) تسقط مباشرة في وعيه (من خلال احدى اذنيه المرفوعة الى الاعلى). هذه (الأشياء) المعنوية الساقطة اليه هي ما يسميها بالكشوف العرفانية او الاشرافية, والتي يترجمها على شكل افكار او ممارسات. مشكلة هذه الممارسات انها تجعل كل شيء قابل السقوط الى داخل الوعي بدون تمييز او فلترة. وهذا مع حسن الظن طبعاً, والا فأن الحقيقة ان الشياطين غالباً ما تقوم هي بإسقاط ما تريد مستفيدة من حالة الدوامة الناتجة من الدوران (المادي او المعنوي).

هذه الطروحات طبعاً لا تتوافق مع العلم الحديث ولكنها تقع في خانة الحقائق بالنسبة لعالم الباطن وكل تفرعاته ومن ضمنها الخيمياء. وحتى الشفق القطبي الذي يظهر فوق القطب من كوكب الارض هو (بحسب الخيمياء) كمية من الطاقة السماوية او الفيض النازل الى كل الارض بسبب دورانها الذي ينتج فجوة فوق رأسها يتنزل منها الفيض

الذي يكون مرئياً في بعض الاحيان بسبب كمياته الكبيرة. ويطلق عليه المختصون نفس المصطلح الخيميائي المعروف (اورورا) والذي اسمينا الكتاب طبقاً له.



الواصل الى مرحلة تكاملية باطنية حقيقية لن يحتاج الى مندالات تافهة او الى الرقص كالقرود ليستجدي فيوضات الشياطين. المتكامل الحقيقي لن يسمح بأي حال من الاحوال ان تكون هناك في جسده (الباطني) أي ثغرة ممكن ان يدخل منها أي شيء من المحيط. الواصل المتكامل يعرف جيداً انه يعيش وسط عالم من شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول, مولعون به وبأغوائه ويتفننون في احداث الثغرات الباطنية لاختراقه والتلاعب به. الواصل الحقيقي سيكون هو مصدر فيض لا مستلم فيض, سيكون هو مصدر الاورورا ومالكها, لأنه سيكون قد اتصل مباشرة بواسطة العقيدة الصحيحة بالزهرة الكونية المباركة ذات البتلات. سيفضل حينها الصمت والوقار لا الرقص والدوار.

بالعودة الى اصل الموضوع نقول اننا قد اشرنا في مواضيع سابقة ان الخيمياء تهتم بموضوع التكاثر او التضاعف والذي تعتمد فيه على ما تسميه بالتزاوج الباطني او الزواج الخيميائي, الذي هو في الحقيقة عملية محاكاة لسر الجمع بين الاضداد الذي يجري في الطبيعة الظاهرة. كل عملية تكاثر وتضاعف تستلزم الازدواج بين الضدين الانثوي والذكري وفق قوانين وضوابط وممارسات خاصة. من ضمن هذه القوانين هي استخدام الاعضاء التكاثرية او الجنسية لذلك وممارسة الجماع. وبحسب كل نوع او فصيلة من فصائل الكائنات الحية.

وقد اشرنا ان الخيمياء تختلف عن باقي العلوم بانها تجعل الحياة والتكاثر سمة لكل الموجودات ومنها الجمادات ايضاً, وتعتقد الخيمياء ان ممارسات تكاثرية مشابه لما

يحدث في الكائنات الحية تحدث ايضاً في عالم الجمادات تؤدي الى زيادة اعدادها. وبغض النظر عن التفاصيل فإن موضوع التكاثر يربطنا مباشرة بالازهار التي هي المواضيع التي تتم فيها هذه العملية المهمة.

أي ان الازهار هي اعضاء التكاثر في النباتات. على ان الخيمياء وبطريقة منطق الطير لا تنظر الى الازهار كأعضاء تكاثر مختصة في النباتات, بل تعتقد ان أي عضو تكاثر هو زهرة من الازهار مختصة لنوع من انواع التكاثر المحددة. وبذلك ستكون الاعضاء الجنسية في الحيوانات هي ازهار ايضاً, والمعادن ايضاً لها ازهارها التي تتكاثر من خلالها. وبذلك يتضح شيء من اهمية رمزية الازهار الخيمائية باعتبارها ادوات التكاثر. وحتى المندالات او الرقصات الدورانية التي تسحب الفيض هي نوع من انواع التكاثر المعنوي, اذا تذكرنا ان هذا الفيض او هذه الطاقة الكونية المجردة التي يسحبها الراقص تؤدي زيادة معنوية في عقله الباطن والذي ستؤدي بالضرورة الى زيادة واكثر ظاهري انعكاسي.

اذن جذر عملية التكاثر والتضاعف هو هذه الاورورا او الفيض السماوي النازل من اعلى عليين الى اسفل سافلين, والذي يكون استلامه بواسطة الازهار بالمعنى الخيميائي المتعالي لها لا بمعناها الجزئي, والذي سيؤدي الى حفظ الكائنات بواسطة التكاثر والتضاعف وانتاج البذور.

الخيميائيون يدعون (وهم محقون) ان كل شيء يجب ان يكون متصل بالزهور لكي يستلم الفيض النازل الذي هو علة تكاثره وبالتالي بقاءه. ولولا هذه العملية التي تتم بالازهار حصراً لكان نصيب الموجودات القلة وزوال البركة ومن ثم التلاشي شيئاً فشيئاً من الوجود. وبذلك سيكون سر البقاء والحفظ هو بالتكاثر والتضاعف وسيكون سر التضاعف هو بالازهار, وسيكون العارف بسر الازهار عارف بسر الوجود والبقاء والخلود.

كل شكل من اشكال الازهار يسحب طاقة خاصة من الاورورا مختصة بنوعه المحدد ومفيده له, والازهار تشبه في ذلك الهوائي المعروف والمستخدم لسحب تردد خاص محدد, وشكل الهوائي الخارجي (ولونه) سيكون العامل الحاسم في تحديد نوع التردد المستلم. وبذلك سيكون شكل الازهار الخارجي ولونها هو العامل المحدد لاستلام الفيض الخاص بذلك النوع من الحياة.

قد تكون الان قد ادركت شيء من السر الخيميائي الذي استخدمه يوسف عليه السلام في حفظ الحنطة ايام المجاعة لسبع سنين. اذ امرهم بتركها في سنبليها الذي هو الجزء الزهري منها وبذلك جعلها دائما مرتبطة بالفيض اللازم لها لبقاءها بدون تلف او حتى تكاثرها وزيادة بركتها (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ).

في العقائد الباطنية الشرقية يكون عدد البتلات (وريات الزهور) هو المحدد للدرجة الروحانية التي وصلها موجود من الموجودات. او درجة الشرف والبركة لعضو من اعضاء الجسم او منزلة احد الهتهم وغيرها. وكل ذلك يشار له بزهرة محددة في عدد البتلات. اذ يشار مثلاً الى شاكر التاج او النقطة في اعلى هام الانسان, وهي المنطقة التي ترتبط بالسماء (بحسب عقيدتهم) بالزهرة ذات الالف بتلة دلالة على شرفها. في الحضارة المصرية كانت زهرة اللوتس مقدسة لديهم وتشير الى التكامل المعنوي الباطني. اما الحضارة الاشورية فأتخذت من زهرة البابونج رمز وشعار وكلها رموز على درجة عالية من العمق الباطني.

قد يكون الشرح السابق لسر الزهور كافي من وجهة نظر الخيمياء البحتة, لكن ولعنا بتطبيق منطق الطير في التعاطي مع الرموز يأبى علينا الا التحليق عالياً للوصول الى اعلى مستويات التجريد والقبض الذي نقدر عليه وببركة اسم الله القابض (يا قابض) لذلك سنضيف ما هو ات.

سنقول ان الزهور بمعناها الخيميائي اذن هي جزئيات لحقيقة واحدة, هي حقيقة الارتباط بين ما في الاعلى وما في الاسفل. اذ لا يمكن لما في الاعلى بأي مستوى من مستويات الوجود ان يؤثر على ما في الاسفل في مستواه الا بتوسط الزهور المناسبة لذلك المستوى. وبالرجوع الى اصل هذه الحقيقة وجذرها واعلى مستوياتها الوجودية سيكون حينها الرابط بين كل ما في الاعلى وكل ما في الاسفل هي زهرة واحدة مباركة تتوسط الوجود. هذه الزهرة هي حبل الله الممدود من اعلى عليين الى اسفل سافلين, وهي مصدر كل بركة ونماء وبقاء وتكاثر وتضاعف. وهي الحقيقة الوسطى القمرية التي تربط بين ما في الاعلى وما في الاسفل بخط مستقيم واحد هو ما عبرت عنه الاديان بالصراط المستقيم الذي هو (هندسياً) اقصر الطرق. ولو راجعت كتاب حبة الرمان في موضوع الكاهنة العظمى ستجد ان هذا الانطباق لا يصح الا على السيدة الزهراء عليها السلام, اذ انها هي الحقيقة الوسطى والقمر المنير الذي يتوسط بين الشمس العظيمة العليا والارض المظلمة السفلى.

حتى اسمها عليها السلام (الزهراء) يشير مباشرة الى هذه الحقيقة. ولو اضفت له الاضافة المشهورة معه (البتول) ليكون (الزهراء البتول) فسيعطي مباشرة نفس معنى الزهرة كثيرة البتلات المار الذكر.

ستقرأ في نفس الموضوع في ذلك الكتاب (حبة الرمان) ان هناك سر عظيم مرتبط دائماً بهذا الوجود المبارك, وهو نفس السر الذي اشرنا اليه هنا (من وجهة نظر الخيمياء) والذي هو سر التكاثر العظيم وما يرتبط به من الفصل الواضح والانقسام الذي هو سر الحياة. في الخيمياء يؤخذ هذا السر من زاوية النماء والتكاثر والذي يستلزم الانقسام, اما في الكبالا فيؤخذ من باب العقائد التي تستلزم ايضاً الانقسام بين الطوائف والذي هو سر الحياة بكل مستوياتها لمن ادرك شيء عن باطن الوجود.

لنخلق ونرتفع اكثر بعد. لنشاهد ان هذا الوجود الكريم تولد عنه كل الحقائق الاخرى المباركة الذين هم الائمة الاطهار عليهم السلام في وجوداتهم المادية (في الاسفل), والتي هي فقط انعكاس مادي مشوه عن وجودهم الحقيقي السماوي المتعالي ووظيفتهم الوجودية بالاتيان بالشهادة الكونية التي يتولد عنها كل الانظمة المعقدة لكل الكائنات, أي وظيفة الخلق المستمر في كل لحظة وفي كل دقيقة. أي ان وجودهم السماوي (في الاعلى) كان ايضاً منها عليها السلام. أي انها كانت مصدر وسبب ووالدة الشهود السماويين وسابقة على وجودهم العلوي ايضاً. وبذلك ستخرج حقيقتها مباشرة عن مستوى الادراك المسموح به لبني البشر في هذه المرحلة التكاملية, الذي ينتهي عند مرحلة وجود الغمر العظيم والشهود الذي شهدوا عليه في لحظات الخلق الاولى. وستكون الزهراء البتول في مستوى اعلى من هذا المستوى الادراكي وسابقة عليه.

وهذا هو معنى السر المرتبط بها دائماً والعصي ابدأ على الادراك لانه ببساطة فوق وسابق عن لحظة الوجود الاولى وقبل شهادة الشاهدين, بل انه سبب وجود الشاهدين والمولد لهم. وهذا قد يكون المعنى الباطني للحديث المشهور عن الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم (فاطمة ام ابیها), لانه هو احد الشاهدين او الشاهد الاول على الغمر العظيم, وهو بذلك متولد من حقيقتها بشكل من الاشكال في ذلك المستوى المتعالي من الوجود.

هناك احاديث كثيرة عن معنى اسم فاطمة (عليها السلام), منها ان الناس قد فطموا أي قطعوا عن معرفة سرها مما يؤكد الحقائق الخيمائية التي اشرنا اليها وعن السبب في عدم الدراك البشري لها.

سر الزهراء اذن هو ليس سر الوجود, بل هو سر ما قبل الوجود الذي لا يعلمه الا الله تعالى خالقها وموجدتها عليها السلام. وهو السر العظيم الذي حوى به الله رسوله الحبيب محمد حصراً ليحوز به كل الاسرار الاخرى. وما اسرار التكاثر والتضاعف الخيميائي والنماء والخلود والبركة والموت والحياة الا جزئيات بسيطة من هذا السر العظيم. (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ , فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ , إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ). وهذه الحقائق المتعالية هي ما تطلق عليه الخيمياء بسر الزهرة المقدس.

بهذه الكلمات نكون قد ختمنا هذا الفصل والذي كان الغاية منه التعريف بمعنى منطق الطير وتطبيقه في فهم بعض الرموز المفتاحية في الخيمياء. على ان الرموز في الخيمياء لا نهاية لها, اذ ان علم الخيمياء ما هو الا علم الرموز والتعامل معها. لذلك فلن ينتهي التعامل مع الرموز في هذا الفصل بل سنقف امام رموز اخرى كثيرة وسنشرح الكثير من حقائقها على قدر فهمنا واستيعابنا. وتبقى عملية الاحاطة بكل الرموز وبكل معانيها من المستحيلات الصرفة لأي كاتب او كتاب في العالم قديماً وحديثاً.

الفصل الثالث:

التحول الخيميائي.... مراحلها واجراءاته ومعداته....

الحق الحق اقول لكم, ان كان احد لا يولد من الماء والنار, لن يقدر ان يدخل ملكوت السموات.

عيسى عليه السلام

التحول الخيميائي:

التحول الخيميائي عمليات طبيعية تجري ببطء شديد في الطبيعة وفقاً لقوانين صارمة معقدة وخفية, اغلبها خارج نطاق الادراك البشري العادي تتحول فيها الموجودات من مستويات متدنية من التكامل (خسيسة) الى مستويات اعلى منها (نفيسة).

هذا التحول هو اشبه بتفاعل كيميائي عظيم كوكب الارض هو دورقه والكائنات فوقه هي منتجات هذا التفاعل وطاقات السماء وفيوضاتها الخفية هي المواد المضافة اليه من

اعلى الدورق, والاحداث اليومية وانفعالاتها وانطباعاتها النفسية والعصبية هي النار التي تحرك اواره من تحته.

التحول الخيميائي عملية طبيعية ولا علاقة لها بالمعجزات وهي محكومة بقوانين طبيعية ايضاً حالها حال كل عملية طبيعية اخرى. وهي ليست كسر للقوانين ابدأ كما يفهم بعض الناس منها. الاختلاف الوحيد ان قوانينها اكثر خفاءً من قوانين الفيزيائية او الكيميائية العادية من جهة واكثر تأثيراً وصرامة من جهة اخرى, وتعتمد على شيء من الادراك القلبي وليس العقلي من جهة ثالثة.

وكما ان من يعرف قوانين الفيزياء او الكيمياء الطبيعية يستطيع ان يحاكي بعضها في المختبر لاغراض وغايات عديدة, كذلك من يعرف شيء عن قوانين التحول الخيميائي يستطيع ان يحاكي بعضها في المختبر. والمختبر هنا يأخذ معنى اوسع من المعنى التقليدي له. مثلاً العالم ببعض علوم الاجتماع والسياسة سيتمكن من تطبيقها على مدينة او دولة كاملة ستكون هي مختبره الاوسع. والعالم باسرار النفس البشرية وعلاقتها بالعوالم الخفية سيستطيع حتماً من التلاعب بها وتسخيرها بشكل من الاشكال, وسيكون مختبره كل العالم الانساني من حوله. ولأن كل تفرعات العلوم والمعارف بحسب رؤية اهل الباطن تتفرع من جذر واحد هو الفكرة او الرمز التجريدي المتعالي على الجزئيات فسيكون معرفة هذا الرمز الكلي او جزء منه على الاقل هو المفتاح لمعرفة كل تفرعاته او قل انعكاساته في عوالم الجزئيات. وقد ضربنا مثال الانتيمون والذئب او الحوامض والاسود التي هي انعكاسات لحقيقة جذرية واحدة يمكن التعامل معها في مستواها التجريدي بواسطة منطق الطير مار الذكر (ما زالت الحوامض تحتفظ بنفس اللفظة اللغوية للدلالة عليها في اللغة الانكليزية ..(اسد).. ولكن بكسر السين).

الخيمياء التطبيقية او العملية او المختبرية سمها ما شئت كانت قد وضعت من الاساس للتعرف (الحسي) على الرمز والتعامل معه خلال الحواس الخمسة من اجل ادراكه الباطني الذي لا بد ان يمر من خلال بوابة التفاعل الحسي المادي اولاً. اذ (ان العلم ينادي بالعمل فأن اجاب والا رحل), وهذه الحقيقة يدركها اهل الباطن اعماق بكثير من مستوى ادراكها العادي كنصيحة للعمل وترك الكسل. بالنسبة للخيميائي هي قاعدة (للتحليق) من الاسفل الى الاعلى. اذ ان اسرار اي رمز من الرموز لا يمكن ادراكها ادراك عميق (طيري) الا بأشراك الشعور القلبي مع التفكير العقلي المجرد. المشاعر المصاحبة لأي محاولة فهم وادراك هي اشبه بالازميل الذي يحفر في صخر القلب لينقش معنى الرمز في الداخل. الشعور بالاحباط بعد الفشل او الخوف من السخرية او

الطموح الشديد المؤدي الى الاهتمام بالعمل وترك كل شيء من اجله. اضافة الى سنوات الدراسة والمها وخسارة الاموال والوقت (وحتى الانفس احياناً) في هذا الطريق, كلها مشاعر تعمل عمل ازميل النقش الذي يحفر صخر القلب ليضع الرمز فوقه. او قد يحول حجر القلب كله الى ماء سيال حامل للحياة لو كانت الضربة بيد من ارتبط بالماء الباطني مباشرة وبأصحابه (اضرب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ , فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا , قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ , كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رَزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ).

هذه المشاعر القلبية الحارقة هي ما دعاه الهرمسيون بالقانون الثامن او القانون الخفي و اضافوه الى قوانين هرمس السبعة واعتبروه المفتاح لها واسموه قانون الاهتمام. وهو ان الاهتمام الذي يبديه شخص ما لموضوع علمي ما واستعداده لباطني لخوض غماره وتحمل معاناته هو المفتاح الاول للوصول. هذا الدافع والمحرك الخفي يؤدي بصاحبه الى تحمل قوة ضربات الازميل الباطني على صخرة القلب حتى تنفجر منه اثنتا عشرة عيناً.

اذن المختبر او المعمل الذي يقضي فيه الخيميائي جل ايام حياته يوم بيوم وساعة بساعة, ما هو الا مكان ممارسة عمليات فك الرموز بواسطة التعرف على انعكاساتها في عالم المواد والاشياء الارضية. ومن ثم ادراكها ادراك قلبي كلي. قبل ان يصل الخيميائي الى مرحلة استخدام هذا الادراك في عالم النفس او الروح وتطبيقاتهما الصعبة. خذ مثال الانتيمون والذئب مثلاً او الحوامض والاسود اللذان يشتركان في انهما حقيقتان مشتقتان من حقيقة واحدة سماوية متعالية على جزئياتها. السعي لأدراك هذه الحقيقة سيكون بالتضرع والدعاء أولاً ومن ثم التفكير والتأمل العميق بالرمز ثانياً, وكذلك محاولة التعاطي الحسي مع هذا الرمز من خلال اختيار احد انعكاساته وجزئياته. سيكون اختيار التعامل مع الانتيمون او الحوامض الكيمائية اسهل بكثير من التعاطي او التعامل مع الاسود والذئب كما هو واضح.

تجد ان اغلب الخيميائيين حتى ابسطهم ادراكاً يصل بعد فترة من ممارسة الخيمياء العملية الى ادراك عميق للوجود لم يكن يسعى اليه في بداية عمله الذي كلن في الغالب محاولة للحصول على الغنى والثروة بطريق سهل.

نهاية الممارسات الخيميائية هي الحكمة دائماً والفهم المتعالي للوجود وان كانت هذه الحكمة لا تمنع صاحبها من الانزلاق مرة اخرى الى اسفل درجات التدني والتسافل كما

حدث مع قارون واشباهه. بل ان خطر التدني والتسافل سيكون اكثر واعمق بسبب القدرات الهائلة التي حائزها اصحابها خلال مراحل بناءهم المعرفي في مختبراتهم. لكن اشراقات انوار الفهم والادراك داخل القلوب كان مصير الكثير منهم, وعصمت اكثرهم من الانزلاق مرة اخرى الى مهاوي التسافل ووضعهم في مقام الترفع الكامل عن كل ماديات الحياة الدنيا واحالت نفوسهم قبل محتويات دوارقهم الى ذهب ابريز.

مراحل التحول الخيميائي:

تختلف النصوص الخيميائية جداً في وصف عملية التحول الخيميائي ومراحله, ويستخدم الخيميائيين دائماً في لغتهم نصوص رمزية صعبة مختلفة لا يستطيع التعامل معها الا اهلها. وتعتمد بشكل كبير على دراسة عقائد الكبالا قبيها. ولكن بشكل عام فإن الكثير من النصوص الخيميائية تجعل من الكواكب السبعة القديمة رموز جيدة لوصف المراحل الخيميائية التي يقطعها موجود من الموجودات وهو في طريق تحوله من الخسيس الى النفيس . وهذه المراحل السبعة تُختصر احياناً في مراحل ثلاث فقط. وهناك الكثير من التقسيمات الاخرى منها التقسيم العشري, اي تقسيم مراحل التحول الى عشرة مراحل هي نفسها انبثاقات الكبالا العشرة, او تقسيم المراحل الى اثنان وعشرون مرحلة هي نفسها احرف الكبالا. او التقسيم المعتمد في اغلب المنظمات الماسونية الباطنية, اي تقسيم المراحل الى اثنين وثلاثين مرحلة بالاستناد ايضاً الى الاصل الكباليستي لها. في هذا الفصل سنقتصر الى التقسيم السباعي والثلاثي والذي هو ايضاً اختصاراً للتقسيم الكباليستي نفسه, اذ ان الخيمياء والكبالا وجهان او جزئان لمنظومة معرفية واحدة.

سلم الكواكب السبعة:

يرجع هذا التقسيم الى مصر وبابل ومنها الى سومر القديمة, وهو تقسيم مراحل التحول او التكامل البشري الى سبعة مراحل اعتماداً الى ارتباط كل مرحلة بطاقة قادمة من احد هذه الكواكب السبعة (الكواكب الخمسة المرئية زائد الشمس والقمر).

الكواكب في الخيمياء ليست رموز, وان يتم احياناً استخدامها لذلك, الكواكب وكل الاجرام السماوية الاخرى في النظرية الخيميائية ترسل طاقات معينة تؤثر بشدة على كل انواع الحياة (او اللاحية) في كوكب الارض. هذه الطاقات من وجهة النظر

الفيزيائية هي ترددات موجية تشبه ترددات الصوت او الضوء او باقي انواع الموجات الفيزيائية الاخرى. والموجات بحسب الخيمياء ايضاً (وفيزياء الكم) هي الصورة الاخرى للمادة التي تسلك في المستويات الكمومية سلوك مزدوج اعتماداً على وجود المشاهد من عدمه.

هذه الترددات الموجية التي هي طاقات او قل مواد خام لتكوين المادة لو تم لها وجود (شهادة) مناسبة عليها, تصل الى الارض وتشارك بقوة في انتاج مظاهر هذا الكوكب وموجوداته سواء منها الحية وغير الحية.

كل الطاقات القادمة من السماء على شكل هذه الترددات الموجية تساهم في اظهار المظهر الخارجي المعقد لكل موجودات كوكب الارض وفق معادلات متداخلة معقدة جداً حول فك رموزها خيميائيين عظماء خلال كل حقبة التاريخ ومازالت عصية على الادراك الكامل. كل الاجرام السماوية المشاهدة او غير المشاهدة بالعين او التلسكوب تساهم في هذه التفاعلات المعقدة بشكل او بآخر ولكن الكواكب السبعة القديمة ونقصد بها الكواكب الخمسة السيارة المشاهدة بالعين المجردة اضافة الى الشمس والقمر هي الاكثر تأثيراً على مظاهر الوجود في كوكب الارض.

تعتبر الخيمياء كل المواد سواء منها الحية او غير الحية كانت قد قدمت على شكل طاقات مجردة او ترددات موجية من الاجرام السماوية, ثم دخلت في تفاعلات بين بعض البعض وفق قوانين طبيعية كانت نتيجتها كل المواد التي نشاهدها في حياتنا اليومية سواء كانت الحية او غير الحية.

كوكب الارض الاصلي قبل وصول اي نوع من انواع هذه الترددات هو مجرد مغناطيس تجريدي سابح في الفضاء له قطبين كأى مغناطيس اخر تراه في حياتك اليومية.. تخيل فقط اقطاب مغناطيسية تشبه النفاحة سابحة في الفضاء لها قلب مركزي متفجر وخالية من اي قشرة خارجية. اي ان القشرة الخارجية لكوكب الارض وفق نظرة الخيمياء ناتجة من انجذاب طاقات الكواكب الى هذه البؤرة المغناطيسية ومن ثم تفاعلها وانتاج كل هذه المواد التي تراها امامك والتي ترجعها الخيمياء الى العناصر الاربعة وانعكاساتها الارضية.

لو تحدثنا بلغة الخيمياء التجريدية فسنقول ان كوكب الارض او الارض الخيميائية هي الانثى التي تم خلقها اول مرة والتي احد اهم خصائصها او خصيصتها الوحيدة في مراحلها الخلقية الاولى هي الجاذبية او جذب الاشياء او بمصطلح تجريدي اكثر جذب

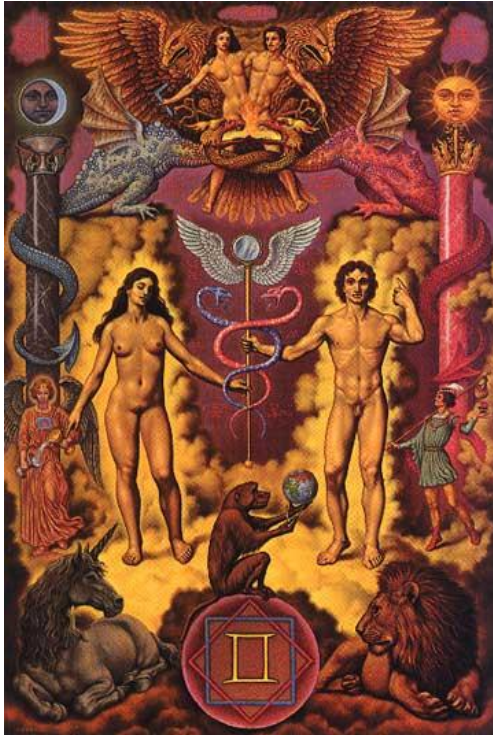
الطاقات الذكورية الملقحة لها. يمكن تجريد الانثى (اي انثى) من كل صفاتها (العرضية) الا صفة واحدة هي بحق الصفة (الجوهرية) الوحيدة للانثى وهي خاصية الجذب.

طاقات الاجرام السماوية او لنقل فيوضات السماء ستكون هي الماء الذكري الملقح لهذه الانثى والمنجذب لها والمتدفق اليها ابدأً والذي هو بعد تلقيحها مصدر التكاثر والنماء.

فهم هذه الحقيقة الخيمائية هو الاساس لفهم موضوع الزواج المقدس او الزواج الخيميائي الباطني وكل رموزه التي تأخذ دائماً اشكال جنسية ذكرية وانثوية وهي تعني في الحقيقة الاتحاد بين فيوضات السماء الذكورية و الارض الجاذبة العذراء التي منها يولد كل شيء وهي العذراء الابدية.

التدفق او الدفع او الرجوع او الحركة الموجية او الانقباض والانبساط المتتابع هي اهم صفة من صفات الطاقات السماوية المذكورة. وهي مازالت ملازمة لأي عملية دفع ذكري حتى في اقل جزئياتها شأناً. وما شكل الحركة الموجية في الرسومات الفيزيائية الا انعكاس لهذه الحقيقة التي يميل الخيميائيون الى التعبير عنها بالافاعي ذات التحرك الموجي بدلاً من ذلك.

الانشقاق او التصدع او الصدع ثم الالتام هي اهم صفة انثوية ما زالت ملازمة لها حتى في اقل انعكاساتها شأناً. وكلتا العمليتان الرجوع والصدع هي اساس عملية التكاثر الجنسي المجرد او الزواج الخيميائي بلغة الهرمسين (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ، إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) وكل سورة الطارق هي نص خيميائي ممتاز لتوضيح فكرة الدفع والرجوع والفعالية السماوية من جهة، مقابل الانشقاق والصدع والانفعالية الانثوية من جهة اخرى، والتي يميل الخيميائيين لتوضيحها بصور عن الفرج والقضيب الذكري كأوضح مثال عن الصدع والرجوع او عن تفاعل طاقات السماء مع جاذبية الارض. وما اشتغال نيوتن بالجاذبية وكشفه اسرارها الا لخلفيته الخيمائية العظيمة عنها والغنية عن التعريف.



بالرغم من ان كل موجود على وجه الارض يحتوي في تكوينه على كل الفيوضات السماوية (بحسب الرؤية الخيمائية) الا ان هناك خصوصية لموجودين من هذه الناحية. الاول هو الانسان الذي يجب ان يكون قد حاز على نسب متساوية (نوعاً ما) من كل الطاقات وان كان قد انحرف بسبب الكثافة لنوع من هذه الطاقات لاشراقها في السماء لحظة مولده, او لاسباب تتعلق به شخصياً وبطريقة حياته الارضية, الا انه ما زال قادر على ان يصل مرة اخرى لمرحلة التوازن المهمة وان يعادل من مستويات طاقاته بنفسه ليصل الى ما يدعى بالاورورا او حجر الفلاسفة البشري. اي ان فضيلة الانسان على باقي الموجودات خيميائياً هو وجود كل انواع الطاقات داخله واستعداده الوجودي لأن يميل بكفة ميزانه الى اي جهة من الجهات التي يرغب, وبذلك يكون الموجود الوحيد غير المحكوم بقوانين الكون الصارمة, وهو يمتلك مستوى حرية تؤهله لكسرها متى ما عزم على ذلك وان كانت كل طاقات السماء بعكس ما يريد, وهي منزلة لم يصل اليها موجود من الموجودات قبله. ولذلك ترى عدم اهتمام الاديان السماوية التوحيدية الحقة بموضوع الابراج والكواكب وتأثيراتها على الانسان لتحرره الباطني منها منذ زمن, الا من اراد هو بنفسه الرجوع للاحتكام الى قوانينها الصارمة.

الموجود الاخر المميز من الموجودات الارضية هي المعادن. وهي على العكس الانسان يكون تميزها على انها معكوس لحالة التوازن تماماً. اذ ان المعادن هي ميل الى التطرف في حيازة نوع واحد من الطاقة او غلبة نوع واحد منها على كل الانواع الاخرى. ويكون تكاملها في تخلصها من كل الطاقات الاخرى غير الطاقة المرتبطة بكوكبها المقابل لها, وهو عكس التكامل الانساني -كما قلنا- اذ انه خيميائياً الوصول لحالة التوازن بين كل الطاقات وليس الاقتصار على احدها.

سلم الكواكب السبعة هو تمثيل لمراحل التحول التي يسلكها موجود من الموجودات ضمن رحلته التكاملية او التساقلية وربط كل مرحلة بكوكب يحكمها ومقابل معدني له. وهي مراحل رمزية لحالات شعورية قلبية قبل كل شيء تظهر على شكل افعال واقوال لصاحبها يمكن للمطلع ان يعرف المرحلة التكاملية لصاحبها منها وان بشكل اجمالي. وتكون بدايتها من ابعد كوكب وهو زحل الذي يمثل ادنى موقع تكاملي مروراً بالمشتري والمريخ والزهرة وعطارد ومن ثم القمر والشمس ومقابلاتها المعدنية.

ويجب التركيز مرة اخرى على ان التكامل البشري لا يشابه التكامل المعدني الذي هو عملية طرح للطاقات والتخلص منها فقط وصولاً الى نوع واحد منها بينما التكامل الانساني هو عملية اضافة للطاقات والاستزادة منها من جهة, وطرح الطاقات السلبية

والتخلص منها من جهة اخرى. وبلغة الباطنيين نقول ان عملية التكامل المعدني هي عملية (تخلي), فقط بينما التكامل الانساني عملية (تخلي) ومن ثم (تخلي). فلذلك اقتضى التنويه من البداية.

الامر بالانسان اشبه برحلة الشمس في السماء بين الابراج, اذ انها تبدأ رحلتها في الشتاء الذي هو رمز للحياة المادية الباردة, من برج الجدي والدلو المرتبطين او المحكومين من كوكب زحل ادنى المراحل التكاملية, والذي تعتبر مرحلة تخلي بالنسبة للانسان, ثم تمر بكل الابراج واحداً بعد واحد وكل منهم محكوم بكوكب ما, حتى الوصول الى فصل الصيف المحكوم بالشمس والقمر والذان يمثلان التحلي, ثم الانحدار مرة اخرى الى اسفل سافلين للعودة الى كوكب زحل وهكذا.

الجدول الاتي هو من ضمن ما يسمى بجدول التقابلات وهي جداول تهتم بربط الحقائق الجزئية معاً ضمن حقيقة كلية واحدة. وهي انواع عديدة جداً من الجداول منتشرة في مخطوطات الخيمياء ندرج منها الاتي كمقدمة لفهم القادم من المواضيع:

الكوكب	المعدن المقابل	العملية الخيمائية	النموذج الحركي	البرج المقابل
زحل	الرصاص	التكلس, الجفاف (الاحراق) (تكوين الرماد)	الانقباض, الطاعة والالتزام الكمون (الطاقة الكامنة)	الجدي والدلو
المشتري	القصدير	الاذابة, الترطيب (التحول الى الماء)	التوسع, الحرية, الانفتاح	القوس والحوث
المريخ	الحديد	الفصل	التأكيد, العناد, البأس, القوة الداخلية	الحمل والعقرب
الزهرة	النحاس	الاضافة, الاقتران,	الانفعالية, الانثوية, الحدس, الكشف العرفاني.	الثور والميزان
عطارد	الزئبق	التخمير, الهضم	التحول من حال الى اخر, الفعالية الذكورية, العقل, التنوير	الجوزاء والعذراء
القمر	الفضة	التقطير, التسامي, التبخير	التنقية, قوى العقل الباطن, الادراك القلبي, الربط بين الجسم والروح	السرطان

الشمس	الذهب	التكثيف, التثبيت, التكاثر, التضاعف, الطرح او الالقاء	التحلي بالقوة المطلقة, الخلق والابداع, قوى النفس الناطقة	الاسد
-------	-------	--	---	-------

قبل ان نبدأ باستعراض مراحل عملية التحول الكيميائي يجب ان نذكر مرة اخرى بأن كل مواضيع علم الباطن تتبع قاعدة التكرار, او ما عبرنا عنه بالكون المتكرر في كتاب حبة الرمان, وهو ان الحقيقة العلوية المنعكسة في العوالم السفلى تستمر في الانعكاس مرة بعد اخرى في كل عالم من العوالم. مثلاً تقسم الكون الى سماء وارض سنجدّه يبدأ من اول لحظات الخلق بعد ان تمت شهادة الشهود وتحول بحر العماء العظيم الى جزئين احدهما علوي فاعل والاخر سفلي منفعل, سماء وارض. في مستوى اخر من الوجود او قل في زاوية اخرى من الادراك ستكون السماء الفاعلة هي العالم الروحاني بكل موجوداته وستكون الارض المنفعلة هي العالم المادي بكل موجوداته. في زاوية رؤية اخرى ستكون السماء هي الجزء غير المرئي من الوجود وستكون الارض هي الجزء المرئي منه وبذلك ستكون كل الكواكب والاجرام السماوية هي ارض من هذه الزاوية وهكذا.

اغلب التطبيقات الخيمائية العملية لا تفصل بين السماء والارض او لا تلتفت لها التقسيم, بل هي تتعامل مع الطاقات المجردة بما هي طاقات مجردة ذكرية او انثوية وتدخلها في التفاعلات المطلوبة. مثلاً طاقات كوكب الزهرة هي طاقة ذكرية بالنسبة للارض ولكنها طاقة انثوية قياساً بطاقة عطارد مثلاً ويتعامل معها الخيميائي على انها طاقة انثوية لها تطبيقات معينة. حتى في الخيمياء النفسية تتداخل هذه المفاهيم بشدة ولا يمكن وضع طاقة ما او اي موجود من الموجودات ضمن خانة الذكورية او الانثوية بشكل كامل الا وهو داخل سياق معين والموضوع كله اعتباري.

المراحل الخيمائية السبعة والكواكب المرتبطة بها:

1- مرحلة زحل (كورونوس)(طاقات زحل السوداء):

زحل هو اخر الكواكب (القديمة) في المجموعة الشمسية وهو ابطأها حركة وابردها واكثرها عتمة. يبدو في السماء في الشتاء والى جهة الشمال, وله لمعان باهت يميل الى الاصفر او الرصاصي الباهت. يمتاز ايضاً بوجود هذه الحلقة حوله المتكونة من ملايين الاحجار التي تدور حوله وله عشرة اقمار.

هذه الاقمار الكثيرة التي احدها قريب من حجم الارض وهذا العدد الهائل من الصخور التي بعضها عملاق بالحجم ناتجة من قوة الجذب الهائلة التي يمتلكها هذا الكوكب والتي جعلت منه ما يشبه الشمس التي يمكن ان تدور حولها اجرام سماوية اخرى. اي ان زحل هو شمس مصغرة معتمدة اذا صح التعبير.



تقول الاسطورة ان زحل بعد ولادته تنبأ والده انه سيكون شر مطلق على الوجود ولذلك حبسه في كهف مظلم لفترة طويلة, ولكن امه قامت بتحريره منه, وما ان نال حريته حتى قام بقتل ابوه واخذ مكانه في السماء. وثم شرع بالتهام ابناءه بعد ولادتهم مباشرة حتى لا يحل احد مكانه. وهنا تدخلت زوجته واخفت احد الابناء عنه, حتى كبر واشتد ساعده ليقوم بذبح والده واخذ مكانه, وكان هذا هو المشتري. وهذه الاسطورة فيها من الرمزية المهمة ما يعجز عنه البيان.

عد البابليون زحل شبح الموت واعتبروه اقدم روح سماوية من بين باقي الارواح. وهو في عرفهم المكان او السبب الذي منه تأتي الحياة المادية او الوجود المادي القابل للدراك بالحواس كما نعرفه الان. وهو الوجود الذي يتعلق بالقوانين المادية الفيزيائية والكيميائية الصارمة التي لايمكن كسرها. والتي تحكم الوجود المحسوس كله. والحياة



المادية في علم الباطن هي موت حقيقي او مرض يصيب الروح, ومعنى قتل زحل لابييه والسيطرة على مقاليد الحكم هو انتصار المادة على الروح او شيوع الرؤية المادية للوجود والاقتصار عليها وعدم السماح لأي رؤية اخرى من المنافسة. وهو معنى التهام زحل لأخوته. شيوع المادية والاحاد في حضارة ما هو السبب وراء نزول العذاب السماوي. ونقصد هنا المعنى الحرفي من السبب اي قوانين العلة والمعلوم. اذ ان سيادة المادة على الرؤية الوجودية لحضارة ما سيؤدي (خيميائياً) الى انفصال عن الروح (الخيميائية) التي هي اصل الحياة والصحة وبالتالي شيوع المرض والموت حتماً.

رمز زحل الخيميائي هو هذا الصليب الذي ينتهي بشكل يشبه السوط او المنجل. الصليب هو رمز لاتحاد العناصر الاربعة, والتطاول للأسفل يرمز الى الحياة الارضية المادية او سيادة عنصر التراب عليها, وتطاوله بهذا الشكل او تحوله الى منجل او سوط يشير الى التطرف الحاصل في الرؤية او التوجه المادي البحت لحضارة ما بحيث تصل بها الى حافة الهلاك (المنجل) او العذاب (السوط), (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوُطَ عَذَابٍ).

هذا السوط او المنجل يظهر مادياً في الكوكب نفسه على شكل الحلقة التي تحيط به التي هي منجل حقيقي ذو حافة قاطعة او سوط ملتف حوله من جميع الجهات. هذه الحلقة المميزة لزحل ناتجة من جاذبيته العالية التي لا يفلت منها شيء. وهي خيميائياً ترمز الى الموت الذي لا يمكن لاحد النجاة منه او كل مصائب الدنيا من مرض او فقر او شديدة والتي لا مفر للخائضين فيها من النجاة منها. اي ان زحل هو الحياة الدنيا وكل الامها ومصائبها, والتي بالرغم منها ومن وعينا بها ننجذب اليها بقوة لا مفر منها لاحد الا لبعض اولياء الله وخواصه).

الحياة الدنيا او زحل من وجهة نظر الخيمياء هي عملية انقباض للقوى الروحية وتمركزها في منطقة ضيقة حرجة بحيث تفقد الكثير من امكانياتها او كلها, ولذلك فزحل مرتبط بالمقبرة وبكل منطقة ضيقة حرجة تحشر فيها الاشياء او الموجودات حشراً وتفقد حركتها وانطلاقها وتوسعها. ولذلك ارتبطت طاقات زحل بالامراض التي تصيب الجهاز التنفسي وتجعل النفس والذي هو رمز الحياة والتوسع ضيق حرج, او الامراض التي تصيب المفاصل والعظام وتحد من حركة اصحابها.

زحل كمفردة يعني التباعد والتتحي، ويقال زَحَل عن مكانه اي تباعد وتتحى. وهو مرتبط بالفراق والاحزان والبعد والتباعد. بدءاً من الحزن الاعظم الذي ينتج عن تباعد الروح عن عالمها السماوي والذي ترمز له اول صرخة بكاء للطفل حين الولادة ثم ينتهي بالحزن الاخير الذي يصاحب الميت وهو يعود الى عالمه السماوي. ارتباط الحزن ببدء وجود الانسان في هذه الحياة وخروجه منها يعود الى الجذر الرمزي لزحل.

لكن زحل له وجه اخر تماماً، اذ ان الزوال والبعد ليس سلبي دائماً وان كان صعب، ولذلك ارتبط زحل بعملية الحراثة والبذر عن الرومان. وما البذر الا عملية فصل للبذور عن شوائبها ودفنها في الارض لخلق عالم جديد. لو امعنت النظر لوجدت ان الحقول هي مقابر من نوع ما. وان الفلاح هو دفان من نوع اخر، يمسك منجله ليحصد القديم ثم يفصل البذور ويدفنها مرة اخرى لانتاج العالم القادم.

هذه الحياة الدنيا من وجهة نظر علوم الباطن وكل الاديان السماوية هي مرآة عظيمة تظهر فيها الحقائق العلوية وتصبح قابلة للادراك، وعندها يتم الفصل بين صالحها وطالحها وكل منهما له مصير مقدر، وهي رمزية الحنطة والزوان التي جاءت في الانجيل (الزَّارِعُ الزَّرْعَ الْجَيِّدَ هُوَ ابْنُ الْإِنْسَانِ. وَالْحَقْلُ هُوَ الْعَالَمُ. وَالزَّرْعُ الْجَيِّدُ هُوَ بَنُو الْمَلَكُوتِ. وَالزَّوَانُ هُوَ بَنُو الشَّرِّيرِ. وَالْعَدُوُّ الَّذِي زَرَعَهُ هُوَ إِبْلِيسُ. وَالْحَصَادُ هُوَ انْقِضَاءُ الْعَالَمِ. وَالْحَصَادُونَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ. فَكَمَا يُجْمَعُ الزَّوَانُ وَيُحْرَقُ بِالنَّارِ هَكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ هَذَا الْعَالَمِ: يُرْسَلُ ابْنُ الْإِنْسَانِ مَلَائِكَتُهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَقَاعِلِي الْإِثْمِ وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ. حِينَئِذٍ يُضِيءُ الْأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ آبِيهِمْ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ).

طاقات زحل هي اهم طاقات بالنسبة للخيميائي، ومرحلة زحل هي المرحلة الاولى من مراحل التحول سواء على المستوى المادي او الروحي والنفسي. في ارض زحل السوداء يبذر الخيميائي بذوره وينتظر نموها كما يبذر الفلاح بذوره في الارض الخصبة. وعلى ارض زحل او في مستوى زحل التكاملية يكون صراع الاولياء مع الشياطين على السيادة. اذن زحل هو القاعدة والمنطلق والنقطة التي يبدأ منها كل شيء واليه يعود كل شيء.

المعدن المقابل لزحل هو الرصاص. والرصاص وزحل هما في الحقيقة جزئيتان او انعكاسان مختلفان لحقيقة متعالية واحدة، كما ان هناك انعكاسات اخرى لهذه الحقيقة في

مستويات مختلفة منها النفس البشرية والروح والمجتمع وعالم الحيوان والنبات وغيرها، وكلها في منطق الطير واحد. والحكيم الخيميائي يتمكن من معرفة خصائص كل جزئية من الجزئيات بمعرفة او دراسة احدى هذه الانعكاسات فقط.

الرصاص هو ارفع المعادن (اخصها بالمصطلح الخيميائي) ولكن رغم هذا يوليه الخيميائيون اهتمام كبير، بل انه اهم معدن بالنسبة لهم، لانه ببساطة التراب او التربة الخصبة (السوداء) التي يتم فيها بذار بذور المعادن النفيسة لاستزراعها واستكثارها. يسميه الخيميائيون احياناً بالتنين النائم او العملاق النائم اشارة الى الطاقات العظيمة الكامنة فيه.

الرصاص هو اقدم المعادن على الاطلاق (كما ان زحل اقدم الكواكب) وهو يبتلع كل طاقة تمر فيه ويستوعبها في داخله ولا تخرج منه ابداً لذلك يتم استخدامه في جدران غرف الاشعاع المختلفة، اذ انه المعدن الوحيد الذي لا يمكن للطاقات اختراقه وهو يحتويها ويمتصها بسهولة بدون اي تغيير يطرأ عليه. يسموه احياناً العنيد او المشاكس او صعب المراس لهذه الصفة بالضبط.

كل انواع المعادن في الطبيعة تسير نحو التحول الى رصاص شيئاً فشيئاً ضمن قوانين لها علاقة بالزمن وتسمى قوانين عمر النصف، ويمكن للقاريء الاطلاع عليها في الكيمياء الفيزيائية. وما يهمنا هنا هو ان الزمن في زحل يتوقف، والمقصود بالزمن الزمن الخيميائي مار الذكر والذي هو القدرة على التحول. اذ ان كل شيء في الطبيعة يسير نحو التحول الى رصاص شيئاً فشيئاً، الا الرصاص نفسه الذي هو القاعدة الدنيا والمستقر النهائي لكل تحول. وهنا قد يعترض علينا معترض ويقول اننا قلنا ان السيرونة الكونية تكون باتجاه الترقى وليس الانحدار. ونقول في الرد ان الترقى الروحي المقصود يصحبه دائماً انحلال للجساد وتلاشي للمواد الحسية وتحولها الى مبدأها الاول الذي هو التراب بالنسبة للحياة والرصاص بالنسبة للمعادن.

هذا من جانب، من جانب اخر فإن للرصاص والذهب علاقة عجيبة ستتوضح تباعاً، وقد اشرنا الى جزء منها في المواضيع السابقة، وقلنا ان اسفل سافلين (في شجرة الحياة الكباليستية) المتمثلة بالمرحلة ملكوث هي نفسها كيثر او اعلى نقطة منها والتي تمثل الذهب يتحدان معاً في نقطة واحدة بحيث يكون اعلى شيء هو نفسه اسفل شيء من مرحلة لاحقة وهكذا. اي ان نقطة وجودية واحدة تجمع اعلى عليين مع اسفل سافلين

وكانهما كيان واحد. اي ان السير نحو الترقى يستلزم الوصول الى ادنى نقطة من المرحلة اللاحقة (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ).

مفردة الملك في الخيمياء تطلق على الذهب وعلى الرصاص معاً. والرصاص من وجهة نظر الخيمياء هو الملك ولكن قبل التنويع, او هو الملك بالولادة (بالقوة بحسب الاصطلاح المنطقي) الذي لم يقطع مراحل التكاملية الخاصة به والتي تؤهله لنيل التاج والصولجان ليصبح ملك (بالفعل). اي ان شخصية الملك ما زالت كامنة فيه وان لم تخرج بعد الى الخارج. واساطير كثيرة تشرح بطريقة الرموز هذه الحقيقة, منها اسطورة ملحمة كلكامش التي تجعل لكلكامش ملك اوروك شخصيتين احدهما قبل القيام برحلته المعروفة والاخرى بعدها. وتجعل صفات مثل الطمع والعدوان والظلم والجهل مرتبطة بالحالة الاولى (لم يترك جلجامش ولدا لابييه, واستمر ظلمه ليل نهار, جلجامش ملك اوروك ذات الاسوار هو راعينا القوي الجميل العارف, لم يترك بنتا لامها, او ابنة مقاتل او زوجة بطل, وكان لالهة يسمعون بكاءهن).

معدن الرصاص رغم كل مقاومته العجيبة للمذيبات القوية, وكل ثباتيته واستقراره الكيميائي وكل قدراته الكامنة فيه وكل امكانياته في امتصاص كل الاشعاعات حتى النووية منها, لكنه يخضع بسهولة امام النار ويمكن لدرجة حرارة بسيطة ان تذيبه وتصهره بالكامل وهذه نقطة مهمة ستتوضح اكثر بعد.

علاقة الرصاص بالذهب والفضة علاقة عجيبة. اذ ان الذهب والفضة دائماً ما يوجدان معاً في خام الرصاص المستخرج من المناجم. ويعرف عمال التعدين ان منجم من المناجم يحتوي على خام الرصاص من دقائق الذهب والفضة التي يجدونها مخلوطة مع الصخور فيه. وهذا ما يسميه الكيميائيون حُب الرصاص للذهب او خضوع الرصاص للذهب والفضة وارتباطه معهما في علاقة عشق عجيبة. في احدى الممارسات الكيميائية المعروفة وللحفاظ على الفضة المنصهرة من التعرض للاوكسجين والتأكسد يقوم الكيميائيون بوضع كمية من الرصاص مع الفضة ويذبيانها معاً, يقوم الرصاص مباشرة بتشكيل جزء عازل يرتفع الى الاعلى ويعزل الفضة تحته من التعرض للهواء حتى يتم تنقيتها بالكامل ثم شيئاً فشيئاً يتطاير الرصاص ويتبخر تاركاً الفضة النقية دون ان يمسها السوء. يسمي الكيميائيون هذه العملية بالنظر الى الملكة (الفضة) من وراء حجاب او من خلف الحجاب (الرصاص), او التضحية بالعملاق في سبيل الملكة. وكأن الرصاص يضحي بنفسه مختاراً في سبيل مجد الملكة الكونية الحقّة.

لنتذكر ان الرصاص وكوكب زحل هما انعكاسان لحقيقة متعالية قد تكون حتى غير قابلة للتسمية والتي تنعكس في مستويات اخرى من الوجود واهمها على الاطلاق في المجتمعات الانسانية. ولنطلق على هذه الحقيقة الاسم الكباليستي لها وهو القاعدة, او الجسد (يسود), والذي يمثل النواة او المرتكز المادي الذي يبدأ منه كل شيء. بالنسبة للكوكب زحل ستكون طاقاته هي القاعدة التي تنتج الحياة الدنيا وان كانت هي الموت بعينه او مرتبطة بالموت والتفسخ والانحلال. بالنسبة لمعدن الرصاص سيكون هو القاعدة والمنطلق او الارض التي سيتم فيها استزراع الذهب او الفضة وان كان هو اخلل واخس العناصر واكثرها ثقلاً وثبات. بالنسبة للطبيعة من حولنا ستكون القاعدة هي الارض او التراب او التربة الخصبة (السوداء) الصالحة لانبات البذور واستكثارها وان كانت هي بنفسها مادة خاملة ثقيلة غير قابلة للحياة, بل هي مكان التفسخ والانحلال, وحاضنة جنث الاموات.

لكن اهم انعكاس لحقيقة (القاعدة) المتعالية تاريخياً هم بني اسرائيل اللذين تشير صفاتهم المذكورة في الكتب المقدسة الى انطباق عجيب مع هذه الحقيقة العلوية. بدءاً من العذاب الذي كانوا يتجرعونه على ايدي فرعون مروراً بصفاتهم السيئة الاخرى وتناقضها مع بعضها, واختيارهم ليكونوا شعب الله اي اختيارهم للتحويل الى اعلى درجات التكامل او ليكونوا المنطلق او القاعدة التي تبدأ منها رحلة التكامل الالهي. والتي يبدو انها لم تكتمل في ذلك الحين ليستلم الراية منهم العراق وشعبه من طائفة الشيعة اللذين اصبحوا مصداق حقيقي لهذه الحقيقة خلال رحلة تكاملهم الطويلة.

ارتباط اسم ارض السواد بالعراق قد كنا قد اشرنا اليه قبل ذلك, والمتأمل لحال العراق واوضاعه يمكن ان يلاحظ بشيء من الوضوح انطباق الحقيقة (الزحلية) عليه وكيف انه ارض الموت والحياة بنفس الوقت, وانه وان كان من اكثر بقاع الارض عذاب والم وموت الا ان الجميع يعرف كم الطاقات الكامنة لديه وكيف انه كان المبدأ والقاعدة التي تنطلق منها الحضارة بعد فناءها في كل حين.

اما الشيعة سكان هذه البقعة فما اوضح انطباقهم على الرصاص. رغم جهل اغلبهم ورغم العادات والتقاليد البائسة المنتشرة بينهم ورغم قبوعهم في اسفل سلم الحضارة الانسانية, الا ان الطاقات الكامنة فيهم عصية على الانكار. صبرهم وجلدهم وقوة تحملهم للعذاب والويل والمصائب يقابلها قوة تحمل الرصاص وامتصاصه لاعتى الاشعاعات النووية. عشق الرصاص للذهب والفضة وخضوعه امامهما وامتزاجه الدائم بهما هو عشق الشيعة الفطري للذهب والفضة البشريين اولياء الله واحباءه من

اهل البيت وامتزاجهم بهم وخضوعهم لهم من دون كل سكان الارض. حتى منظر قباب مراقدين اولياء الله الذهبية وانتشارها في ارض العراق ارض السواد هي تكرار لمشهد حبوبات الذهب المنتشرة في خام الرصاص الاسود داخل المناجم. ذوبان الرصاص السريع في النار هو ذوبانهم الشعوري السريع امام الاولياء الالهيين او ذكراهم الالهية (النار الالهية), وتضحية الرصاص من اجل الملكة, هو استشهادهم في سبيل نصره الاولياء, وتحملهم مشقة التشيع ومسؤوليته الثقيلة بثبات وصبر وجلد الرصاص وتضحيتهم في سبيل ملكته الحققة. ومصيرهم الحتمي هو مصير الرصاص الحتمي, وهو التحول الى ذهب نقي طاهر مطهر, او حجر فلاسفة يحيل كل من يمسه الى ذهب ابريز. وهم وبلادهم العراق المقدس سيكونون القاعدة والمنطلق والارض الخصبة السوداء لرحلة التحول العالمية المقدسة (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ , إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا). نعم انه كان ظلوماً جهولاً لأنه ما زال قابع في ادنى درجات التكامل المعنوي, ولكن حملة لهذه الامانة الثقيلة التي اشفقت الجبال عن حملها, وهي ان تكون قاعدة التكامل وارض التحول التي تتحمل اقصى درجات الالم والعذاب والمشقة بصبر وثبات وجلد سيحواله في النهاية من ظلم جهول الى عالم عادل طاهر مطهر.

2- مرحلة المشتري (طاقات المشتري السعيدة):

المشتري او جوبيتر هو ثاني اثقل كوكب بعد زحل واكبر كوكب من حيث الحجم. وهو كوكب غازي عملاق جاذبيته هي الوحيدة التي نخفف من جاذبية زحل وتعادلها, وله اربع اقمار ويمتاز بوجود هذه الدوامة الكبيرة على سطحه والتي تظهر على شكل عين عملاقه.

معادلته لجاذبية زحل هو المظهر الخارجي للتخلص من زحل او قتله في الاسطورة والتخلص من طاقاته السوداء. كوكب المشتري هو كوكب الطاقات الخيرة والابتهاج والسعادة. والمشاعر المرتبطة به هي مشاعر التفاؤل والخير المرتبطة دائماً بساعات الصباح الاولى بعد زوال ظلام الليل.

هذه الدوامة العملاقة الدائمة على سطحه تشير الى كم الطاقات او الفيوضات السماوية التي يتلقاها من دون كل الكواكب. اي ان المشتري هو كوكب الفيض السماوي الهائل. او هو الكوكب الذي تظهر فيه صفة تلقي الفيض على شكل هذه الدوامة العملاقة او العين العظيمة على سطحه, ولذلك فقد ارتبط باطنياً بالمرحلة التي يصل فيها (الموجود)

الى مستوى تلقي الفيض الالهي الهادر. وهو مرتبط دائماً بمخلوق القنطور (السينتاور) الذي هو مخلوق تركيبي بجسم حصان ورأس وجذع انسان ويحمل قوس في يده ومظاهر القوة والغلبة بادية عليه (راجع كتاب حبة الرمان).

مرحلة المشتري هي مرحلة انتصار الروح على المادة. او هو اول مرحلة من مراحل ادراك القدرة على ادراك الحقائق الباطنية الروحية المجردة عن مادياتها. وهذا سبب ارتباطه بساعات الفجر او الصباح الباكر حيث ما زالت الرؤيا مشوشة قليلاً وان بدت الاشياء تأخذ شكل الوضوح بعد انقشاع الظلام الدامس. واذا كانت المرحلة السابقة (مرحلة زحل) مرتبطة بالانقباض وضيق النفس, فان هذه المرحلة مرتبطة بالاتساع والتنفس (والصُّبْح إِذَا تَنَفَّسَ).

القنطور هو رمز للشخصية التي استطاعت ان تنتصر على ظلامها الداخلي ورؤيتها المادية الجزئية البحتة لتصل الى مرحلة الرؤيا المجردة او التعالي الادراكي او منطق الطير كما عبرنا عنه ويعبر عنه الكيميائيون في ادبياتهم. الحكمة التي حازها هؤلاء وان كانت في بدايتها وتحتاج الى تقدم في المراحل اكثر, الا انها قد تكون كافية لاختذ مكانة اجتماعية ما او لأن يكونوا حكماء وهداة سبيل لمن هم دونهم. ادراكهم سيكون قد خرج تواء من الادراك الطفولي الجزئي وقدرتهم على التعامل مع العلوم والمعارف اخذت تواء بالاتساع بعد الانقباض.

ارتبط هذا المفهوم عند الاقدمين بالهة مثل جوبيتر عند الرومان وزيوس عند الاغريق, وعند الهنود اخذ رمز الالهة انديرا. وكل الالهة القديمة التي ارتبطت بمفهوم الاتساع بعد الانقباض كانت ترتبط بالرعد او البرق لأنهما العلامة على نزول الغيث دائماً, او هما المقدمة او البشري التي عند حدوثها ستعلم ان الفرج قريب. في الدول الاسكندنافية كان ثور صاحب المطرقة او اله الرعد هو من يمثل هذا الرمز. في بابل كان الاله ادد او حداد اله الرعد والمطر, والذي يرمز له بالحصان وحيد القرن الذي هو ايضاً احد رموز القنطور هو التعبير المعروف عن هذه الحقيقة العلوية.

هذه المرحلة هي اقصر المراحل في التحول الكيميائي وقد تكون احياناً غير ملحوظة وينتقل (الموجود) الى مرحلة اعلى مباشرة بعد مرحلة زحل بدون ان يلحظ مروره بمرحلة المشتري. هي لحظات الصباح القصيرة المملوءة بالتفاؤل والابتهاج التي لا تلبث ان تختفي. او هي لحظة وميض البرق وهدير الرعد القصيرة قبل ان تهطل الامطار. ومضة قصيرة او لمحة امل وتفاؤل تعتري الموجود تبشره بزوال اطول

واصعب واخطر واشق مرحلة من مراحل التحول والترقي الكوني وهي مرحلة زحل
كما لا يخفى (وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ، وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ، إِنَّهَا لَإِخْدَى الْكُبَرِ، نَذِيرًا لِلْبَشَرِ، لِمَنْ
شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ). هي فعلاً لحظة توقف واختيار بين التقدم أكثر نحو
مراحل تكاملية أعلى أو بين استغلال القدرات الجديدة من أجل المجد ونيل حرث الدنيا.

في قصة يوسف الرمزية جاءت هذه المرحلة متمثلة بسنة واحدة بعد أربعة عشر عام
من الكد والعمل والتقشف (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ).
رمزية الغيث وارتباطها بهذه المرحلة القصيرة السعيدة أصبحت واضحة. والعصر هنا
هو وصول أغلب المجتمع في تلك المدينة تحت قيادة الولي الحق يوسف عليه السلام
إلى مرحلة منطق الطيور أو القدرة على الرؤية المجردة أو الاستخلاص العقلي المجرد
وترك الجزئيات. إذ إن عملية العصر التي تعتمد على فصل الجزء المفيد (من أي
شيء) واخذه ورمي (القشور)، أو التعامل مع
الكليات وترك الجزئيات. وهو بالضبط ما يقوم به
الواصلون إلى هذه المرحلة عند تعاطيهم مع
الوجود من حولهم.

24

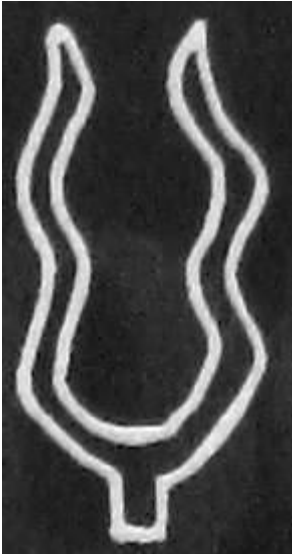
رمز المشتري هو صليب أصبح الجزء الأطول فيه
هو جزء الممثل لعنصر النار أو الروح وهو الجزء
المرتبط بالسماء المبدأ الفاعل الذكري. جزء التراب
أو الأرض من الأسفل أصبح أقل الأجزاء طولاً
كرمز لانتصار الروح على الجسد. ذراعه الممثل
للماء أصبح متطاول أكثر باتجاه السماء ويرسم شكل أشبه بالدوامة كرمز لبداية نزول
الطاقات الدوامية أو الفيوض الإلهية من السماء إليه، أو علامة لصعود عنصر الماء
لديه إلى الأعلى مع النار كرمز للتطهير الخيميائي وحسب ما جاء في كلمة عيسى عليه
السلام في بداية الفصل.

المعدن المرتبط مع كوكب المشتري هو القصدير والناظر إلى القصدير سيجده مشابه
جداً للرصاص مع مسحة لمعان ونقاء أكثر قليلاً. والقصدير مقاوم للعوامل الجوية ولا
يتأكسد. وعلم القصدير التي استخرجت من السفن الغارقة بعد مئات السنين كانت
بدون أي تغيير. ويرجع استخدام القصدير لصناعة علب حفظ الطعام إلى معرفة القدماء
بخصائص هذا المعدن وصفاته الباطنية. إذ إن الموجود الواصل إلى هذه المرحلة سواء
كان كوكب أو معدن أو إنسان أو أي موجود آخر لأن يأتي منه إلا خيراً وسيكون حافظ

وحامي ومدافع عمن هم دونه وان تعرض منهم للاذى. ويوجد في الطبيعة مخلوط مع الذهب والنحاس اغلب الاحيان. علاقته بالذهب قد تكون واضحة, اما علاقته بالنحاس فهو بسبب ذكوريته العالية التي تبدأ بالظهور عليه, ونقصد بها قوة التأثير في الآخرين والتي تظهر على شكل انجذاب النحاس له المرتبط بكوكب الزهرة ذا الطاقات المؤنثة. ويوسف عليه السلام قبل دخوله السجن وخوضه مراحل التكامل الاخرى كان مصداق واضح جداً لهذه الحقيقة بانعكاسها على المستوى البشري.

القصدير مرتبط ايضاً بالاصوات العالية الجميلة, وكان دائماً يستخدم في صناعة الاجراس, اذ ان صوته العالي والجميل الناتج من الطرق عليه يصل الى مسافات بعيدة. وهذا هو ايضاً انعكاس لأرتباط هذا المعدن بالحقيقة العلوية الممثل لها. التي تظهر على شكل اله يحمل مطرقة ليطلق بها على المعادن, او بشرى صوتية خلال الرعد قبل نزول الغيث. او على شكل (بشارة) يقوم بها رسل المسيح عليه السلام الى ارجاء الارض بعد ان خرجوا من ظلمات انفسهم واجتازوا مرحلة زحل داخلهم, او على شكل جرس يدعوا الناس ويذكرهم باوقات العبادة, او على شكل مؤذن, او حتى ديك مرتبط رمزياً باوقات العبادة كأنعكاس في عالم الحيوان (يهم بالاناث وتهم الاناث به). وكلها انعكاسات جزئية لحقيقة واحدة متعالية عصية على التسمية والبيان.

وكما ان الاذان هو اذن باقامة الصلاة بعد ان حان وقتها, وكما ان صوت الاجراس اذان بحلول وقت العبادة والاذن بالقيام بها, كذلك استشعار الواصل الى هذه المرحلة بمشاعر معينة يعرفها هو, وزيادة ادراك يختبرها بما لا يقبل الشك هو اذان من نوع معين وموافقة سماوية بالخوض في الاسرار الباطنية بعد ان اجتاز مرحلة الخطر من الوقوع في الشبهة والضلال وان كان ما زال قادراً على الضلال ولكن سيكون هذه المرة عن وعي واختيار.



درس الفيلسوف الالماني غوته بتعجب (وهو الخيميائي الباطني قبل الفيلسوف) حقيقة ان انتشار خام القصدير دائماً في مناجم تقع اسفل الخط او الزاوية التي يصنعها كوكب المشتري مع خط الاستواء في الارض. ووضع نظرية حول افضل اماكن التعدين لكل معدن تنطلق من موضع الكوكب المرتبط بها في السماء والزاوية التي يصنعها مع خط الاستواء. وكانت هذه النظرية مفيدة جداً في تحديد امكنة التعدين الصعبة التحديد والتي تحتاج الى اموال طائلة وجهود مضنية تنتهي احياناً

بالفشل. فلاحظ اهمية اسرار الخيمياء وتطبيقاتها والتي كانت فعلا المنطلق للكثير من العلوم والمعارف.

الغريب ايضا ان خام المعدن وهو في مناجمه يتخذ شكل الموجة المتعرجة (الزكزاك) داخل الصخور وهو نفس الرمز الذي كان مرتبط عند البابليين بالاله ادد اله الرعد, وهذا ما يسميه الخيميائيين ختم القصدير او ختم المشتري في القصدير.

3- مرحلة المريخ (طاقات المريخ الذكرية):

المريخ هو توائم الارض الاقرب, ويتشاركان معاً الكثير من الصفات منها الحجم وسرعة الدوران وزاوية الميل وغيرها. وكوكب المريخ مرتبط بـ برج الحمل, ونوعاً ما ببرج العقرب. ومن زاوية الباطن فهذا الكوكب يمثل الطاقات الذكرية في الكون, والمرتبطة بمشاعر الاندفاع والشجاعة والرغبة بالقتال والدفاع والتنافس.

المريخ وبرج الحمل مرتبطان دائماً بالوقت الذي يبدأ فيه الخيميائي بالعمل لأنجاز (العمل العظيم) بحسب تعبيرهم. وهو الهدف الذي يصبو اليه كل خيميائي وبحسب نوع الخيمياء التي يمارسها. الخيميائي النفسي يريد تحقيق أعلى درجات التكامل والاستقرار النفسي والشخصية القوية الكاريزماتية, الخيميائي الروحاني يريد تحقيق أعلى درجات التنوير الروحي والسيطرة على قوى الروح وتغيير كامل للكارما. الخيميائي المعلمي



يريد انجاز عمله بانتاج حجر الفلاسفة وهكذا. وكل هؤلاء يجب ان يبدأ عملهم في اليوم الذي يقع في منتصف الوقت بين برج الحمل والثور وهو اليوم العشرون من شهر نيسان, نهاية برج الحمل وبداية برج الثور. وينتظر الخيميائيين بفارغ الصبر المطر بهذا اليوم والذي يعتبر عندهم اثنان مادة كيميائية ممكن ان يحصلوا عليها. اذ ان المطر في هذا اليوم سيكون محمل بطاقات برج الحمل والثور التي تحوي كل العناصر الاربعة المعروفة والتي هي القاعدة والاساس لكل اعمال الخيمياء على اختلاف انواعها.

يبدأ عمل الخيميائيين من الليل, حيث يضعوا اواني خاصة مصنوعة في الغالب من الحديد (وهو المعدن المرتبط بالمريخ) ويغطونها بقطع قماش رقيقة لكي يتجمع فيها الندى ويقطر داخل الاواني. يقومون بجمع الندى في هذه الليلة حتى يضمّنوا حصولهم على الماء المشبع بطاقات الحمل والثور حتى لو لم يكن هناك مطر. هذا الماء الخيميائي المبارك هو مفتاح التضاعف او التكاثر الذي يبحث عنه الخيميائيون, وقد جاءت اشارة عنه في النص الاتي وكيف ان الطل او الندى او البلل القليل يكون كافي في حالة عدم وجود المطر (كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْهُ أَكُلُّهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ, وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). والصورة مما يعرف بالكتاب الصامت, وهو كتاب عن طريقة تحضير حجر الفلاسفة يعتمد كله على الصور وبدون كلمة واحدة, والصورة في الاعلى هي المرحلة الاولى من العمل والتي تبدأ عند الوقت الذي يحضر فيه الثور والحمل والذي يقترن بنزول طاقات عظيمة من السماء كما هو واضح.

من الجدير بالذكر ان عملية عصر القماش المشبع بالندى يجب ان تتم من زوجين ذكر وانثى ووفق طقوس خاصة, منها ان يهمل الماء الذي يلامس ايديهما, ونلاحظ كيف ان الصورة تركز على ان الماء نازل فقط من المنطقة في الداخل البعيدة عن ملامسة الايدي. والاناء يجب ان يكون من الحديد كما تشير اغلب النصوص المتعلقة بذلك. حتى جهة وقوف الرجل والمرأة يجب ان تراعى على ضوء موقع الشمس والقمر في السماء. وما زالت هناك قصص عن اهمية امطار نيسان وعلاقتها ببعض الطقوس الدينية او الشفاء من الامراض.

في الحقيقة ان المفردة التي تشير الى برج الحمل في اللغة الاغريقية القديمة هي (اريس) وهي تعني كوكب المريخ ايضاً, وكلاهما يعني الذكر او الحياة التي تبدأ من الذكر او من امكانية الذكر على الاخصاب والتلقيح. وللمريخ علاقة ايضاً -كما اوضحنا- ببرج العقرب والذي يشير هو الآخر الى عملية بداية مرحلة جديدة بعد التخلص من المرحلة السابقة ولواحقها او الكارما بحسب اصطلاح الروحانيين. وعلاقة برج العقرب او رمز العقرب بالكارما اوضحناها في كتاب حبة الرمان فراجع ان احببت.

المعدن المرتبط بكوكب المريخ هو الحديد ولون كوكب المريخ الاحمر هو لوجود وفرة من هذا المعدن في تربته. ولون التراب الاحمر على الارض يعود ايضاً لهذا المعدن. بشكل عام يرتبط الحديد باللون الاحمر ارتباط وثيق جداً. وكل (موجود) يدخل الحديد

في تكوينه يأخذ ختم اللون الاحمر. والذي هو كيميائياً ناتج من اوكسيد الحديد او الحديد المرتبط بالاكسجين.

الكلام عن الحديد وشرح خواصه الباطنية من اصعب المهمات يكفي انه المعدن الذي نزلت سورة كاملة بأسمه في القران وتنتشر نصوص اخرى عنه في ايات متفرقة اضافية. وهو ايضاً من اهم المعادن الخيمائية ولا تقوم الخيمياء بغير الماء والحديد.

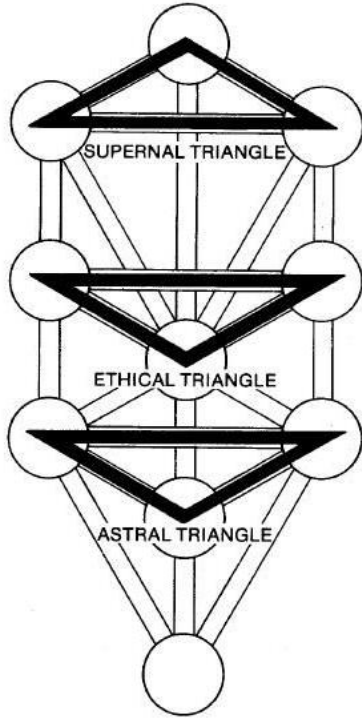
الحديد من وجهة نظر الباطن هو (حد) فاصل بين عالمين, وهو ايضاً عالمين متداخلين مرتبطين ابدأً. هو انعكاس ارضي لاول حقيقة وجودية تم ايجادها وخلقها من قبل (الشهود) السماويين. اي فصل الفوضى الاولى الى قسمين احدهما علوي وهو المبدأ الفعال الذكري والاخر سفلي وهو المبدأ المنفعل الانثوي و(الحد) او البرزخ او الحاجز بينهما. ولذلك جاء النص المتعلق بالحديد وهو يذكر الميزان ايضاً قبله (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ , وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ , إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ).

لاحظ شرف الحديد في هذا النص وكيف انه (تم انزاله) مع الكتاب والميزان. وكيف انه فيه بأس شديد ومنافع للناس وكيف انه مقترن بنصر الرسل بالغيب وبقوة الله وعزته.

التفسير التقليدي للحديد المذكور هنا هو السيف والسلاح الملازم للقوة والغلبة. وهذا صحيح في موضعه طبعاً. ولكن يبقى المعنى المشير للحقيقة الكلية وراء جزئية السلاح والمعركة يحتاج الى بيان قد يتوضح تباعاً.

تشير الخيمياء الى ان اصل كلمة حديد iron تعود الى الجذر اللاتيني iren والذي يعني المقدس او المعدن المقدس. وهو نفس الفكرة في النص المقدس سابق الذكر وهو ان الحديد نزل مع الكتاب والميزان من السماء. عملية الانزال هذه طبعاً هي عملية انعكاس لما في الاعلى فيما هو في الاسفل بحسب القوانين الهرمسية مارة الذكر, والتي تشير الى ان كل ما في الاسفل هو انعكاس لما في الاعلى. ولكن التأكيد على حقائق بعينها بانها قد تم انزالها بصفة خاصة من بين كل الحقائق الاخرى يشير احياناً الى اختراق للعالم الاوسط بشكل من الاشكال.

المطلع على عقائد الكبالا يعلم انها تقسم الوجود الى ثلاث مستويات (داخل العالم الواحد) روح ونفس وجسد. وهو نفس التقسيم الذي تعتمد الخيمياء ولكن بلغتها, اذ



تقسم المواد الخيمائية الرئيسية الى كبريت وهو الروح وزئبق وهو النفس وملح وهو الجسد.

العالم الحقيقي عند الباطنيين هو عالم الروح فقط وكلا العالمين الآخرين النفس والجسد هو انعكاس للحقيقة الاولى الروحية المطلقة. النفس هو اول انعكاس للعالم الروحاني ومن ثم الجسد الذي هو انعكاس للانعكاس. واذا علمنا ان كل انعكاس يستلزم حتماً بعض التشويه سيكون الجسد هو العالم او المستوى الاكثر تشويهاً من الوجود. النفس ستكون المستوى الاوسط في التشويه الحاصل بسبب الانعكاس. الروح او العالم الروحاني هو فقط الخالي من التشويه والذي بمعرفته يمكن معرفة الحقيقة المطلقة.

منطقة النفس هي المنطقة الوسطى -كما قلنا- وهي المنطقة التي تسرح فيها مخلوقات تجريدية لا جسدية مثل الشياطين او الملائكة وغيرهما. وكل او اغلب مواضيع علوم الباطن هي للتعاطي او فهم هذا المستوى الاوسط من الوجود، والذي بادراكه او ادراك جزء منه يمكن ادراك العالم السفلي او الجسدي الذي نقبع فيه الان بشكل اعرق يؤهل صاحبه للسيطرة عليه والتفوق فيه. المثلثات في مخطط الكبالا هو اختصار تجريدي لهذه الحقيقة.

مفردة الانزال لموجود من الموجودات بصورة خاصة من العالم العلوي مباشرة الى العالم الاسفل او عالم الاجساد يؤدي لخروج هذا الموجود من سيطرة قوانين العالم الاوسط وارتباطه بالعالم العلوي مباشرة، وبذلك سيكون هو المسيطر على العوالم الوسطى وهو الغالب لها. هذا من جهة، ومن جهة اخرى سيكون هناك شغف كبير من موجودات العالم الاوسط للسيطرة عليه واخضاعه والاستفادة منه رغبة في زيادة القوة والسيطرة. كما هي رغبة من في الاسفل من السيطرة على العالم الاوسط لزيادة القوة والغلبة.

انزال الحديد من المستوى الاعلى مباشرة الى المستوى الاسفل وجعل اسراره بيد اوليائه هو هدية سماوية الهية للبشر تجعل مفتاح السيطرة على مخلوقات العالم الاوسط

بيدهم مباشرة وتجعلهم في مستوى اعلى من مستوى الشياطين وتجعل رقاب الشياطين خاضعة لهم وليس العكس. ويشير نص قراني اخر الى ان داود عليه السلام ومن ثم ابنه سليمان كان من الاولياء الذين حازوا اسرار الحديد الباطنية وذلك ما اهلهم مباشرة للسيطرة على مخلوقات العالم الاوسط من شياطين وعفاريت ومردة وخصوصاً سليمان الذي حاز اسرار النحاس ايضاً (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِىِ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ).

وصحيح ان السيطرة على اسرار الحديد تعني السيطرة على مخلوقات العالم الاوسط من شياطين وعفاريت وغيرهم. ولكن سيطرة او امتلاك احد هذه المخلوقات لاسرار الحديد تعني مشكلة كبيرة وفساد عظيم قد يحل بمن يحاولون الاتصال بهم او للواقعين تحت سطوتهم.

شغف مخلوقات العالم الاوسط بالحديد وطاقات الحديد يترجم احياناً الى شغفهم بالدم البشري او الحيواني وطاقاته التي تمثل لهم قوة عظمى وغذاء كبير. والقصص والاساطير تتحدث عن ممارسات سحرية يدخل فيها الدم المحمل بالطاقات الباطنية كطريقة لاستجلاب الشياطين عن طريق ممارسات التضحية البشرية او الحيوانية.

الحديد او اي قطعة من الحديد حتى ولو مسمار صغير ممكن ان تسحب كل الطاقات التي تنتج من ممارسة شيطانية تعتمد على الدم او اي نوع من انواع الممارسات الاخرى. ولذلك يحرص السحرة في اغلب ممارساتهم على عدم وجود ولو حتى مسمار واحد في المنضدة او الكراسي التي يجلسون عليها. قطعة الحديد هي كالمغناطيس الذي يسحب كل شيء اليه بالنسبة للطاقات الباطنية. وقد يمكن ان يكون وجود المسامير في سفينة نوح كان سبب رئيس لعدم صعود الكثير ممن ارتبطوا مع الشياطين بعهود الدم والطاقة في ذلك الحين (وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ) وان كانت القصة رمزية من وجهة نظر علوم الباطن.

الوصول الى مرحلة الحديد في التحول الخيميائي هو الوصول الى القدرة على التعاطي الواضح مع العوالم الوسطى وخصوصاً الشياطين التي تبدأ بفقد سيطرتها شيئاً فشيئاً

على الواصلين لهذه المرحلة. ينتج عن ذلك مباشرة قوة جسدية فائقة وزيادة في الهالة المحيطة بالجسم والتي هي في الحقيقة مجال مغناطيسي حقيقي اشبه بالدرع الحربي (الحديدي) تحمي صاحبها من هجمات الشياطين والارواح الشريرة. وتعتمد مباشرة على الحديد في الجسم والماء.

وكما ان الحديد يتحول الى مغناطيس ويمتلك مجال جاذب ونافر حوله كذلك الحديد الباطني (او حتى حديد الدم) يحتاج الى حث دائماً لزيادة قواه. هذا الحث اما ان يكون بمجاورة المغناطيس الحقيقي والمتمثل انسانياً بأولياء الله الحقيقيين او بالذكر والاستغفار والصلاة والصوم ومختلف العبادات التي هي عملية حث حقيقية لتكوين هذه الدرع (السابعة) حول الجسد. وما عملية الضوء بالماء الا عملية حث حقيقي بالمعنى الفيزيائي للكلمة تزيد من قوة الشحنة الكهربائية حول الجسم وتعتمد على الاحتكاك باتجاه واحد من الداخل الى الخارج مرة بعد اخرى (لأسباغ) الضوء.



لو جردنا كل الانفعالات والمشاعر البشرية من جزئياتها ورسمناها على شكل اسهم, سيكون لدينا سهمين فقط. الاول يشير من الخارج الى الداخل ويمكن ان نسميه القبول. والثاني يشير من الداخل الى الخارج ويمكن ان نسميه الرفض. مشاعر الحب او الرغبة والتي يتفرع منها الجوع والعطش والحاجة وكل شيء اخر هي مشاعر تتفرع من القبول, وهو ان هناك امر في الخارج تحتاج ان تجذبه الى داخل محيط الانا البشرية ليتم الاكتمال به.

مشاعر مثل الكره والغضب والدفع وغيرها من الحركات النفسية يمكن ان تختصر بسهم واحد يشير من الداخل الى الخارج وهو الرفض. المستوى الذي يصل اليه (الموجود) في رحلته التكاملية في هذه المرحلة هو التحول من القبول الى الرفض. او من الشحنة السالبة الى الشحنة الموجبة, او التحول من الانثى الباطنية الى الذكر الباطني. هي المرحلة التي ينتهي فيها تأثره بالمحيط الخارجي بواسطة درع (سابع) تكون حقيقة الحديد الباطنية هي المولدة له في كل مستوى من المستويات. الهالة التي حوله والمكونة من شحنات حديد الدم (الهيموكلوبين) على المستوى الجسدي هي انعكاس بهذا الدرع. الدرع الحديدية السابعة التي تغلفه في الحرب على المستوى المادي هي انعكاس اخر لنفس الحقيقة. اسباغ الضوء وتطويل العبادات والاستغفار

الذي يحميه ويحمي باطنه من هجمات الشياطين انعكاس اخر. الالتحاق بالولياء الله والكون في خدمتهم والذي يجعله في حصن حصين من اي خطر سماوي او ارضي (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)، كلها مظاهر لحقيقة واحدة عصية على البيان لا يمكن ادراكها الا من جزئياتها.

اذن الحد الفاصل بين حالتين باطنيتين احدهما قبول وتأثر بالخارج والاخرى رفض وتأثير به هو حد حديدي دموي احمر.

والدم الاحمر هو الميزة التي تتميز بها المملكة الحيوانية وفرادها (المتحركين بالارادة)، وهي الحد الفاصل بينها وبين المملكة النباتية الثابتة الفاقدة للحرية، المتأثرة ابدًا بالبيئة الخارجية، القابلة بذل وهوان كل ما يأتي اليها. اذن الحرية والارادة والتأثير او على الاقل رفض التأثير، له علامة هي الدم الاحمر وجزئيات الحديد فيه وارتباطها المباشر بكوكب المريخ الاحمر.

من اقدم المصطلحات الكيميائية التي تصف الحديد في المخطوطات هو صفة المحارب الشديد والخادم الجيد. وهي حقاً صفة الواصلين الى هذه المرحلة التكاملية، اذ انهم محاربين اشداء من جهة وخدام مخلصين لاولياء الله من جهة اخرى، وهذه الصفة نفسها اشارت اليها اية الحديد في السورة سابقة الذكر (فيه بأس شديد ومنافع للناس) وهي نفسها الصفة التي وصفت خلص اتباع النبي محمد والذين شدوا ازره ونصروه (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا).

ذكورية الحديد وطاقاته الراضية المتدفقة هي ما اشرنا اليه في مواضيع سابقة عن ان الذين وصلوا الى ارتباط معين مع الزهرة المقدسة اصبحوا هم مصدر فيض واورورا ولا يحتاجون الى ممارسات تلقي فيض خارجي واستجداء طاقات، وهو معنى اكتفاءهم بنفسمهم ورفضهم للخارج وانتهاء تأثرهم بالمحيط الطاقوي من حولهم. وهو معنى رمز الدائرة المغلقة ذات السهم المتجه الى الخارج المرتبط بالحديد.

في الكيمياء المعملية وحتى في الكيمياء التقليدية تكون ذكورية الحديد هي قدرته على الاتحاد مع مختلف انواع العناصر والمركبات الكيميائية وانتاج (ولادة بالمصطلح الكيميائي) مواد لا حصر لها تدخل في مختلف انواع الصناعات والتطبيقات. وكأنه ذكر عظيم قادر على اخصاب كل الاناث على الارض.

4- مرحلة الزهرة (طاقات الزهرة الانثوية):

الزهرة اقرب كوكب الى الارض من جهة الشمس. كوكب صغير الحجم جميل انثوي بطيء الحركة حول نفسه, تحيط به من جميع الجهات ابخرة الكبريت بحيث تشكل ما يشبه الحجاب تمنع ظهور وجهه ورؤيته سطحه الداخلي وهذا ايضاً من خواص الانوثة كما لا يخفى. يظهر الكوكب في ساعات الصباح الباكر وعند المساء فقط على شكل نجمة جميلة شديدة اللمعان ولذلك يسمى بنجمة الصباح والمساء او نجمة الراعي, وكأنه انثى تودع زوجها صباحاً وهو يغادر الى عمله وتستقبله مساءً عند عودته.

كوكب الزهرة هو مصدر احد مصادر الطاقات الانثوية السماوية, او هو الجزء الانثوي من الطاقات الذكرية القادمة من السماء. وهذه الطاقات مهمة جداً لأي خيميائي بالاضافة الى الطاقات الذكرية المريخية لاحداث ما يعرف بالزواج الخيميائي. او اتحاد الملك والملكة. وهذا المصطلح الذي ذكرناه سابقاً في مواضع عديدة ينطوي على عدة ممارسات مختلفة تركز كلها على دمج طاقات ذكرية باخرى انثوية وفق طقوس خاصة من اجل نوع من الاخصاب الخيميائي الذي ينتج عنه توالد لطاقات او كيانات اخرى. ودمج طاقات الزهرة الانثوية مع طاقات المريخ الذكرية هو احد هذه الممارسات الشائعة.

ترتبط طاقات الزهرة بشكل مباشر بالاجهزة التناسلية لكل ممالك الكائنات على كوكب الارض سواء النباتية او الحيوانية, وطاقاتها هي مصدر الشهوة الجنسية والرغبة العارمة في الجنس الاخر والتي قد تأخذ مظاهر عديدة منها العشق الصوفي لنموذج الهي خيالي يتم التغزل بجماله ودلاله والذوبان فيه حد الوله والعشق المرضي. ومنها العشق والمحبة الجنسية العادية بدون حجاب او غطاء ديني. وكلها مظاهر لرغبة باطنية انثوية بالذوبان المطلق بكيان كامل متعالي, وكلها ترجع الى طاقات كوكب الزهرة القوية.

ترتبط هذه الطاقات بالهة العالم القديم الاناث واهمهن على الاطلاق افروديت في الاغريق وروما وعشتار في بلاد الرافدين في العصر البابلي والتي تظهر على شكل اينانا في سومر واكد. نصوص كثيرة تظهر الرغبة الجنسية المشوبة بالطقوس الصوفية الدينية المرتبطة دائماً بهذه الالهة, التي تبحث دائماً عن بطل يعتليها ويضع بذوره فيها. وان لم يفعل فانها تهتاج وتغضب وتنتقم منه او من كل اهل المدينة. اهم القصص الرمزية المرتبطة بها هي ملحمة كلكامش ومحاولتها استماله كلكامش البطل الهي

لممارسة البغاء المقدس معها. وظهروها في قصة يوسف الرمزية على شكل زوجة العزيز التي تعشق البطل او الذكر الهى وتحاول دعوته الى فراشها.

في الحقيقة فأن كل ممارسات الزواج الخيميائي الذي هو بغاء باطني في الواقع تعتمد على فهم عميق لهذه الرغبة الباطنية في داخل الاشخاص (او الموجودات) التي ما زالت في طور متدني من التكامل الباطني. وهي رغبة في اصلها صالحة وطاهرة ومقدسة وتتم عن قلق وعدم استقرار نفسي ناتج اصلا من استشعار حالة العجز والضعف الباطني المرتبط بمراحل التكامل المتدنية ومحاولة الخلاص منها سريعاً باللجوء الى البطل الالهى الذي حقق التفوق التكاملي وقطع مراحل بنجاح. هذا القلق الوجودي يؤدي بصاحبه (الانثى الباطنية وان كان ذكر الظاهر) بأن يصبح عرضة لهجمات كيانات روحية شيطانية تمتلك بعض الطاقات بمستوى اعلى من مستواه. بحيث تجعله مطية لها ومصدر لغذائها الطاقوي لفترة قد تستمر عمره كله اذا لم يتداركه الله برحمة. وكل الفرق الباطنية الصوفية ومدعي المهدوية ينطلقون من هذا النقص والعجز في نفوس اتباعهم التواقين الى الخلاص والمرعوبين باطنياً من خوض غمار معترك التكامل بدون اللجوء الى بطل حامى.

هذه الكيانات الشيطانية هي في الحقيقة اناث من زاوية الرؤية الباطنية, اي هي كيانات منفعة ومحتاجة ومفتقرة للطاقة الباطنية وليست منتجة لها وبذلك فهي ليست موضع للجوء او الامان الباطني (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا, لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا).



ترتبط طاقة الزهرة الانثوية دائماً بالاورورا او الطاقة القادمة الى الارض من السماء والتي يكون لكوكب الزهرة فيها النصيب الاكبر بعد الشمس والقمر, والخيمياء تعتقد ان طاقات الزهرة على علاقة كبيرة بكل انواع الحياة النباتية والحيوانية على كوكب الارض وخصوصاً موضوع تكاثرها وتوالدها.

يرمز الى الاشخاص المتأثرين بطاقات الزهرة الانثوية برمز الوعل دائماً, اذ انه يبدو عليه

امارات القوة ويمتلك قرون حادة كبيرة تجعل له منظر مهيب بين الحيوانات, ولكنه في الحقيقة مخلوق ضعيف يقع دائماً فريسة سهلة للصيادين او للحيوانات المفترسة بسبب عاطفيته المفرطة والفته وصفاته الانثوية الاخرى. وكمارسة خيميائية تشير بعض النصوص الى أن طاقات الزهرة الانثوية يمكن استخلاصها من قرون الوعل.

رغم ارتباط هذه الطاقات بالمراحل المتدنية من التحول الخيميائي النفسي الا ان الواصلين الى مرحلة المريخ الحديدي المحارب وبعد اجتيازه سيصلون مرة اخرى الى ما يشبه المرحلة الاولى من تفعيل الطاقات الانثوية بعد نضوبها, ولكن هذه المرة بالشكل الصحيح الحقيقي وبدون قدرة الشياطين على التدخل فيها. تفعيل الجانب الانثوي يعني وصول هذا المحارب الذكري الشديد الى القدرة على ممارسة الحرب الناعمة الاكثر تأثيراً من الحرب التقليدية والتي تعتمد في معظمها على الذكاء والدهاء والهدوء وطول البال والقدرة على حبك المكائد او التصدي لها. وهي كلها صفات انثوية كما لا يخفى. اي انها تعني القدرة العقلية على ممارسة السياسة والادارة للمدن والتي تحتاج الى صفات انثوية الى جنب الذكورية.

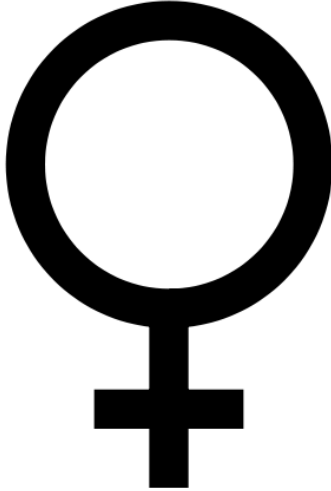
ويعني ايضاً القدرة على تشغيل نصفي الدماغ الايمن والايسر بكفاءة والقدرة على التنسيق بينهما, تعني كذلك القدرة على ادارة الاناث (الباطنية) والقدرة على فهم الشخصية الانثوية الباطنية والتي تعني كل الناس او الشعوب وهي في مراحل تكاملها المتدنية, وهذه ليست بالمهمة السهلة ابداً والتي تحتاج الى نعومة فائقة في التعامل ورحمة ومحبة والفة كبيرة, حتى يستطيع استيعاب كل الشعب, ويضمن التفاهم حوله وانجذابهم اليه كما تنجذب الذكور الى الاناث. تعني ايضاً وصول باطن هذا (الموجود) الى حالة الصفاء الداخلي الكامل والتي تؤدي به الى نوع من العشق للذات الالهية يختلف تماماً عما كان عليه الامر في العشق الصوفي, تؤدي به الى البكاء والنحيب والخوف الشديد المختلط بالعشق الشديد للذات الالهية, والعشق والخوف والنحيب والبكاء كلها صفات متعلقة بالانوثة اكثر من الذكورة.

المعدن المرتبط بكوكب الزهرة هو النحاس وهو من اقدم المعادن اكتشافاً ويعود اول ظهور له في اوروك في عهد السومريين وكان دائماً مرتبط بطقوس عبادة الالهة عشتار.

للنحاس كيميائياً علاقة عجيبة بالحديد, اذ ان خلطه معه في سبيكة بنسب معينة ينتج ما يعرف بمغناطيس النيديميوم, وهو احد انواع المغناط فائق القوة. وهذه العلاقة من

وجهة نظر الخيمياء مهمة جداً. اذ ان طاقة النحاس الانثوية تدخل في تكامل مع طاقة الحديد الذكرية مؤدية الى زيادة في خصائصها. قوة الجذب او التنافر المغناطيسي الخاصة بالحديد تزداد بوجود النحاس وتتضاعف وهذه من الحقائق الخيميائية الباطنية المهمة والتي قد يصعب الشرح فيها. وهي تأثير الارتباطات الاسرية بين الزوج والزوجة او بين الاب والابناء وعلاقتها في فيوضات الطاقة النازلة لكل الاطراف.

هناك نصوص كثيرة عن علاقة الزواج بزيادة الرزق او التوفيق او تمام العقل وكذلك علاقة الانجاب للذكور والاناث وعلاقة كل نوع بالبركات السماوية والارزاق المادية والمعنوية وكلها مظاهر لحقيقة واحدة هي الفيض الالهي النازل من السماء الى الارض وحصة كل موجود منه. احد اهم مظاهر هذا الفيض هو قوى الجذب والتنافر والقوى الكهربائية (حتى ان مصطلح فيض نفسه يستخدم في الفيزياء بلا تغيير) في الحديد والتي تزداد وتتضاعف عند الاقتران مع النحاس والذي هو احد انواع الزواج الخيميائي الذي يؤدي الى التضاعف.



علامة النحاس او الزهرة في الخيمياء هي علامة الزائد العادية او الصليب المتساوي الاضلاع وهو رمز الزيادة والتكاثر اضافة الى دائرة تامة في موضع الروح اعلى ضلع النار كزيادة في الاشارة الى ان التضاعف او الزيادة هي روحانية قبل كل شيء, ثم تنعكس على عدة اشكال ارضية. او قد تكون اشارة الى فجوة الرحم او البوابة التي تأتي منها كل الكائنات الحية.

الاقتران بكل انواعه سواء كان بين البشر او بين المعادن هو سبب نزول البركات وتضاعف القوى. والاقتران والعيش في مجموعات اسرية وعشائر وشعوب تجمعها صلات قرابة هو من اهم الاسرار الخيميائية العسية على الشرح والبيان (أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا)، وهي نواة تكوين المجتمعات والدول والحضارات. وفهمها الباطني يبدأ من فهم موضوع الطاقات الانثوية والذكرية وعلاقة كل منها بالآخر وكيفية ادارتها بكفاءة للوصول الى اقصى درجات البركة والحفظ والقوة للمدينة ككل. وفي قصة ذا القرنين الرمزية وكيفية خلط الحديد مع النحاس لتكوين درع لصد هجمات ياجوج وماجوج اشارات كبيرة في هذا المجال (أَتُونِي زُبَرَ

الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا، فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا، قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا).

اول ما يركز الشيطان عند محاولته للنيل من حضارة او مدينة هو الاخلال بقواعد الاقتران الصحيح بين ذكوره واناثه ونقصد هنا الذكرية والانثوية بالمعنى الباطني (التفريق بين المرء وزوجه). اذ يحاول افساد الروابط بين الاسرة او فك الاقتران الصريحة والموزونة بالميزان الباطني والاتيان باخرى شاذة وخاطئة حتى يصل بافراد مدينة من المدن او حضارة من الحضارات الى اقل حالات نزول الفيض واضعفها مما يسهل عليه (نقبتها) والاخلال بها.

يبقى ان نشير الى اسطورة مشهورة متعلقة بهذا الموضوع, وهي اسطورة سانتاكلوس او بابانويل الذي يمثل المريخ او الطاقات الحمراء النارية او النار الالهية المتمثلة بالمنقذ او الولي المخلص والذي يأتي في ايام الشتاء الباردة والتي تمثل الازمان التي تسيطر فيها المادة على الروح وتطبق طاقات زحل على الخلق, تأتي هذه النار الالهية الحمراء في عربة نازلة من السماء (اشرنا الى معنى العربة في كتاب حبة الرمان) تجرها الوعول كرمزية لعلاقة الواصلين لهذه المرحلة من طاقات الزهرة بالولي وخدمتهم له محملهم له في مسعاه.

5- مرحلة عطارذ (طاقات عطارذ التحولية):

عطارذ اصغر الكواكب واقربها للشمس, غالباً ما يكون عصي على المشاهدة بسبب اختفائه في نور الشمس ولكن يمكن لمحه في وقت الصباح المبكر وقبل شروق الشمس وكذلك قبل حلول الظلام الكثيف في الليل. وعند مشاهدته فسيكون المع كوكب في السماء. حركته غريبة وله مدار غير ثابت ويظهر احياناً وكأنه يرجع الى الوراء بدل التقدم في مداره العادي. يقول الفلكيون ان عطارذ يعكس نفس كمية الضوء التي يعكسها القمر وهي 7% من ضوء الشمس ولكن عطارذ يكون ضوءه مركز في نقطة صغيرة على عكس ضوء القمر الانتشاري.

يرتبط معنى عطارذ باطنياً بالزئبق والماء والرسل الالهية والمعلمين والحكماء وكل ما له علاقة بنقل فيوضات من السماء الى الارض او انشاء اتصال بين العالمين.

ارتبط عطارده بالهة قديمة مثل نابو السومري الذي كان وراء تعليم البشر الحساب والقراءة والعلوم والزراعة. وارتبط بمصر بهرمس او ثوث الكيان الالهى او نصف الاله الذي يستطيع ان يقيم الاتصال او ان يكون واسطة الاتصال بين السماء والارض. وفي الاغريق وحضارة الرومان كان يتصل بعطارده رسول الالهة. وقد مر شرح عنه وعن معنى رمزيته في بداية الكتاب.

علاقته بالزئبق المعدني تتبع نفس الرمزية وهو الجمع بين حالتين متناقضتين في وجود واحد. اذ ان الزئبق يجمع بين صفات المعادن التي هو اقلها وبين سيولة الماء, وهو بذلك اكثر حرية من المعادن ولكنه اقل من الماء, فهو حالة الاندماج بين الحالتين. ترتبط رمزيته ايضاً بالماء لان الماء (كيميائياً) حالة وسط بين الغازات ذات الحرية المطلقة وبين المواد الصلبة الثابتة. يمتلك ميوعة الغازات وكثافة المواد الصلبة ويمكن ان يتحول الى اي من الحالتين بسهولة. وبذلك فهو الجامع والرابط بينهما.

في الانسان يمثل عطارده الدماغ والجهاز العصبي واعضاء الحس وخصوصاً المرتبطة بالذكاء الانساني مثل النطق. اذ ان الجهاز العصبي في الانسان هو الرابط بين العقل الواعي والعقل اللاواعي او الباطن. والاشخاص الذين تتطور لديهم العلاقة بين العقل اللاواعي والعقل الواعي هم من سيكونون اصحاب الابداع والتجديد ومن سيظهر على ايديهم التغيير العلمي والاجتماعي. وكل هذا بسبب تطور المنطقة الرابطة في داخلهم بين الوعي واللاوعي.

في الخيمياء الروحية يمثل عطارده النفس, التي هي الرابط بين الروح المجردة والجسد الثقيل, وتمتلك صفاتهما معاً, وتجمعهما معاً في (مكان واحد). يعبر عنه كيميائياً دائماً بمفرده الزئبق والتي قد تشير الى الماء العادي احياناً او الى النفس او الى الزئبق الكيميائي نفسه او الى اي انعكاس من انعكاسات هذه الحقيقة الوسطى وحسب سياق النص او الرمز.

الجسد في الخيمياء الذي يعبر عنه احياناً (او غالباً) بالملح هو حاصل التفاعل او الجمع بين الروح والنفس. او بين الكبريت الذي يمثل (في الخيمياء) الروح او الحقيقة العلوية المجردة العسية على الادراك الكامل وبين الزئبق الذي هو الحقيقة الوسطى. اي ان الجسد هو حاصل التفاعل بين الروح والنفس. والنفس هو الرابط الذي يمسك من طرفه الاعلى بالروح ومن طرفه الاسفل بالجسد, ولا اتصال مباشر بين الروح والجسد الا

عن طريق النفس. ويمكن للنفس والروح ان يوجدوا معاً بدون الجسد ولكن لا وجود للجميع بدون وجود الروح التي هي مصدر الحياة الاول في نظريات الخيمياء.

من زاوية الهندسة المقدسة ستكون النفس او الزئبق الخيميائي او عطارد الرسول هو المنطقة التي تتوسط التقاء دائرتين معاً او نقطة التقاطع بين دائرتين او منطقة الحوت او النون كما تعبر كتب الهندسة الباطنية, وهي اهم منطقة باطنية ولولاها لما كان هناك اي اتصال بين السماء والارض وهي نفسها البرزخ من الميزان, او الجزء الواصل الفاصل بين عالمين يجب ان يتواجدوا معاً بدون اتصال كامل او انفصال كامل الى الابد.

عطارد هو حاصل الزواج المقدس الرحماني بين الطاقات الذكرية السماوية وبين الطاقات الانثوية الارضية. وهو الابن او ابن الاله الذي تشير اليه بعض الديانات ومنها المسيحية بخلط كبير. وهو نفسه عكس المسيح او ضد المسيح او المسيح الدجال الاعور الذي يولد من عملية بغاء باطني وزواج خيميائي غير طاهر ويمثل نقطة التواصل والاتصال بين عالم الشياطين وعالمنا المادي.

باطنياً يشترك عطارد مع القمر بنفس الصفة وهي التوسط بين عالمين واقامة الرابط بينهما. الفرق بين عطارد والقمر هو بطريقة تركيز الفيض النازل. اذ يميل القمر الى نشر طاقاته والاشراق على الجميع, وبذلك تتوزع الطاقة على عدد كبير من المستلمين ويتلاشى اثرها الواضح, بينما يميل عطارد الى تركيز الطاقة على فئة مختارة من الناس او حتى على شخص واحد ليظهر فيه الابداع ويجعله منطلق لعلم جديد او دين جديد او حضارة جديدة.

المعدن المرتبط بعطارد هو الزئبق وفي اللغة الانكليزية لهما مفردة واحدة mercury والتي تعني عطارد او الزئبق, اي ان الكوكب عطارد يسمى في الانكليزية الكوكب زئبق. وفي الخيمياء قد يسمى الفضة السائلة او الفضة المائية او الفضة السريعة. واسمه القديم في اللغة العربية هو الفرار لانه يفر من البنان عند محاولة الامساك به. ويدخل الزئبق كيميائياً في الكثير جداً من الصناعات والتطبيقات في مختلف المجالات العلمية والتقنية.

يمكن ان يوجد في الطبيعة بصورة نقية على شكل برك في الجبال, ولكن اكثر تواجدته يكون بصورة كبريتات الزئبق او ما يسمى في مخطوطات العرب الخيميائية بالزنجفر (السنابار) وهي كلمة تعني في اللغة الفارسية القديمة دم التنين.

وجود الزئبق المعدني الكيميائي متفاعلاً مع كميات كبيرة من الكبريت في الزنجفر هو انعكاس للعلاقة بين النفس والروح في الخيمياء وكيف ان اتحادهما معاً يولد الجسد. ولذلك اعتبر الخيميائيون العرب ان الزنجفر هو اختصار لكل الخيمياء او هو اهم مادة في الخيمياء لأنه انعكاس بدون تشويه للجسد المتكون من روح ونفس فقط اي كبريت وزئبق فقط بدون اي مادة اخرى.

تقول بعض الابحاث الامريكية ان هناك نوع من الزئبق اثقل من الزئبق العادي وله خواص نووية مهمة جداً يدعى الزئبق الاحمر وموجود فقط في روسيا والعراق ويمكن تصنيعه مختبرياً من الزئبق العادي بواسطة تجارب الفيزياء النووية.

الزئبق يذيب الذهب والفضة والنحاس والقصدير ولكنه لا يذيب الحديد, ويرمز لذلك في الخيمياء برموز مثل انتصار المحارب على الملك او الفتاة التي تمسك بفك الاسد كما في بطاقة الكبالا المقروءة من وجهة نظر الخيمياء. وهذه الخاصية كانت تستخدم ومازالت في تنقية الذهب من الشوائب.

يرتبط الزئبق خيمياً بطاقة الحياة, وهو حامل للحياة حاله حال الماء لانهما يرتبطان بحقيقة سماوية واحدة, وهو مادة السقي عند بذار المعادن في التربة السوداء او الرصاص عند استزراع المعادن. اذ انه يحمل الروح في داخله والتي لا بد منها من الاتحاد بالبذور لتكوين الاجساد المعدنية بحسب نظريات الخيمياء في تحويل المعادن الى ذهب وتضاعفها. اي ان الزئبق هو ماء سقي المعادن المستزرعة خيمياً.

للزئبق صفة عجيبة تدعم ارتباطه بالحياة اذ انه معدن يستطيع التنفس كما يقول اغلب الخيميائيين. بل ان اكتشاف الاوكسجين وعلاقته بالتنفس كان بسبب تجربة خيمائية قام بها احد الخيميائيين على الزئبق لاكتشاف خواص التنفس فيه. اذ انه عند تسخين الزئبق الى حد الغليان يبدأ بسحب الاوكسجين من الجو والزيادة بالحجم (الانتفاخ) وكأنه يشهق الهواء ويتحول الى اللون الاصفر المحمر. وبزيادة التسخين اكثر تنعكس العملية ويبدأ الزئبق بفقدان الاوكسجين (يزفر الاوكسجين) وكأنه رئة معدنية كما اصطلح عليه الخيميائيين.

في الخيمياء الروحية وصول موجود ما الى هذه المرحلة وتوحده مع طاقات عطاردي يعني انه قد وصل الى مرحلة القدرة على التوسط بين السماء والارض, اي ان يكون وسيط و رابط بين المستويين, سيكون له القدرة على فهم رموز السماء او اللقاء بكانناتها والقدرة على تحويل تلك المشاهدات والخبرات الى ما يمكن للبشر العاديين ان يفهموه.



في المستوى النفسي سيكون الواصل الى هذه المرحلة التكاملية قد امتلك اعلى اتصال بين عقله الواعي واللاواعي وبذلك سيكون قد اتصل مباشرة بمصدر العلوم والفنون والاداب والابداع واصبح قادر على تحويل رموز العقل الباطن الى لغة مفهومة واضحة قابلة للنقل الى الاخرين. اي ببساطة سيكون هرمس غير المحتاج الى مصدر خارجي لتقلي العلوم لأن اتصاله بمصدر العلوم الداخلية قد اصبح على اعلى مستوى ممكن وبذلك سيكون هو المعطي لا المتلقي. وبطاقة التاروت في الكبالا تصوره على شكل شخص ضعيف البنية يحمل فانوس بيده يسير في ظلام الليل.

هذه البطاقة بقراءتها الخيمائية تشير الى اهم صفة من صفات الزئبق وهي السعي والبحث عن الذهب. عندما

يوجد الزئبق والذهب في مكان واحد او قريبين من بعضهم البعض يسعى الزئبق بأي وسيلة للوصول الى الذهب والاختلاط به. هذا الشيخ ذو الملابس الزئبقية في لونها وتموجاتها المائية يحمل المصباح ويبحث عن الذهب. وهذه الحقيقة المتعالية وان كان لها انعكاس واضح في عالم المعادن, الا ان انعكاسها الاوضح هو بحث النفس عن الروح. كل وجود النفس البشرية في هذا العالم المادي الجسدي وغايتها النهائية هي البحث عن الروح والاتحاد بها والتعالي النهائي عن الجسد والخلاص منه نهائياً.



في تجربة شهيرة لأحد الخيميائيين يضع فيها عملة ذهبية في فمه ويغمس ابهام يده في حوض من الزئبق, وبعد دقيقة او اقل يخرج العملة الذهبية من فمه وقد اكتست بالكامل بطبقة من الزئبق. اي ان الزئبق تخلل جسده وسار مع الدم باتجاه الذهب عشقه الابدي وغايته النهائية. ونحن نحذر جداً من القيام بمثل هذه التجارب لسمية الزئبق العالية والتي قضت على هذا الخيميائي بعد ايام من ذلك. اذ ان الزئبق الذي سار في دمه نحو الذهب قد وجدوه بعد تشريح جثته وقد تركز بين طيات

الدماغ الجزء من الجسم الذي يمثل الروح او الذهب في مستواه الروحاني. وما زال التسمم بالزئبق يكون بتركزه في الدماغ والجهاز العصبي.

الرمز المرتبط بالزئبق او الرسول هو الشكل الصليبي العادي الذي اصبح معروف الرمزية والمرتبط بدائرة فوق منطقة النار دليل الكثرة والكمال والتي تنتهي بدائرة اخرى غير كاملة, اي تحقيق ارتباط جزئي بحقيقة اعلى من اعلى حقيقة مادية. او اشارة الى منطقة الحوت او النون الناتجة من تقاطع الدائرتين. والشكل الهلالي قريب جداً من شكل حرف النون العربي.

6- مرحلة القمر (طاقات القمر الروحية- النفسية):

بالنسبة للخيمياء فالقمر هو جرم سماوي مستقل وغير تابع للارض, ولم يكن جزء منها يوماً, وهو رمز للمرحلة السادسة من مراحل التحول الخيميائي. حتى من وجهة نظر علوم الفلك التقليدية فهناك نظريات تقول ان القمر لم يكن تابع للارض في الماضي السحيق وانه جرم سماوي مستقل اشبه بنيزك عملاق اصطادته جاذبية الارض عندما مر بقربها وانخرط في الدوران الازلي حولها, هو بسبب هذه الجاذبية يقابل الارض من جهة واحدة دائماً وعاجز عن الدوان حول نفسه. وأحد الادلة التي تساق لاثبات هذا الامر هو ان تركيب تربة القمر ينحرف بشدة عن تركيب تربة الارض من ناحية نوع العناصر ونسبها.

يقابل القمر الارض وينيرها ليلاً بسبب انعكاس ضوء الشمس عليه الذي هو مصدر نوره الحصري. وبسبب موقع الشمس بالنسبة له وللارض وزاوية سرعة دورانها بالنسبة للقمر تتكون الدورات القمرية المعروفة ذات الثمان وعشرون يوماً والتي تبدأ من محاق وهو اختفاء القمر التام بسبب ظل الارض ثم بزوغه كهلل ثم بدر ثم التراجع نحو الحالة الاولى مرة ثانية.

الحديث عن القمر في الخيمياء ورمزيته وطاقاته قد يحتاج الى فصل مستقل او حتى كتاب. وهناك مادة علمية ونصوص كثيرة جداً عن القمر واسرارها سواء في الخيمياء او السحر او علوم الحسابات الفلكية, وتتبعها يحتاج الى عمل مستقل خارج الهدف من هذا الكتاب الذي هو مجرد مقدمة لفهم الخطوط العريضة في الخيمياء لا اكثر.

عند الحديث عن القمر في الخيمياء فالحديث سيكون عن الروح والنفس وقواهما والفرق بينهما. وسنشير الى جزء منها في هذا الفصل وسنتابع الحديث عن العلاقة بين الروح والنفس والجسد في الفصل القادم.

اعتاد العلماء والمختصون في الفلسفة والمنطق التقليديان الى اعتبار بداية الحياة تكون من المملكة النباتية التي قد تأخذ الصفة (او الفصل) حي. ثم تتبعها الصفة الاخرى وهي الحركة الارادية (متحرك بالارادة) لتكون صفة وفصل المملكة الحيوانية. ثم تأتي اخيراً صفة الناطقية او التفكير (ناطق) لتكون صفة وفصل الانسان. ليكون تعريف الانسان المنطقي المتداول هو (حي متحرك بالارادة ناطق).

الخيمياء تنحرف عن هذا التقسيم ولا تقبل به. وتجعل صفة الحياة (وعلامتها التكاثر والتضاعف) صفة لجميع الموجودات ومن ضمنها الاحجار والمعادن وكل الجمادات ويدخل فيها الماء في ذلك (ومن المفارقة ان يجعل الفلاسفة والعلماء التقليديون الماء من ضمن الاشياء غير الحية ولكنه يهب الحياة لغيره فيكون فاقد الشيء يمكن ان يعطيه في هذه الحالة). والنبات طبعاً هو اوضح مثال على موجود حي غير متحرك ثم تأتي مرحلة الحركة الارادية والتي يحار فيها الخيميائيون وينقسمون الى فرق مختلفة وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل القادم بأذن الله. المهم ان ان الحركة الارادية هي صفة المملكة الحيوانية الالهة. ثم تأتي صفة الناطقية (او البيان) المهمة المختصة بالانسان وحدة. وكل هذه التقسيمات تكون من التداخل (والتزاوج) بين طاقات الشمس والقمر الباطنية وهذا الامر طبعاً من وجهة نظر الخيمياء.

الاختلاف بين الخيميائيين في معرفة الحدود الفاصلة بين الروح والنفس تجده ظاهر امامك في نصوصهم. وكل سعيهم الدؤوب كان (ولا زال) لمعرفة الاختلاف بين الروح والنفس وفك التداخل بينهما. ولن نكون مبالغين لو قلنا انهم لو تم لهم ذلك لاستطاعوا بسهولة اجتراح المعجزات والسيطرة على العالم بشكل مطبق كامل.

القمر خيميائياً هو سبب الحياة في الممالك الثلاث (المعادن والنباتات والحيوانات) ويرتبط مباشرة بالماء او بالزئبق الخيميائي (المادة التي لها وجودان متناقضان او تنتمي لعالمين في ان واحد)، والقمر وطاقاته مرتبط بكل الحياة الدورية، او مظاهر الحياة التي تتخذ شكل الدورات مثل الفصول الاربعة ودورات الزراعة والحصاد والدورات التكاثرية الشهرية لكل اناث الحيوانات. وطاقات القمر مرتبطة بالجزء الانثوي من كل موجود سواء كان ذكر او انثى. ولذلك فهي مرتبطة (طاقات القمر)

بالابداع والذكاء في الجزئيات وعالم الكثرات, ولكن طاقات القمر ليست طاقات الذكاء الذكري القيادي. اي ان طاقات القمر وامتلاكها تؤدي الى معرفة علمية جزئية او معرفة بالعلوم المادية, ونقصد بالمادية هنا كل العلوم الجزئية حتى الدين والفلسفة. كل علم له علاقة بالاحداث اليومية والجزئيات (كالفقه مثلاً) هو علم قمري انثوي. اي ان طاقات الشمس هي الطاقات المؤدية الى منطق الطير او العلوم برؤيتها الكلية التي ذكرناها سابقاً.

النفس هي احدى مظاهر طاقات القمر وهي الحقيقة الوسطى في الوعي الانساني ولذلك فهي لها وجهان مثل القمر, وجهة معروف واضح مقابل للارض تشرق عليه الشمس ويعكسها الى الارض وهو الوعي الظاهري اليومي, ووجه مظلم غير معروف ولا يرى النور ابداً وهو اللاوعي البشري المرتبط بما هو (وراء الشمس) او العالم المظلم غير القابل للادراك او عالم الظل كما شرحناه في الفصول الاولى من الكتاب. والقمر او النفس هي الجزء الرابط بين هذين العالمين.

اهم صفة من صفات القمر هو النقص الذي يعتريه كل شهر. وهو نفس النقص الذي يعتري كل الحقائق الانثوية الاخرى. وهذا النقص الانثوي هو ليس منقصة كما يحاول الحمقى ان يظهروه. وانما هو خفاء للحقيقة ونقص في ادراكها بسبب الانغماس فيها. عندما يكون موجود من الموجودات هو الحقيقة سيسبب هذا له قلة ادراك لها, لانه سيكون داخلها وممتزج معها امتزاج كامل مما لا يسمح له بالانفصال عنها ورؤيتها من عل. اي ان الحقيقة نفسها لا يمكن ان تشاهد نفسها من الخارج او ان ترتفع عنها لتشاهدها بوضوح. الغابة لا يمكن ان تصف نفسها لو اتيح لها الكلام وواصف الغابة يجب ان يكون خارج عنها.

الطبيعة الام والتي هي انعكاس لحقيقة القمر الباطنية اسمى واعلى مقاماً من اي فلاح او زراع او عامل على خدمتها. ولكن هذا الفلاح بسبب رؤيته الخارجية وانفصاله عن الطبيعة او عن حقله يستطيع ادارته ورعايته والمحافظة على استمرار بقاءه. ليس لعلو شأنه على الطبيعة بل بسبب خروجه الجزئي عنها. الطبيعة المقدسة سيعتريها النقص والوجع والاذى بدون الذكر الراعي لها والحامي. لكنها اعلى شأناً ومقاماً من كل الرعاة والزراعيين, لا بل هي اصل وجودهم وحياتهم وبقاءهم.

كل مظاهر الطبيعة الام المقدسة ترتبط مباشرة بحقيقة القمر الباطنية. عدا الحركة الارادية الحرة التي ترتبط بالشمس. كل الفعاليات الطبيعية التي تجري بدون شعور

الموجودات سواء كانت موجودات ذات شعور او لا تجري بالاعتماد على طاقات القمر الخفية. كل عملية افراز هرموني او انزيمي او دقات قلب او تنفس او اي عملية لا ارادية تجري داخل اجساد حيوانات او نباتات الطبيعة الام المقدسة تجري وفق قوانين نزول طاقات القمر الخفية.

علوم الباطن وخصوصاً الخيمياء تحاول دائماً البحث والكشف عن قوانين هذه الطاقات ودراستها دراسة مستفيضة لفهم اسرارها وبالتالي تطويعها والاستفادة منها. وهي ما يسمونها بقوانين ايسيس المقدسة. وهي قوانين طبيعية تشبه قوانين نيوتن الفيزيائية مثلاً او قوانين علم الاحياء العادية ولكن فرقها انها قوانين خفية وذات جانب روحاني يحتاج الى الاعتراف بالوجود الروحي والارتباط به قبل الخوض فيها. وهي رغم انها تتبع علاقة السبب والنتيجة العادية الا ان الروحانيات تدخل فيها كاسباب اخرى تؤدي الى انحراف النتائج المتوقعة. ولذلك تجد ان خيميائيين اثنين يجرون نفس التجربة بنفس الظروف ولكن نتائجهم لا تأتي متشابهة، وهذا لا يوجد في علوم الظاهر اطلاقاً.

تظهر هذه الحقيقة القمرية في رمزيات الحضارات القديمة على شكل الهة انثوية كثيرة الاثداء مثل ارميس او ديانا كعلامة على التغذية والخصب او على شكل بقرة كما في الحضارة المصرية او الرافدية، وهي ام البطل كلكامش كما يفخر هو بنفسه (ابن البقرة المقدسة ننسون)، والعقيدة تقديس الابقار الهندوسية الحالية تعود جذورها الى هذه النقطة.

ترتبط طاقات القمر دائماً بالسحر والسحرة، وهؤلاء يركزون على طاقات القمر وهو في حالة التمام او البدر اذ تكون فيه الطاقات على اشدها. وترتبط الكثير من الاساطير حول هياج المستذئبين او مصاصي الماء في هذه الايام الثلاث من الشهر القمري كل هذه الاساطير تتحدث عن حقائق باطنية غاية في العمق سنكشف بعضها الان.

نفس الايام التي يكون فيها القمر مكتمل والتي يعتمد على طاقاتها اعلى انواع السحرة هي نفسها ايام مقدسة للكثير من الديانات العالمية ومنها الاسلام وتسمى الايام البيض. وهذا ليس تناقض كما يبدو، وفهم هذه النقطة تحتاج الى فهم اولي لحقيقة الطاقات القمرية القوية وسبب خفاءها.

طاقات القمر طاقات جبارة قوية جداً تؤدي الى هياج الطبيعة وتصعيد فعاليتها الى مستويات عالية جداً تؤدي في الغالب الى الهلاك. الليالي الثلاث التي يكتمل فيها القمر وترتفع مستويات طاقاته الجبارة تؤدي الى هياج كبير في كل فعاليات الطبيعة

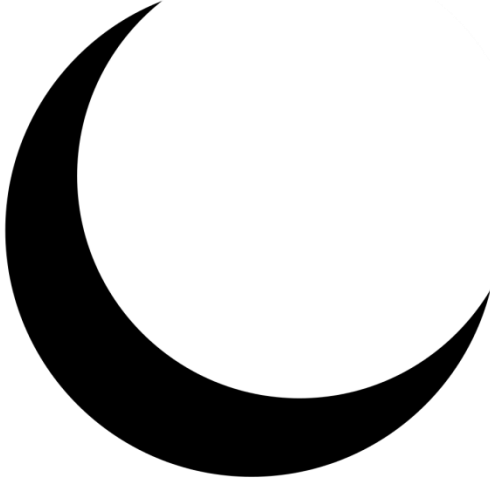
الارادية. والتي هي مرتبطة اساساً بالجزء الحي من الوجودات والخارج عن سيطرة الارادة او الوعي العقلي. هذه الارتفاع في مستويات الحياة الخام المجردة عن ارادة العقل تؤدي بالكثير من الوجودات الى فقدان السيطرة العقلية على النفس والاندفاع الشديد وراء اقصى حالات الرغبة بالبقاء الوحشي الذي قد يؤدي الى تدمير الطبيعة نفسها. وهذا ما نتحدث عنه قصص المستذنبين ومصاصي الدماء وارتباطهم بهذه الليالي البيضاء. لذلك كان خفاء القمر والنقص الذي يعتريه احد اهم الرحمات الالهية المهداة الى البشر وكل الطبيعة في كوكب الارض, وهو وان كان نقص, الا انه اصبح سبب للكمال.

في الديانات والطقوس, والتي هي ممارسات خيمياء روحية في الحقيقة, تكون هذه الليالي البيضاء مقدسة او مهمة في الغالب. لانها ظهور كامل قصير العمر للشخصية الانثوية المقدسة في اي دين من الديانات, والتي ترتبط دائماً بالخفاء والاعتزال والحزن وقصر العمر.

هذه الحقيقة القمرية الوسطى انعكست مرات عديدة خلال التاريخ على شكل انثى مقدسة بشرية. وكان ظهورها دائماً مرتبط بهياج الافراد من حولها ووصولهم الى مرحلة لا يمكن معها السيطرة على انفسهم وكبت مشاعرهم الحيوانية. كما لا يمكن للمستذنبين ان يسيطروا على انفسهم وهم بمواجهة القمر الظاهر الكامل مهما حاولوا. في حضرة القمر الازهر لن يستطيع هؤلاء الا ان يظهروا على حقيقتهم الحيوانية الدنيئة وان يسيطر باطنهم الوحشي على ظاهرهم الانساني الخداع.

الحقيقة القمرية هي الكأس المقدسة الخفية التي يبحث عنها القديسون والتي بها شرب الشاربون ماء الحياة. هي الزهرة ذات البتلات التي تتوسط بين السماء والارض. هي القمر المنير الذي يجمع ضوء الشمس ويصبه على الارض صباً في ظلمات الليل البهيم. هي مسحة الحزن المحبب التي تعطي وجوه المؤمنين, وهم يتلون دعواتهم في غياهب الليل الكئيب.

عندما يكون القمر في وقت الهلال تكون طاقات الحياة في الطبيعة على اكمل وجه من حيث الاعتدال. اي ان الطبيعة المعتدلة الهادئة المملوءة بالخير والجمال والبركة مرتبطة بالهلال اكثر من اي حالة قمرية اخرى. والهلال باطنياً هو الظهور الجزئي او الادراك الجزئي لهذه الحقيقة الباطنية العظمى. وهو حال من وصل الى هذه المرحلة التكاملية الباطنية. اذ انه سيكتفي بالهلال او بالجزء البسيط من الادراك للقوانين الباطنية



الروحية المتعالية, لانه سيعرف ان الخفاء فيها هو الصلاح وانه لا يأمن لنفسه من الاهتياج والزلل لو ادرك مستوى اعلى. وهو نفسه علامة القرن الذي يعلو اغلب الرموز الباطنية كاشارة الى اعلى مستوى ادراكي يمكن ان يصل اليه موجود وهو في حال السلامة والامان.

والهلال ايضاً مرتبط برمزية الضلع. او ضلع ادم الاعوج الذي تم خلق حواء منه.

وهو طبعاً رمز عظيم للطبيعة الهادئة المباركة الخصبة بدون حالة الهياج المدمر والتي تعتمد على الهلال القمري الذي يستمد ضوءه من الشمس التي يمثلها هنا ادم عليه السلام. وستكون رمزية الاعتداء على الضلع او كسره واسقاط ثمرة الطبيعة من بطنها هو اقصى اعتداء يمكن ان يحدث في الوجود, لأنه اعتداء على كل الطبيعة المقدسة ومحاولة لاتلاف قوانينها الباطنية والعودة بالوجود الى حالة العدم والفوضى.

المعدن المرتبط بالقمر هو الفضة وهو اول المعادن النفيسة وكان يعتبر معدن ثمين منذ اقدم الحضارات. واستخدموه في التزيين والحلي اضافة الى استخداماته الخيمائية والكيميائية الاخرى.

اغلب الرموز والصور الخيمائية التي تذكر الملكة تشير الى الفضة الا في بعض الاستثناءات. واحياناً يشير رمز الكأس المقدسة الى الفضة ايضاً او الى حقيقة القمر الباطنية المتعالية على انعكاساتها. تسمى الفضة خيميائياً بالملكة لونا, وما زالت هذه المفردة متداولة في اللغة الانكليزية للتعبير عن اي شيء مرتبط بالقمر او ما يمكن ان نترجمه بالمقابل العربي (قمري) lunar (لونر). والمفردة العربية لينا او لينة تشير ايضاً الى الحقيقة القمرية المرتبطة بالنخلة وهي ان كل سعة منها تنبت في مدة شهر قمري كامل (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ). وان شكل سعفاتها وتفرعات سعفاتها وانحناءاتها تشير بقوة الى شكل الهلال. وحتى توزيع السعفات التصاعدي على الساق مشابه جداً للشكل الذي يرسمه القمر عند صعوده في السماء. وقد جاءت المفردة في القران (لينة) للاشارة على النخلة (مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ).

صفات معدن الفضة مشابه للمقابل له وهو القمر, اذ انه لامع براق, ولكنه يميل الى الاسوداد او الاكتساء باللون الاسود عند تركه لمدة طويلة. وهو مقابل لظلام الجزء البعيد من القمر او القمر وهو في حالة المحاق. ومعدن الفضة مرتبط بقوة بالماء ونسبة كبيرة من املاح البحار هي املاح لمعدن الفضة.

معدن الفضة مثل القمر ايضاً, ميال الى عكس الصور او عكس الضوء بدقة, وكان يستخدم قديماً للمرايا بشكل مباشر, ثم تطور استخدام املاح الفضة لتكوين مرايا عاكسة بشكل واضح جداً. وخاصية عكس الضوء او عكس الصور او استلام الفيض وتسليمه هي اهم خاصية تشترك فيها كل جزئيات حقيقة القمر المتعالية. حتى الماء يعكس الصور بشكل جيد. واللون الازرق الذي تكتسي به المحيطات والبحار هو في الحقيقة لون السماء وقد انعكس على المياه.

معنى الكأس المقدس هو هذه الخاصية بالضبط. وهو حقيقة ان يستطيع موجود ما ان يستلم الفيض من جهة ويخزنه ويسلمه الى موجودات اخرى من جهة ثانية. لذلك كانت اسرار الكأس المقدسة وحمى البحث عنه من اهم ادبيات الكثير من المنظمات الباطنية المشهورة مثل منظمة الصليب الوردي وغيرها. لأن المستلمين للفيض لو ادركوا انهم عاجزون عن الاستلام الا بامتلاكهم الكأس الخاصة بذلك لتركوا كل شيء وانخرطوا في رحلة البحث عنه. وما الازهار الا رموز او انعكاسات لحقيقة الكأس المقدسة او الحقيقة الوسطى المتعالية عن الادراك. لاحظ كيف ان الازهار وهي في اسفل درجات الوجود وفي اربأ حالات الانعكاس ما زالت محتفظة بجمال اخاذ ورائحة عطرة وجاذبية لا يمكن انكارها, فما بالك بجمال وجلال الحقيقة الاولى الاصلية المتعالية.

لكن الكأس المقدسة هي من تبحث عن المستحقين, ممن نالوا درجات انسانية تؤهلهم للشرب من الكؤوس المتجهة الى الاعلى بدل طريقة شرب الحيوانات بالانحناء الى الاسفل. ومهما حاول حيوان (الباطن) ان يجد الكأس المقدسة فلن يستطيع, وان وجده فلن يستطيع التعرف عليه, وان عرفه فلن يتمكن من الامساك به لعدم امتلاكه يد بشرية (باطنية) تؤهله لذلك.

7- مرحلة الشمس (طاقات الروح الخالصة):

الشمس من وجهة النظر الخيمائية هي اعلى مرحلة تكامل يمكن ان يصل اليها موجود من الموجودات. او هي الحقيقة الكلية المتعالية على كل الحقائق الاخرى والشمس المادية هي انعكاس في عالم الاجرام السماوية عن هذه الحقيقة، والذهب هو الانعكاس لها في عالم المعادن ولها انعكاسات قليلة جداً في عالم البشر. وقد تنعكس بعض مظاهرها في الانبياء والاولياء خلال التاريخ ومنها انعكاسها في ادم كرمز للبداية او منشأ الانسانية، او انعكاسها في موسى كظهور للنار السماوية او الكبريت الخيميائي. لكن ظهورها بانعكاس كامل في موجود بشري لم يكن الا في محمد صلى الله عليه واله وسلم ومن ثم في نفسه علي بن ابي طالب صلوات الله وسلامه عليهما.

تسمي الخيمياء هذه الحقيقة المتعالية بالملك سول. وهو والملكة لونا واتحاد طاقتهما معاً بنسب معينة سبب كل موجود من الموجودات الارضية، سواء كان هذا الوجود مادي او روحاني او اي نوع اخر من الموجودات. مفردة سول مشتقة من الجذر اللاتيني لمفردة تعني الروح، وما زالت هذه المفردة مستخدمة في اللغة الانكليزية بمعنى الروح او الروحاني المتعلق بالروح.

الاقتران بين طاقات الملك سول والملكة لونا يحدث يومياً خلال مظهره في السماء. ولكن اعلى طاقات اقترانية بين سول ولونا يكون في حالة الكسوف الكامل للشمس، او تغطية القمر للشمس بشكل كامل وحجب ضوءها عن الارض. وهذا الوقت مهم جداً لاهل الباطن من جميع انواعهم ولكن للسحرة اهمية خاصة فيه.

الشمس هي المصدر الاول لكل شيء في كل العوالم المادية والنفسية والروحانية. وهي طاقات روحية مجردة لا يمكن ادراكها بأي حال من الاحوال. وهي مختلفة كلها تماماً عن الادراك وليس فيها اي جزء قابل لذلك.

بحسب رؤية الخيمياء فإن هذه الطاقات الروحية المجردة تتحول بعمليات التحول الخيميائي الى الهيدروجين والذي هو المقابل المادي لعنصر النار الروحاني. اخف العناصر واعلاها منزلة وارتفاع واسرعها بالعودة الى حالته الروحانية المجردة كما شرحنا في فصل سابق.

هذا الهيدروجين يتحول الى هليوم بعملية الاندماج النووي وينتج طاقة هائلة هي مصدر الحرارة والاشعاع في كل المجموعة الشمسية. الطاقة الحرارية والضوئية القادمة من

الشمس تُستلم من النباتات أولاً (الاسد الاخضر الذي يبتلع الشمس) وتدخل في تفاعلات تكثيف بمساعدة العناصر الكيميائية الاربعة وانعكاساتها المادية حتى تنتهي لتكوين الطاقة التي يتم الاحتفاظ بها على شكل سكر نباتي. ثم تدخل الى اجسام الحيوانات لتكوين باقي انواع المواد والعناصر والمركبات المادية (انتصار الاسد الاحمر على الاخضر). ويمكن للقاريء الاستزادة من الكتب المختصة.

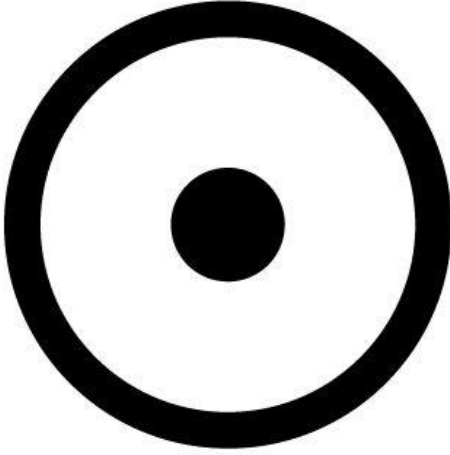
يسمي الكيميائيون الجزء الروحاني من الشمس والذي هو مصدر كل شيء بالمادة الاولى. وهي اللغز الاكبر الذي يواجه الكيميائيين والذي لم يستطيعوا حله ابدأً. حل هذا اللغز يعني معرفة سر الروح المجرد. والذي يخلط فيه اكثر الكيميائيين بينه وبين النفس. اذ يعتقد بعضهم وخصوصاً غير المتعمقين في اسرار الخيمياء الروحية او المزاولين للخيمياء العملية انهم يعرفون سر الروح. وهم في الحقيقة يعرفون جزء من اسرار الجزء الروحاني من النفس فقط والذي يؤهلهم لممارسات محدودة فقط من الخيمياء. اما سر الروح الحقيقي فبعيد المنال عنهم وعن غيرهم، وسنأتي على تفصيل ذلك في الفصل القادم كما اشرنا.

كيميائياً وصول الموجود الى مرحلة الشمس او الذهب يعني ارتباطه بالحقائق السماوية وخضوعه لها وانعكاس بريقها عليه. وكما ان امتلاك الذهب يؤدي الى غنى صاحبه الظاهري واملاك النار او الكبريت يؤدي الى الدفئ وامتلاك الضوء يؤدي الى وضوح الرؤية، كذلك اقتراب الموجود او الفرد من مصدر الحرارة والضوء الباطني يؤدي الى غنى وحرارة واستنارة داخلية تظهر مظاهرها على وجوده المادي الارضي كظهور البريق على الذهب.

على ان الاقتراب من النار والانس بها له حدود اشرنا اليها في كتاب حبة الرمان بتفصيل اكثر. وان النار الباطنية او حقيقة الشمس المتعالية هي من تحيط بالوجود وهي من تقترب من الموجود وليس العكس.

ترتبط حقيقة الشمس برمزية حيوان الاسد وببرج الاسد والذي هو اوضح مظهر لها في عالم الحيوان. وحتى شكله الخارجي ولبته المحيطة برأسه اشارات واضحة على هذا الارتباط. واستخدم الاشوريين رمز الدلاء ذات الرؤوس الاسدية للتعبير عن الماء المقدس الذي ينتجه الرهبان بالعمليات الكيميائية والمشبع بطاقات الشمس.

اشرنا الى ان المعدن المرتبط بالشمس هو الذهب اغلى وانفس المعادن على الاطلاق والذي استخدم مع الفضة في صناعة العملات النقدية حتى عصور قديمة. واختيار



الذهب والفضة كمعادن للعمالات والنقود ينم عن ادراك عميق لمعنى الشرف والترقي والنفاسة الباطنية, وهذا يعني اكيداً تقدم الحضارات القديمة في المواضيع الباطنية باشواط عما نعيشه الان في هذه العصور.

رمز الذهب الكيميائي هو Au وهو جزء من المقطع اللاتيني Aurum او Aur اورم او اور والذي يعني المبدأ او المنطلق الذي انطلق منه كل

شيء. والمبدأ في الحضارات القديمة ذا طبيعة روحينية حصراً. وكلمة اور المستخدمة كأسم لمدينة اور الاثرية يعني المبدأ والمنطلق والاساس او قل النقطة التي انطلق منها كل شيء. وحتى مفردات لمدن مثل اوشليم او اوربال (اربيل) تعني المنطلقات او المبادئ الروحية التي يبدأ منها اي شيء اخر. وهذا سبب اهتمام الحضارات القديمة بالروحانيات والاديان لأدراك عميق انها النقاط الانطلاقية لبناء اي حضارة مادية.

قوى الروح او طاقات الشمس اضافة لكل ما تقدم متعلقة بالعقل والتعقل, وحيازتها تزيد من طاقات العقل والحكمة وكل ما يتفرع منها من فضائل اخرى. وكما ان الشمس تكشف حقيقة الاشياء وتعصم من الوهم والسراب والاشتباه كذلك طاقاتها تجعل صاحبها على مستوى عالي من الحكمة ووضوح الرؤية تؤهله للقيادة والرئاسة وتصدر المجتمعات. وهي طاقات ذكرية متعلقة بالشجاعة والغلبة والحروب والانتصارات ايضاً, ولذلك فهي طاقات يحتاجها الملوك والقادة اكثر من غيرهم. ووجود شخص واحد واصل الى مرحلة الاقتراب من الشمس ممكن ان يصنع امة كاملة ويؤسس لحضارة جديدة او ينشئ دين جديد من العدم. وحالة الادراك الفائق بمنطق الطير مرتبطة جداً بحالة وضوح الرؤية والتنوير الشمسي. والتفكير المنطقي المتسلسل الواضح والقدرة على التعاطي مع اصعب العلوم هي حالات وعي شمسي اذا صح التعبير. والوصول الى الشمس او الاقتراب منها هو الوصول الى حالة التوازن او الاستقرار النفسي ورؤية التناغم الكوني والعدل الالهي بعد التعالي على الجزئيات. وهي المرحلة المهمة والقاعدية التي يجب ان يصل اليها مجتمع ما قبل ان يترقى الى مراحل تكاملية متعالية. ولا يمكن لأمة من الامم مهما بلغت من الرقي والحضارة ان تصل الى هذه المرحلة بدون وجود (شمس) قريبة منها, والمتمثل بوجود ولي الله الظاهر الناطق بحسب التعبير الديني.

في الخيمياء كل اسرار الاجسام المادية (الملح) قد تم فك شفراتها. كما تم فك شفرات اسرار الجزء (المنير) من النفس (الزئبق) وبقيت اسرار الروح غير مكتشفة بالكامل وتنتظر من يقوم بذلك. وهو عمل عسير جداً اشبه بمحاولة كشف اسرار الشمس بالوصول اليها. اذ انها ستحرق اي مركبة قبل الاف الاميال منها. او مثل الاقتراب الى النار والوقوع المباشر فيها. اذ انها ستحيل من يفعل ذلك الى رماد تذروه الرياح. الا من يمتلك تصريح من الشمس نفسها واهلها اذ انهم عندها سيحيلونها برداً وسلاماً (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) , (إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى). وهذه اقصى درجات الاقتراب من اعلى حقيقة سماوية على الاطلاق.

المراحل الخيميائية السبعة السابقة الذكر هي اكثر التقسيمات شيوعاً واقربها للواقع. وهناك تقسيمات اخرى فيها تقديم وتأخير, وهي تعتمد اساساً على الغرض من هذه التقسيمات. التقسيم السابق ينظر من زاوية الخيمياء الروحانية والنفسية والتي نعتقد برأينا انها اهم انواع الخيمياء, بل هي الغاية الاساس التي وضع هذا العلم او الفن من اجلها. في الخيمياء العملية قد يتم وضع مرحلة الشمس بعد المريخ لاسباب تتعلق باستزراع الذهب. وقد كنا قد اشرنا الى ان مراحل التحول الانساني لا تشابه المعادن ولكنها تلتقي معها في بعض المراحل. وستوضح الصورة اكثر بعد ان تتم قراءة هذا الفصل, الذي سنتناول فيه الان ما يسمى بالمراحل الخيميائية الثلاث. وهي نفس المراحل السبعة السابقة الذكر ولكن يؤخذ فيها الاجراء المناسب لاحداث التغيير عملياً اذا صح التعبير.

اي ان المراحل التحولية السبعة السابقة الذكر تجري في الطبيعة من تلقاء نفسها وتؤدي الى تحول الموجودات من حالة الى حالة تكاملية اعلى. في المعمل بالمعنى الواسع لهذا الاصطلاح الذي قد يكون مدينة يجري فيها التكامل المدروس على اهلها سيكون هناك اجراءات يجب ان يتخذها الخيميائي للاسراع باحداث هذا التفاعل. هذه الاجراءات هي المراحل الثلاث التي سيتم شرحها. والخيميائي هنا اذا كان التكامل روحاني نفسي هو ولي الله المقدس الحقيقي او من يملك تصريح من ولي الله لاجراء عملية التحول لشعب من الشعوب. لان هذه العملية قد تحتاج الى التعذيب او التجويع او حتى قتل بعضهم احياناً وهي عملية مرعبة اذا لم تكن بأمر الله المباشر. لذلك لا يتوهم الواهمين انهم بامتلاكهم اسرار التكامل البشري الخيميائي انهم يستطيعون ان يجروه على خلق الله بدون اذن مباشر منه. وحتى موسى لم يستطع الا الاعتراض على ولي الله الذي يمارس عملية التكامل على البشر بأمر الله المباشر الذي يستلزم القتل احياناً او تعطيل السفن

واغراق اهلها (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) فأفهم واحذر ولا يغرنك الشيطان فتهوى.

المراحل الثلاث القادمة هي رؤية اهل الخيمياء الاقدمين لاجراءات تسريع عملية التحول الخيميائي. وسنحاول ان نذكرها (باختصار قدر الامكان) كما هي، ومثلما ذُكرت في اغلب مخطوطات الخيمياء المهمة وبدون تغيير. على ان هذه الطريقة فيها خلل كبير وخصوصاً لو تم اجراءها على التحول الانساني. ولذلك وقبل نهاية الفصل سنطرح الرؤية الصحيحة للتحول الخيميائي في المستوى البشري الروحي وبالدلة الكافية، وهي رؤية خيميائية جديدة لا نعتقد انها موجودة في كتب الخيمياء المعروفة على حد علمنا، وان كانت لها اشارات في الكتب المقدسة والرويات المعتمدة.

هذا الانحراف عن الطريقة الصحيحة قد يكون غير مقصود بسبب قدم هذا العلم ووقوعه الدائم بين من يستخدمه فقط للاغراض الشريرة. او قد يكون هذا الانحراف مقصود للسير بالبشرية الى نهايات بعيدة عما اراد لها الانبياء، نتيجة لوقوع هذا العلم وامكانيات تطبيقه بايدي من ارتبط مع الشياطين بعهود الدم. ولكن رغم هذا فالبشرية تسير دائماً نحو غاية الهية شريفة (ولو كره الكافرون)، وما الانحراف الحاصل الا انحراف جزئي، وهو مقدر ايضاً من قبل من بيدهم مقاليد الوجود، وهو يصب في صالح الخير النهائي الكلي، وان بدا على غير ذلك للناظرين.

مراحل التحول الثلاث (اجراءات التحول):

المراحل الثلاث لها رموز لونية مشتقة من اهم الالوان التي تمتاز بها. المرحلة الاولى تسمى المرحلة السوداء او مرحلة الاسوداد. وهي اطول مرحلة واصعبها وتعتمد على طاقات زحل او ان طاقات زحل ورموزه تدخل فيها والسيادة تكون لعنصر الرصاص او لمجموع العناصر مخلوطة مع بعض. هي مرحلة تشبه حالة الفوضى الخلاقة الاولى ولكن في المستوى المادي, لو خلطت العناصر الخيمائية كلها معاً او وجدتها مخلوطة مع بعض لكان اللون الاسود هو نتاج الخليط. ولو خلطت حتى الالوان العادية السبعة للطيف الشمسي لتكون لديك اللون الاسود.

المرحلة الثانية هي المرحلة البيضاء او هي المرحلة النقية ويغلب عليها طاقة المشتري ورموزه وهي عملية طرح للالوان اذا صح التعبير. وطرح الالوان هو عكس خلطها, ولو اخذت قرص وقسمته سبعة اقسام وكل قسم لونه باحد الوان الطيف الشمسي ثم ادرته سريعاً حول محوره لتداخلت الالوان معاً وكونت اللون الابيض. اي ان طرح الالوان هو تداخلها ولكن كل في مكانه وحسب حالته وجمعها هو خلطها وتداخلها الفوضوي. وعملية الدوران هذه تذكرنا بحالة الدوران الذي يصنعها الصوفي في رقصه وهو يلبس لباس ملون او لباس ابيض للاشارة الى هذه الحقيقة التي لها علاقة بنزول الفيوضات من السماء.

المرحلة الاخيرة هي المرحلة الحمراء, وترتبط بالشمس مباشرة او بالمريخ والغالب عليها اللون الاحمر وفيها يكون الموجود قد وصل الى مراحل عالية من التكامل واصبح اورورا اي مصدر فيض بعد ان كان متلقي. في المعادن يكون المعدن قد تحول الى ذهب او اصبح حجر فلاسفة احمر اذا كان المقصود صناعة حجر فلاسفة. والالوان الثلاثة تذكرنا بالوان الاعلام في المنطقة العربية وهي مشتقة اصلاً من هذه الحقيقة وان كانوا قد قالوا لك غير ذلك. وهذه الالوان الثلاث كانت تكسو الاهرام الثلاث. واحد اسود وواحد ابيض وواحد احمر كعلامات لهذه المراحل الخيمائية التي كانت تُصمم المدن وثُقاد الشعوب وفق تعليمات الكهنة المختصون بفك رموزها الخيمائية. ووجودها في بعض اعلام بعض الدول له رمزية مهمة لو دقت النظر, وهي دليل على ان مصائر هذه الشعوب كانت وما تزال بأيدي النخبة من رواد المدارس الباطنية السرية.

1- المرحلة الاولى (المرحلة السوداء):

هي اهم واطول واخطر مرحلة على الاطلاق. هي المرحلة التي يكون فيه الموجود في ادنى درجات الوجود ولكنه قد حاز نوع من القابلية الكامنة للتعالي والتكامل وان لم يظهر عليه شيء من مظاهره بعد. هي مرحلة مرتبطة بالعذاب والالم وطول المدة والتيه والفقر والفاقة والحرمان والخسران وغيرها من مظاهر (الانقباض) المصطلح الجامع لكل هذه الانعكاسات والمظاهر وقد تكون جملة الامام علي المشهورة (إِاه من قلة الزاد ووحشة الطريق وبعد السفر) من اوضح الجمل التي تشير مباشرة الى هذه المرحلة.

وهذه المرحلة وان كانت فيها كل هذه المظاهر السفلية الا انها مرحلة مرتبطة بالتقوى والصالح الظاهري والطقوس الدينية المختلفة. اذ ان حيازة البذرة الالهية السماوية تؤدي الى ارتباط بالسماء في ادنى مراحلها يظهر على شكل تدين في الافراد وعلى شكل مظاهر تشبه التدين والارتباط بالسماء في الموجودات او الانعكاسات الاخرى لهذه الحقيقة, مثل ارتباط الرصاص بالذهب الذي نوهنا له سابقاً او ارتباط الارض بطقوس الدفن الدينية.

الغاية من هذه المرحلة سواء في الخيمياء الروحية او العملية هو ارجاع الموجود الى الحالة الاولى له قبل ان يرتبط بأي ارتباطات خارجة عن حقيقته. يسميها بعض الخيميائيين النفسيين مرحلة ازالة الاقنعة. ويسميها البعض الاخر مرحلة مواجهة الموت, او مرحلة مواجهة المخاوف. وهي في الحقيقة مرحلة مواجهة النفس ورؤيتها وجهاً لوجه على حقيقتها بدون غرور, وهي تعادل في الكبالا مرحلة مواجهة الشيطان, الذي هو النفس المغرورة الغافلة عن حقيقتها السفلية.

اهم المشاعر المتعلقة بهذه المرحلة في الخيمياء الروحية والنفسية هي مشاعر العار والذنب الناتج من رؤية النفس البشرية عارية من غرورها لأول مرة. مهما حاولنا وصف هذه المشاعر بالكلمات فلن نستطيع الى ذلك سبيلاً. الغرور الفارغ والانا المتعالية هي كالمهدئات التي يأخذها الانسان المريض لدرء الشعور بالالم. او هي الظلمات التي تخفي حقيقة مخجلة ومؤلمة بنفس الوقت. قطع تناول هذه المهدئات فجأة سيؤدي الى الم شديد وهياج وعذاب اشبه بعذاب مدمني المخدرات عند محاولتهم الاقلاع عنها, بل يفوقه مرات.

الرمز الخيميائي الأشهر لهذه المرحلة هو الغراب الأسود والذي ارتبط بشعور الذنب والخجل ومحاولة مداراة السوءة (يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي, فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ), وقد يتم الرمز لها برجل أو امرأة عاريين ويحاولان اخفاء سوءاتهما بجخل واحراج شديدين. والاحراج والخجل والشعور بالذنب وتجربة الم الابعاد والطرد قلة الاحترام وفقدان المنزلة الاجتماعية هي اولى مراحل التطهير الخيميائي أو صناعة حجر الفلاسفة. وقد جاءت هذه الرمزيات واضحة في كل الكتب السماوية كاول حالة شعورية اختبرها ادم وحواء وهما في اول مراحل التحول الخيميائي.

في الخيمياء العملية التي تظهر فيها الحقائق الباطنية مركزة وقابلة للمشاهدة ولكن بدرجة مشوهة نوعاً ما, تنقسم هذه المرحلة السوداء الى قسمين. الاول هو مرحلة التكليل أو الاحراق الذي يؤدي الى تكوين الكلس أو الرماد, ومن ثم مرحلة التذويب أو الحل, أو تذويب هذا الرماد في الماء أو اي سائل اخر بحسب نوع الممارسة الخيميائية المطلوبة.

• مرحلة التكليل (الاحراق):

وهي المرحلة التي يتم فيها احراق المادة بالنار الشديدة أو ما يعادلها حتى تفقد كل شيء ولا يبقى منها الى الرماد. ويرمز لها احياناً بهيكل عظمي يتم احراقه أو بفارس اسود مقنع يقوم بقتل كل شيء امامه حتى الاطفال والفتيات, وهناك بطاقة تاروت ايضاً تشير الى هذه الحقيقة من وجهة نظر عقائد الكابالا.

عملية الاحراق هذه تتم بلا هوادة وبلا رحمة وقد تستمر لمدة طويلة حتى لا يبقى من المادة المحترقة الا كمية من رماد قليل لا تضره النار بعد ذلك ولو طال عليه. هذه المادة المتبقية في منطق الخيمياء هي الحقيقة الوحيدة المجردة للموجود بدون اي زيادات. ولو لم تكن مجردة لاضرت بها النار وجردتها. وفي هذه المعاني اشارات عظيمة لمن يفهم معنى النار وحقيقة اضرارها بالموجودات.

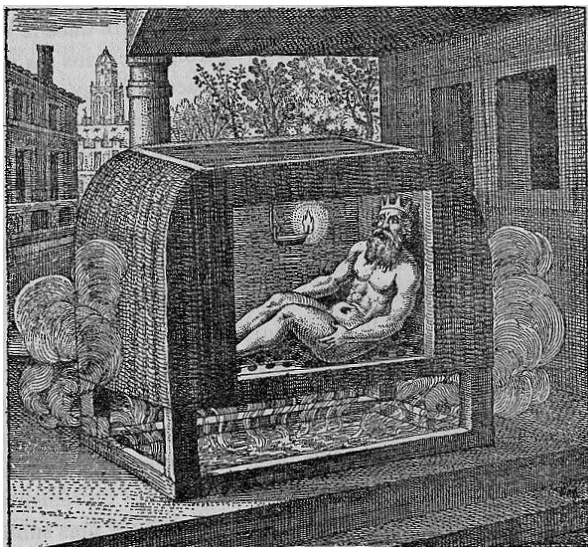
قد يتم الإشارة الى هذه المرحلة برموز اخرى اهمها التنين الذي يشرب الماء. اذ ان كل العوالق والزيادات التي تؤدي الى انتفاخ الشخصية وتضخم الانا هي كالماء الذي ينفخ الاسفنج والذي يزول بالحرارة تاركاً المبدأ الاصلي قبل التضخم واضح وعاري ومخل من تفاوته ودنائه. وهو الرماد التافه القليل الذي يبقى بعد احراق الجثث الضخمة العظيمة.

في الخيمياء العملية يتم احراق المواد العضوية كالحوانات او النباتات بالنار العادية ولكن يتم التعامل مع المعادن باحراقها بالحوامض العضوية القوية. حامض الكبريتيك القوي عادة ما يكون مستعملاً لاحراق الرصاص. وحامض النتريك (ماء النار) يستخدم لاحراق الزئبق وهكذا لكل المعادن, كل معدن له (نار) خاصة مشتقة من احد الحوامض القوية المعروفة كيميائياً.

النار في الخيمياء الروحية هي كل انواع الابتلاءات والمصائب التي تنزل على رؤوس من وصلوا الى مرحلة الرصاص الخيميائي او القاعدة السفلى للتكامل الروحي. مصائب على شكل خسارات في الاموال والاولاد, خسائر في المنزل الاجتماعية تصل الى الطرد من البلدان او السجن او حتى التعذيب المادي والمعنوي (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ , وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ), وكل الام الانبياء والاولياء (وهم في الحقيقة قد قطعوا مراحل التكامل من ازمة سابقة) كانت لأشاعة روح الصبر والتأسي بهم من قبل من هم مازالوا يقطعون هذا الطريق المؤلم. عاجلاً او اجلاً ستعلم النفس البشرية ان كل الامها وعذاباتها المتواصلة ومصائبها المتلاحقة كانت بسبب الانا والغرور وعدم القدرة على الرؤية الواضحة للحقيقة الداخلية.

الانا والغرور هو الطفل الذي لم يطلع على حقيقة العورة داخله. كل مصيبة وكل بلاء كانت في الحقيقة طلب (باطني) منه وان لم يشعر بذلك. شعوره بالاعلمية والتفوق العقلي الكاذب هو طلب (باطني) ودعاء للفضح امام العلماء, شعوره بالمنزلة الاجتماعية الكاذبة هو طلب ودعاء بالفضح والتعرية امام المجتمع. شعوره بالقيادة واقتناعه بقدرته على الرئاسة والسيادة هو طلب باطني ودعاء بالذل والهوان والتبعية (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا). وهكذا يستمر هذا الموجد البائس بالدعاء على نفسه بالويل والثبور بسبب اناه وغروره الباطني حتى تحرقه المصائب والويلات وتحيله الى رماد تذروه الرياح (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ).

في اللحظة التي ينتبه فيها انتباه حقيقي (باطني) الى حقيقة نفسه البائسة ويخلع القناع المؤلم الذي حجب عنه الشمس لقرون وينظر الى نفسه الصغيرة المتضائلة, والتي هي ليست في الحقيقة الا هذا الرماد المتبقي بعد ان احترقت النار المقدسة كل الزيف والوهم والورم. في لحظة الوعي المقدسة هذه سيكون قد خرج من هذه المرحلة المؤلمة الى الابد.



تشير رمزيات الخيمياء احياناً الى هذه المرحلة بمرحلة احراق الملك. والملك هنا هو الحقيقة المتعالية التي تضم في جزئياتها وانعكاساتها كل مظاهرها السفلية من الرصاص او الشخص الواصل الى هذه المرحلة, او بني اسرائيل او الشيعة او كل كاشم قبل رحلة الوعي او اي مظهر انعكاسي جزئي اخر يمكن ان يدخل ضمنها والتي يختصرها الخيميائيون بحسب طريقتهم

في وصف الحقائق المجردة عن جزئياتها بمرحلة احراق الملك. والتي ما ان تتم حتى تبدأ المرحلة الثانية من المرحلة السوداء وهي مرحلة اغراق الملك او مرحلة الحل والتذويب.

● مرحلة التذويب والحل:

في الخيمياء الصيدلية تكون هذه المرحلة هي مرحلة ما يعرف بصناعة الاكسير, وهو المادة الكيميائية التي تحتوي صفات سحرية منها الشفاء من جميع الامراض او اطالة العمر لسنوات اضافية عديدة او حتى الخلود بحسب دعاوي خيميائية غير المستدل عليها.

الرماد المتبقي من وجهة نظر الخيمياء يحوي على الصفات الحقيقية للموجودات بدون اي اضافات خارجية, والصفات الحقيقية تعني الحقائق المتعالية ايضاً, اي ان الخيمياء تدعي ان رماد موجود ما هو انعكاس قريب جداً من الحقيقة السماوية المتعالية له. ولذلك سيكون هذا الرماد قوي جداً من ناحية التأثير وان كان قليل الكمية قياساً بالشيء الذي اتى منه. مثلاً رماد نبات معين ذو خصائص علاجية ما سيكون اقوى بمئات المرات من النبات الذي اتى منه بسبب ازالة الكثرات والجزئيات الاخرى منه. والامر اشبه بالحكمة التي ينطق بها شخص ما خرج تواء من تجربة مؤلمة, اذ تكون عادة اقوى بكثير من كلمات اخرى يقولها الناس وهم في حالة الرخاء.

يعمد الخيميائيون في هذه المرحلة الى اذابة او حل الرماد المتبقي مع الماء او مع اي سائل اخر وبحسب نوع الممارسة الخيميائية. سنشاهد ان الرماد يكون في هذه المرحلة محب جداً للاتحاد بالماء بسرعة وبقوة واحياناً ما يولد حرارة من هذا الاتحاد. يمكن لك

ان تلمس هذه الحقيقة بسهولة من خلال وضع قليل من الجص (او كسيد الكالسيوم اللامائي) في الماء ستلاحظ ان الجص يميل الى الاتحاد بالماء بسرعة وتوليد حرارة من هذا التفاعل ثم تكوين مادة صلبة جديدة هي الجزء المستخدم في البناء. او كسيد الكالسيوم او الجص كان قد انتج عن طريق الاحراق الشديد لكاربونات الكالسيوم الى حد ان تفقد كل شيء اخر غير الكالسيوم والاكسجين المتحد معه وتتحول بذلك الى مادة اخرى ذات صفات جديدة تختلف عن المادة الاولى (كاربونات الكالسيوم) والتي لا تميل الى الاتحاد بالماء ابداً. والجص كان من اول المواد المنتجة بالخيمايا والتي اصبح لها استخدام تطبيقي في المجتمع.

يفسر حكماء الخيمايا ان ميل الرماد الى الاتحاد بالماء هو الميل الباطني الحاصل لاي موجود وصل الى هذه المرحلة للاتحاد بالماء الاول او المادة الاولى او الفيض السماوي وتحوله بعد ذلك الى حالة اخرى مختلفة تماماً عن حالته السابقة المتدنية.

وترتبط هذه المرحلة برمزية برج السرطان (كما ارتبطت المرحلة قبلها برمزية برج الحمل) او حيوان السرطان الذي يميل الى العيش في الماء وهو مخلوق من مخلوقات اليابسة. وكذلك ترتبط برمزية الانثى الباطنية والتي هي بدورها مرتبطة بخصائص مواليد برج السرطان العامة. وهي ان الموجود الواصل الى هذه المرحلة يكون مستلم عام, او يكون موجود منفعل منفتح لتقبل اي نوع من انواع الفيوضات. وهي مرحلة خطيرة جداً من مراحل التكامل وسيكون لنا معها وقفة عندما نحاول تصحيح هذه المراحل وفقاً للرؤية الاسلامية الصحيحة.

الرغبة الشديدة بالاتحاد بالماء (اي ماء) والعاطفية النفسية والانكسار الناتج عن الشدائد والاهوال التي تعرض لها الموجود قبل ذلك, ورؤيته لنفسه ونقيصتها بلا قناع وزيف, كلها من الامور التي تؤدي مباشرة الى نوع من الانكسار النفسي الخطر الذي قد يؤدي بصاحبه الى انكسار نفسي دائم غير قابل للاصلاح.

رمزيات كثيرة مرتبطة بهذه المرحلة, منها امرأة عارية تركب على حوت او سرطان بحري او حتى تنين, او امرأة عارية تتجول في الغابة, وهذه الرمزية الاخيرة مهمة اذ انها تشير الى هياج الرغبات الداخلية الغريزية عند الواصلين الى هذه المرحلة بسبب النقص الشديد والحرمان الذي تعرضوا له قبل ذلك. وتبقى الرمزية الاهم لها والمستخدمه في الكثير من ادبيات الخيمايا الرمزية هي الملك الغارق او مرحلة اغراق الملك.



قد ترتبط رمزية الباسيليسك الذي اشرنا اليه سابقاً والذي هو تنين برأس ديك مباشرة بنتيجة هذه المرحلة من التحول الخيميائي ونترك شرحه لذهن القاريء اللبيب.

قد تقرأ في بعض نصوص الخيمياء عن الماء الذي لا يبل الايدي او الماء الذي لا يسبب البلل، وكلها رموز لانواع

الفيوضات التي يبدأ الواصل الى هذه المرحلة بتلقيها والتعامل معها والغرق بها اذا صح التعبير، وهي كلها انواع من المياه المعنوية التي يتم صيها من السماء الى الارض والتي هي بنظر الخيمياء مياه حقيقية لكنها (لا تبلل الايدي).

من الجدير بالذكر قبل نهاية الموضوع ان كل اقسام المرحلة السوداء مرتبطة بطاقات زحل وما تسببه من انقباض وضيق وشدة وعسر. وهي مرحلة قد تتكرر الى الابد في حالة عدم حصول النتيجة المرجوة. اي ان فرد من الافراد او امة من الامم قد تبقى في هذه المرحلة الى قرون عديدة لا تخرج منها ابداً بسبب عدم التفاتها الى نفسها وعدم قدرتها (كأمة او فرد) على نزع قناع الغرور والتخلص من الانا. لذلك قد يتم الرمز لها احياناً بالارضية الشطرنجية او المربعات السود والبيض المتكررة الى الابد. اذ ان الموجود وبعد ان يخرج من مرحلة الاحراق ويتم حله وتذويبه في (الماء) قد يعود الى نفس خصائصه المتدنية السابقة او اكثر مما يستلزم اعادة مرحلة الحرق مرة اخرى ومن ثم التدويب وانتظار النتائج وهكذا الى الابد احياناً (لَا يَثِينُ فِيهَا أَحْقَابًا).

وهذا المكوث الطويل في هذه المرحلة قد يكون ليس بسبب عدم اهلية الموجود للخروج ولكن بسبب عدم كفاءة الخيميائي، او ان الخيميائي قاصد عدم خروج الموجود من هذه المرحلة وخصوصاً في الخيمياء النفسية، بسبب ارتباط الخيميائي القائم بعملية التحول البشري بعهود ومواثيق شيطانية تجعله قاصد للافساد وتطويل المدة المؤلمة على الشعوب او انتاج نوع من البشر خاص ذو خصائص انثوية منفعة تتقبل كل انواع الفيوض بلا تمحيص ولا فرز. وستوضح هذه الحقائق لاحقاً بأذن الله.

2- المرحلة الثانية (المرحلة البيضاء):

المرحلة السابقة كانت (بعقيدة الخيمياء) مرحلة اماتة الموجود بالنار واعادة احياءه بالماء. اي ان عنصري الماء والنار كانا هما السائدين فيها. المرحلة الاتية ستكون السيادة فيها لعنصري الهواء والتراب وبذلك تُستكمل كل العناصر الابعة ويصل الموجود الى حالة التوازن المطلوب.

اشرنا في مواضيع سابقة ان المرحلة البيضاء لها علاقة بمرحلة المشتري وطاقاته الابتهاجية التفاؤلية. وذكرنا ان هذه المرحلة قد تكون قصيرة نسبياً او حتى غير ملحوظة. وهي مرحلة الصبح او لحظة البرق المبشرة بنزول المطر ونهاية الجذب والجفاف.

وتنقسم هذه المرحلة ايضاً الى قسمين, مرحلة الفصل ومرحلة الوصل او الاقتران.

• مرحلة الفصل:

في الخيمياء العملية تتم هذه العملية بعد مرحلة التدويب. اذ ان بعض الرماد الذي تم جمعه من مرحلة الاحراق لا يذوب في هذا المذيب ابدأً. وهنا يعتمد الكيميائي الى فصله النهائي بعمليات مختبرية مثل امراره بورق الترشيح او اي عملية كيميائية مختبرية اخرى تؤدي الى فصل الرماد غير القابل الذوبان بالمذيب واخراجه عن الجزء الذي تم تدويبه.

ولا تكون هذه العملية الا بعد ان يتأكد الكيميائي ان الرماد الباقي غير قابل للاذابة ابدأً بمحاولة تدويبه عدة مرات بدون استجابة. كمية الرماد التي حصل عليها الكيميائي من مرحلة الاحراق قليلة جداً (لا تتعدى في النباتات 2%) من اصل المادة المحترقة) ولذلك فهي ثمينة لديه ولا يعتمد الا التخلص منها الا بعد ان يستنفد كل المحاولات اللازمة لاذابتها ويصل الى يقين مطلق ان المادة الباقية لا يمكن اذابتها بأي حال من الاحوال. وهنا يعتمد الى فصلها والتخلص منها.

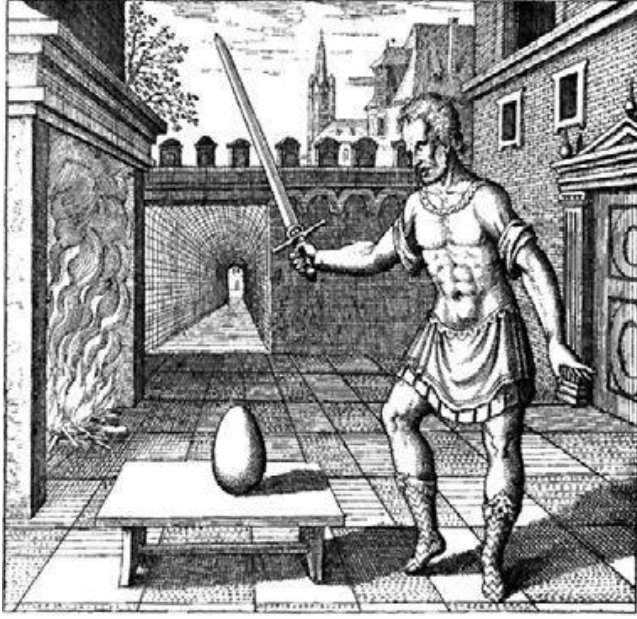
في عقيدة الخيمياء, وبعد مرحلة الفصل تكون المواد على شكل سوائل كل منها يحتوي على نوع من انواع الطاقات العنصرية وحسب المواد القادمة منها. مثلاً سائل معين قد تم استخلاصه من قرون الوعل بعد احراقها وتدويبه وفصله سيكون محتويّاً على طاقة الزهرة المؤنثة. وهكذا بحسب نوع المادة المستخدمة في العمل يتم فصل الطاقات وتنقيتها.

في الخيمياء البشرية النفسية تكون مرحلة الفصل هي المرحلة الاخيرة من مراحل تحول مجتمع ما الى دين جديد او عقيدة جديدة او مرحلة حضارية جديدة. وهي مرحلة زوال النظام القديم الذي كان يحكم تلك المرحلة وتمزق عرى المدينة او حتى هلاكها.

وهذا الامر لا يحدث الا بعد ان يصل من يقوم بعملية التحول البشري الخيميائي (وهو نبي او ولي منصوب عادة) الى اليقين المطلق ان لا فائدة مرجوة من مواصلة العمل والدعوة. وبذلك يتم الفصل الخيميائي بمساعدة السماء عادة بين الصالحين الذين يكونون اقل القليل والذين سيكونون العالم القادم وبين المستكبرين اللذين يكونون الكثرة في الغالب, وهذه هي حالة مطابقة لما يحصل بعد التدويب المعملية, اذ ان اغلب الرماد لا يذوب ويجب التخلص منه, لاحظ هذا النص والكثير غيره الذي يتحدث عن عملية فصل دقيق جداً ولا يسمح ابداً بوجود اي شائبة ويحدث في مطلع الصبح دائماً كأشارة الى هذه المرحلة الخيميائية البيضاء (قَالُوا يَا لَوُطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ). وبحسب منطق الطير في التعامل مع الحقائق المجردة من خلف جزئياتها فإن الصبح هنا هو وصول القوم الى مرحلة الفصل البيضاء المرتبطة برمزية الصبح بغض النظر عن كون الامر قد تم صباحاً او مساءً كانعكاس جزئي للحقيقة المتعالية.

مرحلة الفصل متعلقة دائماً بحصول اليقين عند كل الاطراف. وقد تتعلق احياناً بمرحلة ما بعد زوال الروح الالهية المتمثل بالنبي او الولي الذي كان يجمع كل اصداد المجتمع مع بعض (سيتوضح الامر اكثر بعد), هذا الزوال للروح يتم بعد ان يتوضح كل شيء للجميع ولا يكون الاختلاف بعده الا عن بيئة وعن سبق اصرار وترصد, وهو ايضاً نوع من الفصل الخيميائي البشري للصالحين عن الطالحين بعد ان تتوضح الصورة بما لا يقبل اللبس والايهام (وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ), (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ).

رمزيات عديدة مرتبطة بهذه المرحلة وكلها تشترك بان لها وجهان لنفس الشيء الرمزي. العنقاء ذات الرأسين ممكن ان تكون رمزية جيدة لهذه المرحلة والفأس ذو الحافتين كذلك, وسيف الامام على ذو الفلقتين ايضاً رمزية واضحة للفصل الواضح بين الخير والشر والطالح والصالح وغير ذلك من الرموز التي يمكن معرفة اشارتها بسهولة للعارف بهذه المرحلة وخصائصها.



اهم رمزية مستخدمة في ادبيات الخيمياء هي الرجل الذي يهزم بكسر البيضة الى نصفين بواسطة سيف. البيضة ترمز دائماً للكيان المتكامل باطنياً ولكن الهش القابل للكسر. هذا الكيان قد يكون مادة كيميائية او مدينة او شخص او دين او اي انعكاس اخر لحقيقة سماوية متعالية غير قابلة للبيان الا من خلال جزئياتها التي يبدو ان كسر البيضة اوضحها.

السيف مرتبط بالحديد الخيميائي الذي تم ذكره سابقاً، واستخدامه في هذه الصورة ليس مصادفة وانما يشير الى حقيقة باطنية مهمة جداً يعرفها العارفون ويحاربها الواهمون، ولها علاقة بصناعة حجر الفلاسفة، نترك فهمها لاهلها.

في الخيمياء النفسية تكون هذه المرحلة مصداق لمقولة (اعرف نفسك) الشهيرة. اذ ان الواصل اليها سيكون قد عرف نفسه بشكل واضح جداً وكأن الصبح قد اشرق داخل نفسه. سيعرف بالضبط من هو وماذا يُراد منه وكيف ينمي قدراته وقابلياته، وكيف يتخلص من سلبياته وما هي الاجراءات الكفيلة بذلك. ستكون مواصلة طريق التكامل اسهل عليه كثيراً بوجود ضوء النهار الكاشف عن كل شيء من حوله.

• مرحلة الوصل (الاقتران):

في الخيمياء العملية وبعد ان يتم تنقية المواد بالفصل يكون الخيميائي قد وصل الى اعلى درجات النقاء في المادة. المواد ستكون عبارة عن جواهر نقية ومبادئ فعالة وطاقات شبه مجردة عن المادة. سيكون الخيميائي قد حصل على مادة تمثل جوهر النار واخرى تمثل جوهر الماء وكل بحسب نوع المادة الداخلة في العمل من البداية.

الان قد حان وقت الاقتران او الوصل او الزواج الخيميائي بحسب الاصطلاح المشهور. والزواج او الاقتران الخيميائي هي عملية دمج بين اعداد متنافرة لا يمكن الدمج بينهما في الحقيقة ابداً الا بوجود عنصر ثالث يكون هو الحد الفاصل الواصل بينهما. اي ان الامر هو محاكاة لعملية الدمج بين البحرين السماويين او المبدأ الذكري

والانثوي وتكوين الميزان السماوي بوجود البرزخ الواصل الفاصل بينهما (مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ).

الدمج عادة يكون بين ضدين احدهما يمثل المبدأ الذكري ناتج من استخلاصه من مواد
يعرف الخيميائي مسبقاً احتواءها عليه، والاخر هو المبدأ الانثوي الناتج من مواد تحويه
من البداية. قد يكون الدمج بين طاقة الشمس والقمر او بين طاقات الحديد الذكرية
والزهرة الانثوية او اي نوع اخر من الاضداد المستحصل عليها من العمليات
الخيميائية السابقة والتي لا يمكن بأي حال من الاحوال دمجها معاً في الطبيعة.

يرمز له عادة بالاقتران بين الماء والنار او الشمس والقمر. وخصوصية هذه المرحلة
واهميتها هي انها المرحلة الاولى من مراحل التحول التي يحتاج فيها الخيميائي الى
مساعدة خارجية.

ولفهم الموضوع لنعد قليلاً الى المواضيع الاولى من الكتاب وهو موضوع الشاهد
والمشهود، والذي شرحنا فيه ان الفصل بين السماء والارض كان بوجود شهود
سماويين موكلين بهذه المهمة التي كانت اول مراحلها الفصل بين السماء والارض او
المبدأ الذكري والانثوي او قل النار والماء بواسطة وعيهم الفائق المستمد من الوعي
الالهي غير القابل للادراك. ثم قاموا (صلوات الله وسلامه عليهم) بعملية الوصل او
الاقتران (او سمه الزواج الخيميائي اذا احببت) بواسطة شهادتهم السماوية ايضاً. وهذه
الحقيقة السماوية تجد لها انعكاس ارضي واضح في عملية الزواج والطلاق العاديتين
والتي تحتاج الى شهادة الشهود. والفرق بين الزنا والزواج المبارك هو هذه الشهادة لا
غير.

لنعد الى معملنا ونشاهد الخيميائي وهو يهم بتزويج مبادئه الذكري والانثوي. سيحتاج
مباشرة الى مبدأ ثالث وهو الشاهد والذي يمثل الفاصل الواصل بين النار او المبدأ
الذكري وبين الماء او المبدأ الانثوي. وهو بحسب عقيدة الخيمياء عنصر الهواء. وحتى
انعكاس هذه الحقيقة واضح جداً في جزئياتها، اذ يتوسط الهواء او الغلاف الجوي
المسافة بين الارض كمبدأ انثوي وبين السماء كمبدأ ذكري. او وجود رئة الانسان
المملوءة بالهواء في وسط المسافة بين رأسه الممثل للمبدأ الذكري وبين بطنه الممثلة
للمبدأ الانثوي. ويمكن ان تجد عشرات الامثلة على ذلك.

المبدأ الثالث او عنصر الهواء اللازم لعملية الاقتران يكون اما الخيميائي نفسه الذي قد
وصل الى مرحلة من صفاء النفس والشفافية الى مرحلة ممكن ان يكون في مصاف

اولياء الله الشاهدين, وهذا ما لم يصل اليه احد ولن يصل الا بمساعدة هؤلاء الاولياء انفسهم. او ان يقوم الخيميائي بالاستعانة بالشياطين ممن لديه مقدرة على هذا الامر. يشرع الخيميائي في هذه المرحلة بتلاوة الطلاسـم واستخدام الروحانيات والاستعانة بارواح المخلوقات العنصرية لاتمام عملية التزويج. ولذلك قلنا من البداية ان عملية الزواج الخيميائي هي زنا باطني لأنها تتم عادة بحضور الشياطين وبمساعدهم.

اهم الكائنات التي تحضر هذه المرحلة وتساعد الخيميائيين المنحرفين هو انليل او سيد الهواء, لأنه الكيان العارف بخواص هذا العنصر الباطني اكثر من غيره وبذلك يستطيع استخدامه بصورة اكفاً من الآخرين. حتى اسمه القديم (بعل) فيه اشارة واضحة لحقيقة هذا الزواج او الاقتران الدنس بين المبادئ الاولى (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ). غالباً الخيميائي الذي يقوم بعملية التزويج الباطني يروم انتاج جسد جديد. ونقصد بذلك جسد حي او ما يسمى في الخيمياء بمخلوق الهيموكيولي (الهومونكولي). وهو مخلوق او كيان فيه شيء من الحياة الشبيهة بالحياة النباتية غير الواعية سنشير اليه في تفصيل اكثر في الفصل القادم.

الدمج او التزويج بين عنصري النار والماء بوجود الرابط او الشاهد وهو عنصر الهواء سيولد مباشرة عنصر التراب. الذي هو الجسد المطلوب المتوازن الناتج من اقتران العناصر الثلاث. او هو الملح الخيميائي الناتج من تفاعل الكبريت او الروح مع الزئبق او النفس.

عملية الاستعانة بالشياطين او غيرها او اي نوع من انواع القدرة على امتلاك عنصر الهواء الذي يمثل الروح بادنى حالاتها هو ما يسمى في الخيمياء بعملية الطرح او النبذ او الالقاء. اذ يعتمد الخيميائي الذي يمارس السحر احياناً الى استخلاص المبدأ الذكري والانثوي وجعلهما معاً في مكان واحد ثم انتظار الوقت المناسب لاستحضار سيد الهواء والاستعانة به او ان يكون قد حاز على عنصر الهواء من ممارسة سابقة واحتفظ به, وعند الوقت المناسب يقوم بعملية الطرح او القاء هذا العنصر في المخلوط المعد سابقاً اذ يتحول مباشرة الى مخلوق حي ولكن بنوع حياة نباتية او اقل من النباتية, كما سنشرح لاحقاً.

ناتج عملية الاقتران في الخيمياء المعدنية او التي يروم فيها الخيميائي انتاج حجر الفلاسفة هو مسحوق ابيض اللون ناصع البياض وهو الملح او الجسد او المولود الناتج من هذا الزواج الباطني. هذا المولود الابيض الناصع البياض هو ما يسمى بالمسحوق

الابيض. وهو اول مادة ناتجة لها قدرة انتاج الفيض وليس استلامه. اي ان هذا المولد هو مصدر فيض ارضي او مصدر طاقات باطنية ارضية وامتلاكه يعني امتلاك مصدر طاقات مهم جداً بالنسبة للخيميائي من اجل ممارسات خيميائية اخرى. وهذه المرحلة وان كانت ليست الاخيرة الا ان بعض الخيميائيين يتوقفون عندها ويكتفون بها.

المسحوق الناتج او المسحوق الابيض المولد للفيض هو ما يسمى بالاورورا البيضاء, وهو نواة حجر الفلاسفة النهائي. هذا المسحوق الابيض يتم تنقيته وعزله ويستخدم في انتاج الفضة الخيميائية من الرصاص. اذ ان جزء قليل جداً منه يصل الى جزء من الالف ممكن ان يحول كيلو غرام من الرصاص الى فضة نقية.

تناول هذا المسحوق (بحسب ادعاء الخيميائيين) يؤثر على الصحة ويزيل كافة الامراض واستخدامه في ماء الزراعة يضاعف انتاج النبات والحيوان. هذا المسحوق الابيض او الاورورا يستخدم في عمليات الطرح النجمي او الخروج من الجسد كما يصطلح عليه احياناً, وهي من اهم الممارسات الشيطانية التي يدعي ممارستها انها رحمانية او يقوم بها الاولياء. واهم اهدافها هي القدرة على الخروج من الجسد الارضي من اجل اللقاء بالكائنات العنصرية الخفيفة والتي هي الهة العالم القديم.

من اهم مظاهر عملية الوصل او الاقتران في الخيمياء البشرية هي ما حصلت خلال التاريخ في عملية هجرة المؤمنين من مكة الى المدينة ومشاركتهم للانصار في الحياة وتكوين نواة جسد جديد طاهر ابيض كان لأول مرة فاعل وليس منفعل, اي اصبح مصدر فيض واشعاع وتأثير بكل ما حوله. هذه الاورورا البشرية كانت نتيجة اتحاد الاضداد المرموز لهم بالمهاجرين والانصار (او النار والماء) من جهة وبالاوس والخزرج من جهة اخرى (خصماء الدهر), وبوجود الروح الالهية البشرية الحقة محمد صلوات الله وسلامه عليه تم الدمج بين هذه الاضداد المتنافرة التي يقر القرآن بتنافرهم غير القابل للتألف (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ, لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ, إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) وهذا النص هو رد كافي على دعاوى جابر وغير جابر من الخيميائيين الذين يدعون انهم قادرين على احداث الزواج الخيميائي بطريقة صالحة بدون الاستعانة بالشياطين. اذ ان التأليف بين الاضداد لا يكون الا بواسطة الله مباشرة عن طريق الارواح الالهية الحقة فقط شهداء يوم الخلق الاول.



رموز كثيرة يستخدمها الخيميائيون للإشارة إلى هذه المرحلة، وكلها تشير إلى وجود الكيان الثالث أو العنصر الثالث الذي يقوم بالجمع بين الاضداد واقامة علاقة الوصل-الفصل بينهما بحيث (لا ينبغي) احدهم على الآخر ولا يطغى في الميزان.

في الصورة يظهر العنصر الثالث أو الهواء بحسب ما تشير إليه الاجنحة اسفله واعلاه



وهو يقوم بعملية الحجز بين المبدئين الشمسي والقمري. الرسول بالصورة يشير إلى هرمس بشخصية الرسول السماوي وهو يحمل قادوسين كل منهما في يد علامة على اتمام اقصى درجات التوازن لكلا المبدئين قبل ان يتم التزاوج بينهما.

الصورة الثانية اشهر من الاولى وتظهر عملية التزاوج بين المبدئين الذكري والانثوي والذي لا يتم الا

بنزول الطائر من السماء الممثل للعنصر الثالث أو الروح أو الهواء، ومن الجدير بالذكر ان ارتباط الروح بالهواء يظهر ايضاً في نصوص مقدسة بمصطلح النفخ المرتبطة بدمج الروح مع الجسد (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا).

الاسدين ذوي الوجه الواحد هي الاورورا البيضاء المتولدة من هذا الاندماج او ما يسمى بحجر الفلاسفة الاصغر او طفل حجر الفلاسفة. ويظهر انه مصدر ومولد للفيض من الماء الجاري من فم الاسدين.



هذه المرحلة بالضبط هي ما يرمز لها الكيميائيون بالانتقال من الاسد الاسود الى الاسد الاخضر. وهذا يعني تحول الاشياء المعدنية الى الحياة او انتقال المادة من حالة الجماد او اللاحياة الى حالة الحياة وامتلاك الروح التي من اهم مظاهرها الحركة والنماء.

في الصمرة يظهر الكيميائي وقد وصل الى هذه المرحلة من العمل العظيم وهو يشير

بيده الى نبات قريب منه اي ان الهدف هو التحول الى المرحلة النباتية. امامه ما يشبه الصندوق المكعب كرمز للمعادن او الاشياء التي في مرحلة ما قبل الروح. وداخله ما يشبه الساعة الرملية والتي فيها طائر في الاسفل وينتظر نظيره الذي في الاعلى.

الطائر الذي في الاسفل هو الجسد المتكون من العمل بهذه المرحلة وهو نتيجة الخلط بين طاقة ذكرية واخرى انثوية. ونظيره الذي في الاعلى هو الروح الملائمة لهذا العمل والتي يجب ان تكون مطابق مقلوب لما في الاسفل. وهناك موضوع كامل في الكبالا عن الرجل المقلوب او المعلق لتوضيح هذه الحقيقة الانقلابية بين ما هو في الاعلى وبين نظيره الذي في الاسفل شرحناها في كتاب حبة الرمان.

لاحظ حركة الكيميائي واتكائه على الصندوق وكأنه لا شيء يمكن له ان يعمل في هذه المرحلة سوى الانتظار. وهذا هو الواقع حقاً. اغلب الكيميائيين يسمون هذه المرحلة بمرحلة الصلاة او وقت الصلاة, اذ ان كل الامر اصبح خارج عن ارادتهم وليس امامهم سوى الدعاء والتضرع للكيانات الروحانية والاشباح وارواح الكواكب وخدامها من اجل اتمام العمل, والتي هي في الاغلب الاعم كيانات شيطانية.

3- المرحلة الثالثة (المرحلة الحمراء):

يرمز للمرحلة البيضاء السابقة بالملكة البيضاء او الحصان ورموز اخرى كثيرة تم استخدامها خلال قرون من ممارسة الخيمياء. المرحلة الاتية او المرحلة الحمراء يمكن ان يرمز لها ايضاً بالوعل الاحمر او الملك الاحمر وغيرها من الرموز. وعندما نتعامل مع صورة لرمز خيميائي يوجد فيه ملك وملكة فيجب ان نكون قادرين على تحديد المرحلة التي نتحدث عنها الصورة ان كانت مرحلة الزواج الخيميائي الاول الذي تحدثنا عنه سابقاً او مرحلة متقدمة جداً من الممارسات الخيميائية تحدث بعد المرحلة الحمراء او بعد انتاج الملك الاحمر والملكة البيضاء.

تبدأ المرحلة الحمراء من علامات معينة يستطيع الخيميائي معرفتها بالخبرة, اولها ظهور مسحة صفراء او لون اصفر فوق البياض الناصع للمادة الناتجة من المرحلة السابقة. يسمى الخيميائيين هذه العلامة البشارة الصفراء وهي الجذر الباطني لارتباط اللون الاصفر بالسعادة او اتمام العمل او احياء الموتى (صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ). ظهور اللون الاصفر علامة على ميل هذه المادة المتكونة لاتمام التحول الى الذهب.

يتبع ذلك ظهور لون زهري او وردي وهو علامة اخرى على تقدم المادة وميلها الشديد نحو التحول. يسمى الخيميائيون هذه العلامة بظهور الشبح الوردي. وكل هذه الالوان ناتج من عدم الاستقرار الذري لهذه المادة العجيبة الذي ينتج عنه اشعاعات تنتمي الى عالم الاشعاعات الذرية وهي الطريقة التي تسلكها المواد غير المستقرة ذرياً من اجل الوصول الى حالة الاستقرار.

تنقسم المرحلة الحمراء الى ثلاث اقسام او مراحل مميزة وهي مرحلة التخمر وتليها مرحلة التقطير ثم مرحلة التكثيف او التخثير وفي ما يأتي ملخص بسيط عن كل منها:

• مرحلة التخمر:

بعد فترة قليلة من ظهور اللون الوردي على المولود الابيض وفجأة ينقلب كل البياض الى سواد بهيم. وكأن اللون الوردي هو لون الغروب قبل دخول الموجد الى مرحلة الليل الثاني او المرحلة السوداء الثانية او الموت الثاني بحسب تعبير الخيميائيين (وَأَيَّةُ لَهُمُ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ), (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ).

الدخول الى مرحلة الليل المظلم الثاني هو ما كنا نشير اليه بالعود على بدء في الخيمياء او ما عبرت عنه الاية (كَمَا بَدَأُكُمْ تَعْوُونَ). وهي في الكبالا اكمال مرحلة من مراحلها الاربعة او اكمال العروج الى قمة احدى الاشجار والدخول الى الاخرى. وقد اشرنا ايضاً الى ان كيثر وهو اعلى نقطة من الشجرة هو نفسه ملكوث من الشجرة الاخرى او ان الرصاص هو نفسه الذهب والكثير من التعبيرات الباطنية الاخرى التي تشير الى هذه الحقيقة.

مرحلة الليل الثاني او المرحلة السوداء الثانية او الموت الثاني وان كان ايضاً يمتاز بالشدّة والطول الا انه لا يمكن مقارنته بالمرحلة السابقة. اذ ان الموجود الان في مرحلة تكاملية اعلى درجة من المرحلة التي سبقتها. او قل هو الان في اسفل الشجرة الثانية من الوجود المتكون من اربع اشجار صعوداً (راجع حبة الرمان).



اللون الاسود المفاجيء هو حاصل التفاعل الكامل بين العناصر الثلاث المكونة له وهو المبدأ الانثوي والمبدأ الذكري والفاصل الواصل بينهما او قل النار والماء والهواء.

خيميائياً فإن حاصل تفاعل العناصر الثلاث يكون مباشرة العنصر الرابع وهو التراب. المادة السوداء المظلمة المتكونة الان هي المقابل الاكثر شبه او نقاء او قل الانعكاس الاوضح لعنصر التراب السماوي المجرد عن الكثرات.

اهم رمز له هو الخنفساء الفرعونية المقدسة, لونها الاسود وانقسام جسمها الى ثلاث اقسام وارتباطها بالشمس مباشرة جعلها الرمز الاكثر استخداماً لهذه المرحلة.

اللون الابيض السابق او النهار كان بسبب انفصال العناصر عن بعضها مع تواجدها في موضع واحد. اللون الاسود الجديد هو حاصل اختلاط هذه الطاقات الثلاث المكونة لهذا المولود. اختلاط الطاقات (او الالوان) يكون مباشرة اللون الاسود وقد ذكرنا ذلك سابقاً فراجع.

تكوين اللون الاسود يعني خيميائياً موت هذا المولود الجديد او بالاحرى موت العناصر القديمة المكونة له وتكوين عنصر واحد فقط هو عنصر التراب النقي المرتبط اساساً بالموت والتحلل والتفسخ.

ذكرنا سابقاً ان احد تطبيقات الخيمياء الانسانية خلال التاريخ كان رسالة الدين الاسلامي. المقابل الانساني البشري لهذه المرحلة التكاملية او التحولية هو وفاة الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه والتمزق والموت المباشر للمولود الجديد والدخول السريع في حالة التمزق والتشرذم والانحلال (وَايَةً لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ). الآية تشير الى نهار يتوسط حالتي ليل وظلام وحدوث انسلاخ فجائي له فتأمل.

رغم هذا التراجع والتفسخ الا ان البذرة الصالحة موجودة وهي مغمورة الان في التربة السوداء المظلمة الخصبة وتحتاج الى السقي لكي تنمو مرة اخرى وتزهر. في الخيمياء العملية يكون هذا السقي بحسب الممارسة. وتشير نصوص كثيرة الا ان الخيميائي هنا ايضاً يلجأ الى ممارسات ظلامية وخصوصاً عند العمل في الخيمياء المتعالية التي تروم خلق الحياة. والدم هو مادة السقي الشائعة التي تدخل في هذه الممارسات.

الدم البشري وخصوصاً دم الاطفال او دم الناس الابرياء او القديسين هو اكثر مادة مفضلة في هذه الممارسة الباطنية التي تهدف الى سقي (الحامل السوداء) كما يعبرون عنها بماء الحياة او ماء الروح او الروح كي ينمو الجنين الصحيح.

اغلب ممارسات التضحية البشرية تعود الى هذا الجذر الخيميائي والكثير من الباطنيين يعرفون المستوى العالي من الطاقات الروحية التي يحويها الدم والتي تعود الى الخصائص الباطنية لعنصر الحديد الحي او عنصر الحديد وهو ضمن مخلوق حي.

كممارسة خيميائية بشرية تاريخية لم تصل امة اليهود الى هذه المرحلة من التكامل، وتوقفت بعد مرحلة الفصل المتمثلة بالخروج من ارض مصر وهجرتهم الى الارض الموعودة وفشلهم في الدخول الى مرحلة الوصل او الاقتران المقدرة لهم لتمنعهم عن دخول الارض المقدسة. الامة المسيحية ممكن ان نقول انها قد دخلت هذه المرحلة بسبب رمزية الدم على الصليب وان كانت عقيدة الاسلام تقول انهم قد (شبه لهم) وان المصلوب لم يكن المسيح وان الدم المراق لم يكن من دماء القديسين.

ما لا يمكن الاختلاف عليه هو دخول امة الاسلام الى هذه المرحلة المتقدمة من التكامل السماوي. وبعد كسوف قمرهم وغياب شمسهم ودخولهم مرحلة الليل الثاني البهيم او مرحلة البذرة المختفية في الاديم المظلم, كانت دماء واقعة كربلاء هي الدماء الطاهرة النقية التي سقت هذه البذرة المباركة وحفظتها من الزوال والموت المؤكد (إن كان دين محمد لا يستقم .. إلا بقتلي يا سيوفُ حُذيني). دم القديسين الطاهر ودم الاطفال الابرياء وتمزق الاوصال ورمزية الحديد كلها واضحة في ان المطلوب كان سقي هذه البذرة المباركة بالدم العبيط كما تريد قوانين التكامل السماوي. والتي لم يكن لها ان تحدث لولا هذه التضحية الكبيرة.

الخيميائيون المنحرفون يعرفون جيداً قوانين التحول وحاجة كل مرحلة من المراحل واجراءاتها. وهم خلال كل تجاربهم يحاولون تطبيقها بمساعدة الشياطين لأنهم ليسوا الاولياء المكلفين من السماء بذلك ولا يمكن ان تحدث عندهم نتائج حقيقة الا بوجود الروح الحقيقية التي لا يملكونها لا هم ولا اعنى من يساعدهم من الكيانات الشيطانية. وكان الاولى بهم لو انخرطوا في الممارسات الخيمائية السليمة والاعتراف بفضل الاولياء ومقامهم واستخدام علومهم الكبيرة للتعريف بهم بدل الكذب والتدليس واتباع اهواء الطمع والجشع اللذان يعميان البصيرة (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ , وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).

عملية التخمير كيميائياً هي عملية تفاعلات تحدث بسبب انزيمات البكتريا التي تحلل المادة وتحولها الى كحول بدلاً من سكريات. وخيميائياً هي انتصار صغار الموجودات الاذلاء المحترقون (الطلاق بالتعبير الاسلامي) ونجاحهم في شق عنصر التراب او المولود الابيض النقي وقتله وادخاله مرحلة التفسخ.

بعد التغذية الدموية تدخل المادة السوداء الجديدة (والتي قد تسمى الوجه المظلم من القمر) مرحلة قد تطول او تقصر بحسب نوع الممارسة. يكون السائد فيها هو اللون الاسود المظلم وتحتاج الى حرارة ايضاً ولكن ليست بقدر حرارة الاحتراق التي احتاجتها المادة في المرحلة السوداء الاولى.

وهناك رمزيات كثيرة متعلقة بدخول المادة مرحلة التخمير منها التنين القابع في قعر كهف مغلق بصخرة او الدورق المختوم بالختم الهرمسي وغيرها من الرمزيات الدالة على الدخول الى مكان مغلق مادي او معنوي لفترة طويلة. ومن الرمزيات الاسلامية المتعلقة بقوة بهذه المرحلة هي الكهف وسورة الكهف ومكوث اصحاب الكهف ولبوئهم

داخله لمدة طويلة ثم انبعاثهم. وتقول الاسطورة الاسلامية ان رأس الامام الحسين عليه السلام كان قد تلى اول اية من سورة الكهف بعد المعركة مباشرة (او قل طقس التغذية الدموية المقدس) وهو مرفوع فوق القنا ايذاناً ببدء مرحلة التخمير الكيميائي للشريعة مولود الاسلام وبذرتة المقدسة (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا).

مدة التخمير قد تطول او تقصر كما اسلفنا وهي تعادل في الخيمياء الانسانية مرحلة الغيبة الطويلة التي حدثت وما زلنا فيها. اي اننا الان وبحسب قوانين التحول الكيميائي نعيش هذه المرحلة بالضبط وقد نكون شارفنا على نهايتها. بسبب العلامات الكيميائية الكثيرة التي تحدث ومنها ظهور الوان الطيف الشمسي السبعة فوق سطح المادة السوداء والتي تقابل ظهور تيارات فكرية مختلفة موجودة معاً في نفس الوقت وهو علامة عصرنا الحالي والله اعلم.

اشرنا في موضوع سابق ان في الخيمياء النفسية تكون الوان الطيف علامة على الافكار المتعددة التي تصاحب هذه المرحلة والتي قد تؤدي الى نوع من الابداع الظاهري.

من الجدير بالذكر ان هناك خطأ شائع بين الكيميائيين وبين حتى الناس العاديين وهي تسمية المشروبات الكحولية بالمشروبات الروحية. وهذا الخطأ الشائع هو نتيجة خطأ في الرؤية او في الفهم الكيميائي للفرق بين الروح والنفس. وقد اشرنا في فصول ومواضيع سابقة الى جزء من هذه العلاقة وتكون لنا وقفة في الفصل القادم معها. المهم، نريد ان نشير ان الخمر او المادة الناتجة من التخمير وقبل نهاية عملية التخمير اذا اردنا ان نميها وفق الرؤية الكيميائية الصحيحة فيجب ان نسميها مشروبات نفسية وليست روحية.

النفس في الخيمياء وقد اشرنا اليها قبلاً تتكون من جزئين، جزء سفلي ارضي وجزء علوي سماوي. وهما معاً يشكلان ما يسمى وجهي القمر. الجزء المظلم من القمر والذي يرتبط مباشرة بهذه المرحلة في مستوى من مستوياتها يعادل المادة المتكونة من التخمير والتي تؤدي الى نوع من الابداع المهلوس او ما قد نستطيع التعبير عنه بالحكمة المرتبطة بالجنون وبانفلات النفس من عقالتها وهياجها الباطني. وهو ما يحدثه تأثير شرب الخمر كما هو معروف.

نهاية مرحلة التخمر ستؤدي الى انتاج الخل النقي, وهو ايضاً مادة نفسية او مشروب نفسي اذا صح التعبير ولكنه مرتبط بالوجه المضيء للقمر او بالجزء من النفس المقابل للسماء او للروح (او للشمس), وبذلك فهو الجزء المتعلق بالابداع العقلاني المتوازن وبالسيطرة على الانفعالات وبالقوى الشهوية المتوازنة المسيطر عليها .

عقيدة الخيمياء تدعي ان هذه المرحلة هي مرحلة تكوين الروح او دمج الروح بالنفس او انزال الروح الانسانية العاقلة او الشمس من السماء ودمجها في الجسد. وهي صورة صحيحة جداً لو كانت الممارسة الخيمائية بيد اولياء الله وحاملي اسرار الروح. اما في الخيمياء العملية فهي مجرد ممارسات يائسة تنتهي بالفشل المدمر او الانخراط بممارسات شيطانية بائسة لا تسمن ولا تغني من جوع, وكل هذا بسبب وقوع علوم الاولياء الحقّة واسرار السماء العظيمة بأيدي الجهلة الطماعين القابعين في ادنى درجات التكامل المعنوي.

لهذه المرحلة علاقة مباشرة بطاقات الشمس التي ذكرناها سابقاً اذ انها المرحلة التي يكون الموجود فيها قادر على امتصاص اعلى كمية او مستوى من طاقة الشمس المجردة. وهي المرحلة التي يشار اليها بالاسد الاخضر الذي يبتلع الشمس. وحتى في سورة الكهف المرتبطة بهذه المرحلة ترى اشارة واضحة للشمس وزواياها بالنسبة للقابعين داخل الكهف (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا).

اما ارتباطها بالخنفساء الفرعونية هو ان هذه الحشرة تضع بيوضها في براز الحيوانات وهو علامة على البيئة الملوثة. ثم تتركها فترة وكأنها هجرتها ولكن يبقى هناك ارتباط روحي عجيب بينها وبين ابنائها, اذ بمجرد ان تفقس البيوض تعود وتبدأ بدحرجة كرة البراز التي صنعتها سابقاً وتخرجها الى الشمس وكأنها تقوم بالتجفيف او التقطير. طاقة الشمس تؤدي الى زيادة في قوة نمو اليرقات حتى تحولها الى خنافس كاملة بدورها. اي ان هذه الحشرة العجيبة تقوم بممارسة خيمائية كاملة تكون رمز لهذه المرحلة من التحول.

من الجدير بالذكر ان هناك بعض النصوص الخيمائية تدعي ان بمجرد ان تأتي بهذه الخنفسة وهي من فصيلة الجعران (ابو الجعل) وتضعها في كمية من الزئبق ستقوم

مباشرة بشرب هذا الزئبق والموت, وبعد مرور اربعين يوم في الشمس ستكون مجرد قشرة سوداء تغلف خنفساء ذهبية نقية والله اعلم.

اللون النهائي للمادة عند نهاية مرحلة التخمير هو الاخضر او السمائي المزرق الذي يكون عادة مرصع بحبيبات قليلة من الذهب يمكن ان يلاحظها الخيميائي. منظر جميل يشبه حجر اللازورد الازرق السائل او يشبه السماء قبل شروق الشمس وهي مرصعة بالنجوم. وهذا كله انعكاس لوصول الموجود الى حالة مقاربة من التكامل النهائي وظهور افراد (داخل المجتمع) وقد سبقوا غيرهم في تحولهم الى الذهب وهي كلها علامات الوصول الى نهاية مرحلة التخمير.

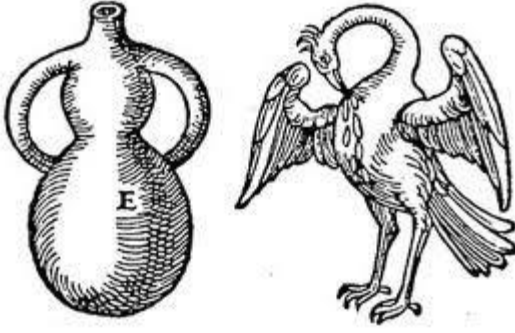
● مرحلة التقطير:

بعد تأكد الخيميائي من وصول المادة داخل دورقه الى المرحلة النهائية من التخمير يفتح الدورق ويخرج المحتويات الى دورق اخر يسمى البجعة. العملية التي تجري في هذا الدورق الخاص او اي دورق اخر مشابه هي عملية التقطير.

كيميائياً عملية التقطير تجري عادة لايقاف التفاعل في مرحلة الخمر ومنعه من دخول مرحلة الخل لاغراض تجارية. عملية التقطير تجري بوجود حرارة اعلى من حرارة التخمير وتصل الى حد الغليان, الغاية منها قتل البكتريا اولاً من اجل ايقاف التحول وثانياً من اجل تنقية المنتجات.

معدات التقطير متعددة ولكنها تشترك في خصائص واحدة وهي انها كلها يجب ان تكون مغلقة باحكام ايضاً ويفضل بالختم الهرمسي الذي شرحناه سابقاً. وان تحتوي على فجوتين احدهما في الاعلى والاخرى في الاسفل. وقد يكون هناك انابيب زجاجية بين الدورقين اولا يكون وكما في الصورة. عملية التقطير هي عملية اقبال المادة الى درجة الغليان ومن ثم التبخر. البخار المتصاعد يتكثف فوق الاسطح الباردة في اعلى الدورق ويعود كل المطر الى الاسفل لتبدأ دورة تبخر جديدة. وقد تستمر هذه العملية ايضاً لمدة طويلة قد تصل الى اشهر وكلما استمرت العملية مدة اكثر كلما كانت النتائج افضل.

تسمى احياناً مرحلة التصحيح. وهي ان المادة الناتجة تصل في عملية التقطير الى اعلى نقاء ممكن بسبب دورات التنقية المتكررة. وحتى الماء العادي او ماء المطر المجموع



في نيسان مثلاً ستتعب من الصفات التي يكتسبها بعد ان يتم تقطيره لاشهر او سنوات. والامر اشبه بالمعجزة الخيمائية.

في الخيمياء الروحية والانسانية عملية التقطير هي اكتساب الصفات الروحانية

المرتبطة بالسماء بسبب عملية الصعود والنزول المتكرر. هي تمثيل ارضي مادي لحقيقة العلاقة بين ما في الاسفل وما في الاعلى. الموجود الذي يتم تقطيره مرات عديدة يصل الى حالة من النقاء لا يضره معها الفساد بعد ذلك. بسبب ارتباطه المباشر بما في الاعلى الذي يجعل تعاطيه مع ما في الاسفل واضح جلي غير قابل للبس والايهام.

اي هي وصول افراد مجتمع ما يتم تحوله خيمياً باشراف الاولياء الى حالة خروجهم من تيه الجزئيات والكثرات. ارتباطهم بالصورة الكلية للوجود او بالحقائق المجردة عن الجزئيات يجعلهم يحوزون على نوع من الحكمة تؤهلهم للخوض في عالم الجزئيات بدون الخوف عليهم من الزلل والانحراف, ويكونون نسخ مصغرة من نفس الاولياء الذين قاموا بتربيتهم. وهم ابناءهم (وفضلة طينتهم) من البداية.

البجعة حيوان يتغذى غالباً على الافاعي المائية والضفادع السامة, وبسبب دخول هذه السموم الى جسمه يقوم الجسم بافراز مادة ترياقية تجري مع الدم فيه وتبطل عمل السموم. تقوم البجعة بجرح نفسها من منطقة القلب او الصدر وتجعل دمها يتدفق على



صدرها ويختلط بالريش ويتخثر ويكون اشبه بغذاء لابناءها. عند تغذي الابناء على هذه المادة الترياقية وقبل ان يقوموا بتناول طعامهم بنفسم تصبح لديهم مناعة من كل انواع السموم الموجودة في الكائنات من حولهم, وعندها تكون البجعة الام قد حصنتهم تماماً من اخطار البيئة السامة من حولهم بواسطة تضحية دموية.

عملية التقطير التي تجري بحرارة عالية والتي تؤدي الى تنقية اخر الشوائب الموجودة في المادة الوليدة هي اخر مراحل التحول الكيميائي. والدم المتدفق من صدر البجعة الام هي العلوم التي يعلمها الاولياء لابنائهم المعنويين والتي تجعلهم قادرين على شق بحار الباطل والتهام السموم الفكرية المعنوية بدون ان يصيبهم السوء. سيستطيع مثل هكذا افراد استخلاص جواهر الحق من بحار الباطل. سيكونون كالماء المطلق المطهر لما حوله بدون ان تصيبه النجاسة. وهم من سيكونون بتوفيق الله قادة الامم بعد ان يتم (تكثيفهم) في المرحلة التكاملية اللاحقة. اما البجعة الام فهي نفس البجعة التي كانت تطفو فوق سطح الغمر العظيم مع ثلاث عشر بجعة اخرى مقدسة, حيث لا سماء مبنية ولا ارض مدحية ولا قمر منير ولا شمس مضية.

• مرحلة التكثيف (التخثر):

وهي اخر مرحلة من مراحل التحول الاولى. ونقصد بالاولى اي التي نعرفها والتي تنتهي باتحاد او تواشج كامل بين الروح والجسد. او سيطرة تامة مطلقة للروح على الجسد وذوبان كامل للجسد في الروح. وقد تكون هناك مراحل تكاملية اخرى في نشأت اخرى لا يعلم بها الا الله. وفي عقيدة الكبالا سيكون الموجود هنا قد وصل الى اعلى الشجرة الثانية من الاسفل وما زال عليه تسلق شجرتين اخريين. وفي طروحات كبالستية اخرى يكون الموجود قد انهى في هذه المرحلة ثلاث اشجار باعتبار ان مرحلة الرصاص الاولى او المرحلة السوداء الاولى كانت ايضاً نتيجة لتكامل سابق, اذ ان الرصاص وان كان ادنى مرحلة تكاملية الا انه موقع وجودي مرتفع نسبياً قياساً بموجودات لا تمتلك اي استعداد للتكامل.

هذه المرحلة تسمى مرحلة التتويج. والتاج فيها مكون من ثلاث طبقات كرمزية لقطع هذه المراحل الثلاث. وهو اعلى تاج ممكن ان يتوج به موجود في هذه النشأة. والتاج الرباعي هو من نصيب خالق الوجود حصراً او الشاهد الاول, توجه به الله تعالى في غياهب اللا ادراك البشري.

مرحلة التكثيف في الكيمياء هي مرحلة التخلص من السوائل او اي مادة اخرى حاملة للشئ المراد انتاجه. اي التخلص من المذيب واستحصال المادة الجافة فقط. الامر اشبه بالتخلص من الماء الملحي مثلاً بواسطة التسخين والتبخير والذي ينتهي بالحصول على الملح النقي بدون اي مادة اخرى معه.

في الخيمياء يكون هذا المعنى مقروء بصورته الكلية المجردة طبعاً، وهو التخلص او الطرح المعنوي لكل ما هو مادي جسدي دنيوي. والارتقاء بالنفس والروح الى اعلى درجات الكمال المعنوي المرتبط مباشرة باعلى نقطة سماوية ممكن ان يصل انسان اليها. ويحدث ذلك كله وهم مازالوا في هذه الحياة الارضية وبالايجاد المادية. يقول الامام علي عليه السلام في وصفهم (لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةً عَيْنٍ).

في الخيمياء العملية تكون هذه المرحلة هي مرحلة الحصول على حجر الفلاسفة او الاورورا الكلية. وهي مادة ذات طبيعة روحانية تامة وان كانت ما زالت تحتفظ بالصفات المادية او بعض منها فقط. والحصول عليه يتم بتبخير والتخلص من السائل الذي كان يذويه والحصول اول الامر على مسحوق روحاني احمر يمكن صهره بالنار وتحويله الى ما يشبه حجر الياقوت الاحمر ولكن بلون ادكن قليلاً.



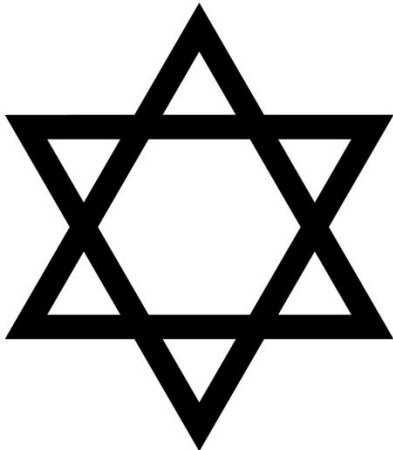
ورغم النصوص الخيميائية العديدة التي تتحدث عنه ورغم ادعاء الكثير من الخيميائيين انهم توصلوا الى انتاجه. الا ان الحقيقة هو ان الوصول اليه اصعب بكثير مما يمكن ان يتوقعه المغرورون. ولكن رغم هذا فقد كانت هناك محاولات ناجحة خلال التاريخ للوصول اليه وكانت قليلة جداً. ونحن شخصياً لا نعتقد ابداً بإمكانية الحصول عليه او انتاجه بدون وجود اولياء الله الحقيقيين الا بمساعدة شياطين وبممارسة نشاطات مشبوهة.

وكما ان الواصلين الى قمة التكامل تظهر لديهم ما يشبه الكسر لقوانين الطبيعة او الانحراف عنها او ما يسمى بالمعجزات, كذلك هذا الحجر الذي هو انعكاس لنفس الحقيقة ولكن في عالم الجوامد يظهر عليه دائماً الانحراف عن القوانين الطبيعية. اذ ان وزنه لا يكون ثابت ابداً. ويختلف لاسباب غامضة. مرة تجده اثقل من الذهب ومرة تجده بخفة الريشة. استجابته للجاذبية ايضاً منحرفة عن القوانين الطبيعية ولونه غير ثابت وعلاقته بالنار وكل الصفات الاخرى.

يستطيع حجر الفلاسفة الذوبان بالماء وتكوين الاكسير الذي هو شفاء من كل داء وله ايضاً خواص تطويل العمر او الخلود. وهو المادة المستخدمة في استزراع الذهب. اذ ان جزء صغير جداً منه ممكن ان يحول كمية كبيرة جداً من الرصاص الى ذهب. وغير ذلك كثير من الصفات التي ممكن ان تجدها في كل كتب الخيمياء تقريباً.

بالعودة الى الخيمياء البشرية ممكن ان نضيف ان حجر الفلاسفة هو حالة التمازج الكامل بين الروح والجسد, هذا التمازج يؤدي الى توحيد اللاهوت مع الناسوت كما يعبرون ولكن ليس بطريقة الصوفية الغبية بادعاء التوحيد مع الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) وانما الاتحاد والتمازج مع الحقيقة الروحانية او ما يمكن ان نسميه بلغة الخيمياء ما في الاعلى. اي ان الواصل الى هذه المرحلة يكون من خصائصه انه يعرف كل النماذج العلوية بكل تفصيلاتها وهو بذلك سيكون عارف بانعكاساتها الارضية, هذه المعرفة ستعصمه عن الوقوع في الخطأ اولاً وستأهله للقيادة الحقة ذات البعد الروحاني, اي ان الجسد فيه لن يكون انعكاس للروح وانما هو الروح نفسها ولذلك لن يكون هناك تشويه ناتج عن الانعكاس الا التشوه الجسدي غير المؤثر ونقصد فيه حصوله على العوارض البشرية من لون وشكل وصوت وغيرها.

لا نريد ان ندعي اننا نعلم بالضبط حال الواصلين الى هذه المرحلة من التكامل ولكن نريد ان نشير فقط الى خلل خطل الادعاء بالتوحيد مع الله الخارج عن كل ادراك. وان نشير ايضاً الى ان التوحيد والاندماج يكون بين ما في الاعلى اي النماذج السماوية والحقائق المتعالية عن الوصف والبيان وبين ما في الاسفل اي جزئياتها وانعكاساته. اما الله تعالى فليس له نموذج او مثال في عالم الحقائق العلوية حتى يمكن التوحيد معه. وعلى الاقل فأن هناك نص يصرح ان (مثله) او نموذجه او حقيقته العلوية لا يوجد لها انعكاس شئني (ليس كمثله شيء) وهذا يسقط دعواهم من اسها.



في مرحلة التكامل هذه تنتهي الضدية بين ما في الاعلى وما في الاسفل, اذ لا اعلى ولا اسفل هنا. ولا كلي ولا جزئي ولا حقيقة ولا ظلها. وكل حقيقة تشير الى انعكاسها الكامل بلا نقص ولا تشويه, ولذلك يكون افضل رمز للاورورا الكاملة هي نجمة داوود المشيرة الى التداخل والتوحيد الكامل بين اعلى الوجود واسفله.



لن يكون الموجود في هذه المرحلة مصدر فيض كما كان في الاورورا البيضاء, بل سيكون هو الفيض نفسه بلا زيادة ولا نقصان.

رمزيات كثيرة تشير الى هذه الحقيقة في الخيمياء واهمها رمزية العنقاء (طائر الفينيق) التي تخرج نقية من بين الرماد. وقد يستخدم ايضاً العنقاء ذي الرأسين كرمزية لهذه المرحلة بسبب التوحد بين الاعلى والاسفل وان كانت غير متداولة دائماً.

وتشير الاسطورة ان طائر العنقاء يولد في العراق ولكنه ينتقل الى مصر حيث يقيم فيها عشه ويفرخ وتنتقل افراخه من هناك الى العالم.

تصحيح المسارات وملاحظات نهائية:

هذا اخر موضوع في هذا الفصل, وقد كنا قد شرحنا مراحل التحول واجراءاته وبعض ماهم معداته وبحسب ما يوجد في اغلب مصادر الخيمياء المعتمدة, مع فك لرموز كثيرة وتبسيط اللغة المعقدة التي يستخدمونها متعمدين لاختفاء الحقائق عن غير المتمرسين في هذا الفن. ونحن وان كنا قد علقنا في حينه على بعض الممارسات واوضحنا الرؤية الصحيحة فيها, الا ان هناك بعض النقاط التي تحتاج الى توضيح اكثر ورؤية من زاوية اخرى نعتقد انها الصحيحة.

سنجعل الموضوع على شكل نقاط بسيطة مختصرة, وهي كالآتي:

1- التحولات الخيمائية وكل علوم الباطن علوم غير ثابتة وحالات سيالة لا يمكن التعامل معها بالرؤية الميكانيكية التي تدرّبنا عليها في كل مجالات الحياة. لا يوجد في حالات التحول وكل علوم الباطن (بما ان- فان), لا يوجد سبب ونتيجة ميكانيكية آلية منطقية كالتي الفناها في كل مواضيع العلوم والدين والفلسفة خلال حياتنا العلمية والعملية. واذا لم يتدرب (المريد) على التعامل السيل مع المفاهيم سيقع قبل غيره في الخلط.

هذه السيولة في المفاهيم ناتجة اصلاً عن قلة الادراك المرتبط بالمراحل الدنيا من التكامل والتي تتعامل مع الاشياء لا الحقائق. الاشياء ثابتة (لأنها اشياء) والمصطلحات التي تعبر عنها ايضاً ثابتة. ومواقعها في الوجود ثابتة. وعندما تعرف موقع شيء من الاشياء (كالشمس مثلاً) تستطيع ان تقوم بحسابات بسيطة او معقدة لا فرق وتصل من هذه النقطة الثابتة الى فتوح علمية جزئية تستطيع بها ان تعرف وقت الكسوف مثلاً بعد الف عام.

لا يوجد مثل هذا الثبات في الحقائق العلوية. والسبب ببساطة شديدة ان الحقائق العلوية حية. والاشياء ميتة. الشيء الميت ثابت او على الاقل محدد الحركة, بينما الاشياء الحية متحركة وحررة في حركتها. تخيل انك تأخذ موقع حيوان ما نسبة الى موقعه من شجرة او حائط, ثم تبدأ باجراء حسابات معقدة لتعرف موقعه بعد فترة بقياس سرعة حركته واتجاهها. عندما تذهب الى هذا الموقع المتوقع بالحسابات لن تجد هذا الحيوان طبعاً, لأنه ببساطة حي وحر الحركة وغير ملتزم بحساباتك السخيفة.

كل اللبس الحاصل في فهم مواضيع الباطن والخيمياء بشكل مخصوص وحتى فهم الكتب السماوية هي التعامل معها بهذه الطريقة الثابتة الطفولية. ونحن اذ نقول طفولية فنحن نخفف جداً من الحقيقة. اذ انها في الحقيقة طريقة الشياطين والمرتبتين معهم في الاغلال ممن اختاروا بأرادتهم ان يبقوا في مستوى ادراكهم البسيط الطفولي. وكل هذا ناتج من الغرور الباطني الذي يوحى لهم قدرتهم على فهم الوجود وادراك حقائقه.

هذه الحالة يلخصها القران بجملة واحدة تصف هذا المرض الخطير وهي الاية الكريمة (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ , غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا , بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ , وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا). هذه النظرة الخطرة التي تقيد الله تعالى وتجعله يتبع مسار معين (بداخل او هامهم فقط) هي ما يسبب لهم اللعنة ويمنعهم من الوصول الى حالة التعالي على الجزئيات وقبض المعنى الكلي.

كيف لا يلعنون وهم يعطون للحيوان في اذهانهم مساحة حرية وحركة لا يعطونها لله تعالى, وكيف لا يغلبهم الله في اغلال الكثرات والجزئيات وهم يتخيلونه مغلولاً بقوانين الفلك والفيزياء والعلة والمعلول والمنطق واللغة لا يستطيع منها فكاكاً.

الوصول الى حرية الفكر والتخلص من محدودية الطفولة لا يكون الا بطرح اثقال الانا والغرور والاعتراف الباطني العميق بالعجز والقصور وليس فقط لقلقة اللسان بذلك.

الاعتراف بالعجز الباطني عن الادراك هو اقرار بمبدأ البدء اهم عقيدة من عقائد اهل البيت عليهم السلام ومفتاح كل ما بعده من خير. البدء هو ان تعتقد وتؤمن قليلاً ان الله فوق كل قانون وفوق كل حقيقة وفوق كل سبب. وهذا يعني ان يتوقف عندك مبدأ السببية والعلة والمعلول وتعتبره بايمان قلبي صادق من اسخف المقولات العقائدية على الاطلاق وان لا سبب الا السبب الاول وهم الشهود المباركون عليهم السلام (الهم يا سبب من لا سبب له, الهم يا سبب كل ذي سبب). عندها ستستطيع التحليق قليلاً.

طرح اثنال الانا والغرور ينعكس جزئياً على الطيور بخفة الوزن والقدرة على التحليق وشق السماء وقبض المعاني الكلية والارتباط المباشر بحقيقة الرحمن التي هي عالم الامثال والنماذج العليا والحقائق المجردة. بحيث يصل فيها الواصل من فهم للحقائق العليا والامثال المجردة الى مرحلة شبيهة بالاعجاز (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ , مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمُ , إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بِصِيرٌ).

2- عرفنا ان المرحلة السوداء تتكون بدورها من مرحلتين, ثم تليها المرحلة البيضاء في تقسيماتها المعروفة. في بعض الاحيان تندمج هذه المرحلتين (السوداء الاولى والبيضاء الثانية) في مرحلة واحدة كبيرة يتم التعبير عنها بالارضية الشطرنجية السوداء والبيضاء المتتابة. هذا الامر يكون في الخيمياء الانسانية الروحية التي تجعل من المجتمع مادتها. الخيميائي الذي هو الولي الالهي عادة او من يمثله. او الخيميائي المتصدي للتربية الاجتماعية يقوم بادخال المجتمع في مراحل متلاحقة من الاسود والابيض او المرحلة السوداء والبيضاء مرة بعد اخرى. حتى يصل المجتمع الى حالة من النقاء والتكامل تؤهله الى الدخول الى المنطقة الحمراء. اي ان المرحلة السوداء والبيضاء هي مراحل متلاحقة ممكن ان تجرى اكثر من مرة على مجتمع من المجتمعات. وهي مطابقة لحالة الليل والنهار المتتابع او حالة الشهيق والزفير التي تحدث في التنفس اليومي والتي تؤدي الى النمو الجسدي والتكامل المادي. وكلها انعكاسات لحقيقة سماوية واحدة متعالية على الوصف والبيان كما اصبحنا نعرف الان.

ولأن هذه المراحل الاولى هي اصعب المراحل واكثرها الماً وطول مدة لذلك يوليها الخيميائيون (الاجتماعيون) اهمية كبيرة من كلا الطرفين. ونقصد الخيميائي المرتبط بالسماء الذي هو ولي الله والمسؤول عن خطة التكامل الالهية, الذي يريد للمجتمع الخير والصالح, والخيميائي الاخر المرتبط بالشيطان والذي يريد للمجتمع الويل والثبور والفساد والافساد.

في نصوص الخيمياء العادية والتي شرحنا منها جزءاً في هذا الكتاب يكون تقديم المرحلة السوداء على البيضاء موضوع عادي ومفروق منه. اذ ان مراحل التحول تبدأ من سيادة طاقات زحل السوداء وهي مرحلة الليل الخيميائي او مرحلة الانقباض بمصطلح خيميائي اجرائي, ثم الدخول الى المرحلة البيضاء الانشراحية او مرحلة النهار الخيميائي وهكذا تتتابع الدورات.

لكن عندما تطلع على نصوص خيميائية مرمزة داخل الكتب السماوية تجد ان الموضوع معكوس تماماً. اذ ان الانبياء والمصلحون الاجتماعيون يقدمون النهار على الليل او يقدمون حالة الانشراح على حالة الانقباض او قل الشهيق على الزفير. وهي الحالة التربوية الصحيحة والتي تجدها ماثلة امامك في نصوص عديدة للاولياء والانبياء. وهي الحالة المطابقة للطبيعة اذ ان الشهيق يبدأ قبل الزفير في اول لحظة من لحظات الوجود المادي. وهذا يعني تقديم النهار على الليل. لا بل ان النصوص تحذر جداً من تقديم الليل على النهار (لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ).

نفس هذا المعنى تجده ماثل امامك في الطريقة اليوسفية في التربية اذ صحت التعبير, اذ ان الله اشار اليه بتقديم السنابل الخضراء على الصفراء وهي علامة على تقديم حالة الانشراح المرتبطة بعنصر الماء الباطني (التدويب كاجراء خيميائي) والذي رمز له باللون الاخضر الناتج من السنابل قبل فقدانها الماء, ثم اللون الاصفر المتمثل بعنصر النار وهي مرحلة الانقباض او الحرق بالمصطلح الخيميائي الاجرائي.

نفس هذا المعنى جاء على لسان عيسى عليه السلام عندما قدم الماء على النار في نصه الرمزي الذي ذكرناه في بداية الفصل (من لم يولد من الماء والنار لن يقدر ان يدخل ملكوت السماوات). ونفس هذا المعنى تجده في قول الامام العلي حول الخير المتجذر في النفوس والمرتبط بتقديم حالة الرخاء على العسر او الشبع على الجوع (اطلبوا الخير من بطون شبعت ثم جاءت فان الخير فيها اصيل, ولا تطلبوها من بطون جاءت ثم شبعت فان الخير فيها دخيل). ونفس هذا المعنى كذلك نجده في العديد من النصوص الرمزية والتي تبدو سطحية للناظر بغير تدقيق (اطعموهم سبع وادبوهم سبع وصاحبوهم سبع), لاحظ انطباق هذا النص على سنابل يوسف السبعة الخضراء ثم السبعة الصفراء.

الغاية من تقديم الشهييق على الزفير او النهار على الليل هو الاحتفاظ بحالة الذكورة المعنوية وعدم انزلاق المجتمع الى حالة الانوثة المعنوية. وفي اسطورة يوسف الرمزية وصف دقيق لهذه الحالة اذ انه بدء بالمجتمع من حالة الزراعة الدؤوبة والعمل والتأثير والانتاج (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا) وهي حالة ذكورية مؤثرة فاعلة انشراحية ابتهاجية نهائية كما هو واضح, وتستمر سبع سنوات التي هي الدورة الباطنية المعروفة في حسابات الباطن الرياضية. ثم الانتقال الى الحالة الثانية والتي هي حالة الانقباض الذي لا بد منه او حال الليل المعنوي او الزفير (ثُمَّ يَأْتِي مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) هنا كان السر اليوسفي السحري. اذ جعل حالة الزفير او حالة الليل المنقبض لا تخرج من الحالة الذكورية الفاعلة المؤثرة. اذ جعل الالم والحسرة في حالة الاعطاء للآخرين والدفع لهم مع العلم بحلول الشدة والعسر وهو بذلك حافظ بشكل كامل على الحالة الذكورية الفاعلة لا المنفعلة خلال مرحلتي التكامل واكتفى بذلك بدورة (تنفسية) واحدة كانت كافية للوصول بالمجتمع الى المرحلة الحمراء الاخيرة مرحلة العصر. بلغة الخيمياء يكون يوسف قد حافظ على حالة الرفض المعنوي او الحالة المريخية ذات السهم الذكري المتوجه دائماً الى الخارج وبذلك لم يدخل المجتمع الحالة الانثوية التي قد تسمح بحصول حالة قبول لطاقات باطنية شيطانية غير مسيطر عليها. وهذا ابسط مثال على قدرة اولياء الله على الامساك بناصية علوم الباطن وبقدرتهم على السير بالمجتمعات من خلال ابسط الطرق وايسرها حتى الوصول بهم الى اقصى درجات التكامل المعنوي.

اما التحول الخيميائي بأيدي الشياطين واولياءهم فهي تهدف اساساً الى اىصال المجتمع الى حالة القبول المطلق والتلقي الكامل والانوثة السالبة المنفعلة الكاملة, وهي الحالة التي تؤدي الى المكوث الطويل في المرحلة الاولى المؤلمة وعدم الخلاص منها, وذلك بعكس مراحل التحول وجعل الزفير قبل الشهييق, لاحظ النص الخيميائي العجيب الاتي (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) لاحظ كيف ان العذاب والنار والشقاء الطويل مرتبط بحالة تقديم الزفير على الشهييق وهو عكس المسار التحولي الصحيح وهو ما يحدث بأيدي الشياطين والمرتبطين بهم من الخيميائيين المنحرفين. اذ ان تقديم الاحراق يؤدي الى زيادة الجشع والطمع وخبائة النفس مما يحتاج الى تطهير اكثر وهكذا الى الابد.

وهذه الحالة تجدها حتى في الخيمياء العملية ويمكن ان تلاحظها بسهولة في حالة انتاج الجص من كاربونات الكالسيوم بحرقها اولاً وتحويلها الى مادة متعطشة للماء, التي ما ان تجده حتى تتحجر وتصبح صلبة قاسية لا خير فيها سوى استخدامها في البناء.

3- الملاحظة الثالثة ايضاً متعلقة بتصحيح بعض الافكار الخيميائية المغلوطة, وهي تتعلق بتصحيح نموذج المراحل نفسه بكليته. وقد قمنا تَوَّاً بتصحيح المسارات السفلية وجعل الابيض قبل الاسود. وبذلك سيكون الشعار المقترح للتحويل هو من الاسفل الى الاعلى الابيض ثم الاسود وبعدها تأتي باقي الالوان.

مراحل التحويل الرحمانية تختصر كلها في النص الخيميائي المتعالي, والذي يجمع في اعجاز رهيب كل معاني الخيمياء في جملة واحدة فقط, وهو الاتي (لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ), وصيغة الجملة كما هو واضح هي صيغة رد على دعوى الخيمياء ان الشمس تدرك القمر وان الليل يسبق النهار, فتأمل.

خطل وخطأ اطروحة سبق الليل النهار قد تم شرحه تَوَّاً في الفقرات السابقة, ويبقى شرح موضوع ادراك الشمس للقمر.

كل الخطأ والخطل الذي يسقط الخيميائيون فيه يتأتى من عدم فهمهم لحقائق الروح والنفس والعلاقة بينهما. وهذا بدوره لم يكن بسبب قصور افهامهم وهم المتبحرون في علوم الباطن المبحرون في محيطاته. بل كان بسبب عنادهم عن تقبل الحق الذي يعرفونه اكثر من غيرهم. تقبل الحق هو الخضوع لاولياء الله الحق وجعلهم هم السادة والقادة وهذا يعني التخلي عن عروشهم وقلاعهم ومنازلهم الاجتماعية الدينية في الغالب. وحتى من يتقبل الحق منهم مثل السحرة مع موسى فسيكون مصيره الهلاك على ايدي الباقيين منهم.

كل هذا الموضوع متعلق بمعرفة سر الروح ومفتاحها الموجود منذ الازل بايدي اولياء الله الحق. كل هذا اللف والدوران ومحاولاتهم للبحث المحموم عن الروح هو لمعرفتهم المسبقة ان بها مفتاح التربع الحقيقي على عرش الباطن. سر الروح هو المفتاح الصغير الذي بدونه تبقى ابدأ خارج بوابات الجنة. وحتى هذه الصورة قد استخدمت كثيراً في الادبيات التي تتضمن اسرار خيميائية عليا. اذ تكون رمزية المفتاح هي الحد الفاصل بين من في الداخل ومن في الخارج.

هذه الروح التي يرمز لها بالقمر في هذه الآية لا يصل اليها حتى من وصل الى مرحلة الشمس وهي اخر مرحلة من التحول الخيميائي, اذ ستبقى عصية عليه, لا بل لا ينبغي له ادراكها اي حتى المحاولة ممنوعة. وهي المرحلة الرابعة من التكامل التي يقصر عنها الواصلون, وهي التاج الرباعي الذي لا يتم التتويج به الا بيد الله مباشرة لمن يشاء من البشر. وهي المرحلة الخارجة عن الادراك البشري ولو باقصى حالاته. لانها اصلا فوق مرحلة الغمر وفوق البجعات والتي لا يعرفها الا البجعات نفسها وخالقها وموجدوها. او من يتفضلون عليه بمعرفة بعضها, من اولياء الله الكاملين الموكلين برسالاته.

كل الخلط بين النفس الروح هو خلط مفتعل للتغطية على هذه العورة الخيميائية الخطرة وبالتالي التغطية على الناس وحجبهم عن التعرف على اولياء الله الحقيقيين المعروفين للخيميائيين جيداً (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين, وألقي السحرة ساجدين, قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون). والفصل القادم هو محاولة بسيطة للتعرف اكثر على هذا الموضوع وفك بعض الالتباس المفتعل بين مواضعه ان شاء الله.

الفصل الرابع:

الروح سر الاسرار وعثرة الخيميائيين القاتلة

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)

ابا القاسم محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

لنبدأ الحديث باقوال لاساطين الفن, يصفون فيها المبدأ الاول الذي بدأ منه كل شيء او الروح بالتعبير الديني الشائع. لاحظ هذه الجملة:

(حجرنا يُصنع في الحقيقة من مادة واحدة. يرجع الى مادة واحدة فقط), (كل ما في الحجر من قوى وكل ما في الطبيعة من قوى يرجع الى شيء واحد فقط), (ما نصبوا اليه هو شيء واحد, شيء واحد غير منقسم, منه بدأ كل شيء), (لو كان لدينا هذا الشيء الواحد لكان لدينا كل الاشياء الاخرى), وعن جابر ابن حيان يقول (حجرنا واحد, دواءنا واحد, لا يحتاج ان نضيف اليه اي شيء او ان نحوله الى اي شيء, ولا ان نُخرج منه اي شيء).

لو تتبعنا كل شروحاتنا في المواضيع السابقة لرأيت اننا كنا نلف ونردد احياناً حول نقطة نصفها بالروح. تارة نجعلها للقمر وتارة نربطها بالشمس وتارة بالفوضى الخلاقة وغيرها. وهذا في الحقيقة ليس تناقض وان بدا كذلك. والتناقض الظاهري هو سمة كل كتب الباطن ونصوصه, بل تنسحب هذه الصفة حتى على الكتب السماوية والنصوص المقدسة. هذا التناقض الظاهري —وقد نوهنا عنه سابقاً— يكون دائماً بسبب قصور الانسان عن الاحاطة التامة بموضوع ما. هذه الاحاطة التامة هي مستوى معرفي اعلى بكثير من مستوى منطق الطير الذي تعتمد الخيمياء, وهو طبعاً مستوى من الاحاطة المعرفية متعالى بقوة فوق عالم الجزئيات ولكنه لا يصل ابداً الى الاحاطة التامة او الرؤية من اعلى نقطة ممكنة من الوجود.

حتى هذه النصوص التي درجناها في بداية الفصل تنطوي على خلط كبير ورؤية قاصرة للخيميائيين عن (الواحد), قد تكون مفتعلة للتعتيم على جهلهم وعدم اعترافهم بالسيادة لاهل السيادة الالهية عليهم. حتى جابر لم نراه (على حد علمنا) ينصف اصحاب السيادة ويخرج نفسه عن امتلاك السر الكبير الحصري لهم, مع ان المشهور هو ارتباطه باهل البيت واخذ علومه منهم, وهو الامر الذي نشك فيه كثيراً.

لفهم موضوع الروح (وليس ماهيتها طبعاً) لنعد الى اول مواضيع هذا الكتاب. والتي تحدثنا فيها عن الفرق بين الواحد او ما يسمى احياناً بالاب الواحد او الاب الاول, وبين الشيء الواحد الذي هو العماء او الماء الاول او الغمر العظيم. من هذين المبدئين كان كل شيء بعلاقة الشاهد والمشهود التي اوضحناها من البداية.

لوصف هذه الحقيقة بطريقة الخيمياء الرمزية يتم استخدام عدد كبير من الرموز والتي كان اهمها رمزية البجعة او البجع الذي يطفو فوق الغمر بهدوء. والذي قد تسميه

النصوص الاقرب الى المستوى الديني من الطرح بالروح الالهية او الارواح الالهية. طروحات دينية اخرى مثل الاسلام سمته احياناً بالعرش (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) مع التحفظ الكبير في الخوض التفصيلي في معنى او تفسير هذا النص بالطريقة التقليدية. المهم مما نريد ان نشير اليه هو ان هناك في اعلى عليين وفي لحظات الخلق الاولى وجودين الاول هو الغمر العظيم والثاني هو (من كان فوقه).

ولكن لو دققت بشكل اعمق وقرأت المخفي بين سطور النصوص. ستجد معنى شبحي خفي لا هو الغمر ولا هو ما فوق الغمر. بل هو ما يمكن ان نسميه مجازاً بالالية التي اعتمدتها (البجعات) بالتعامل مع هذا الغمر. اي هو القدرة التي تملكها البجعات لفصل الغمر العظيم الاول الى جزئين متميزين بالصفات. هذه القدرة او الالية هي ما يمكن ان تشير اليه النصوص الدينية في الغالب بمفردة الروح. والتي هي المفتاح الذي لا يكون الا بأيدي البجعات حصراً. وهو السر الذي يتوق الخيميائيين لامتلاكه.

الخلط الذي يحصل او يقع فيه اغلب الخيميائيين هو الخلط بين هذه المفاهيم الثلاثة. بين الغمر الذي يعتقد الكثير منهم انه هو الروح. وبين البجعات او الكيانات المقدسة او (روح الله) التي يعتقد اخرون انهم هم الروح. وبين هذا المبدأ الثالث المتميز عنهما معاً والذي نقف نحن في صف من يعتقد انه هو الروح المعنية من النصوص.

نعم البجعات المقدسات تملك هذا السر، وقد يتم التعبير عنهم احياناً انهم هم بعينهم هذا السر المقدس لا غير من باب الوحدة بين العالم والمعلوم. وهذا كله لا يغير من حقيقة ان هناك مبدأ او سر او قدرة ما يمتلكها حصراً كيانات مقدسة استخدموها في خلق العالم من قبل ومازالوا يحافظون بها على وجود العالم لحظة بلحظة حتى يحين الوقت المعلوم.

يمكن ان نجد بعض الاشارات عن هذا المفهوم في نصوص دينية اسلامية تتحدث عن اسم الله الاعظم الذي يمكن به ان تحدث عظام الامور. وكيف انه لا يقع ابداً الا في ايدي الاولياء وكيف ان حرف واحد منه يمكن ان يأتي باعظم المعجزات، وكيف ان كامل احرفه هي ملك حصري لاهل البيت عليه السلام. نعم ممكن ان نقول انهم هم الاسم الاعظم او انهم يمتلكونه لا فرق كما اشرنا سابقاً.

والحديث في هذا الفصل سيكون عن هذه الجزئية من وجهة نظر الخيمياء. التي تعتبر ان حجر الفلاسفة (المادي او البشري) هو الانعكاس الارضي لحقيقة الروح الالهية الاولى او سمة الان الاسم الاعظم. اي ان سعي الخيميائيين خلال كل العصور لم يكن

سوى سعي لامتلاك قوة الاسم الاعظم الذي يؤهلهم للسيادة على موجودات كل الكون المرئية وغير المرئية, او ان يكونوا ما يشبه الالهة البشرية الحاكمة والمسيطرة على باقي الموجودات, وما ابعدهم عن ذلك.

في كتاب حبة الرمان شرحنا في موضوع اليد (الطريق بين نفاريث وجست) ان هذا الطريق المعنوي والذي يمثل ايضاً حقيقة هرمس او الرسول بين السماء والارض يشير الى حقيقة الاتصال السماوي الارضي والذي يتمثل بيد ممدودة (كما بلوحة مايكل انجلو) تبدو ضعيفة في ظاهرها ولكن في باطنها هي قدرة الله العليا على كل شيء. هذه القدرة العليا لله تعالى تجلت او اعطيت لهذه الكيانات السماوية العظيمة والطاهرة والتي تبدو ضعيفة في مظهرها الخارجي احياناً (بجعات تطفو بهدوء واناقة فوق الغمر) هي الروح او سر الروح او سمه الاسم الاعظم النازل من السماء الى الارض.

وحتى شكل حرف الياء العبري او العربي المرتبط بهذا الموقع الوجودي المتعالي مرتبط بقوة بشكل البجعة (ى), فتأمل. وقد جاء في الرواية عن بيعة الرضوان ان الرسول صلى الله عليه واله وضع يده فوق ايدي المبايعين وكانت سبب نزول هذه الالية العظيمة (يَدْ اللهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) والتي هي نص باطني بامتياز وان كان يبدو ظاهرياً, كما يبدو مظهر البجعات الضعيف للنظر الظاهري.

ان يكون موجود من الموجودات يد الله يعني بكل تأكيد انه سيكون قادر على كل شيء قدير ولكن بأذن الله طبعاً. لأن اليد المادية او المعنوية هي الموضع الذي يستخدمه الموجود في اخراج نيته الى حيز الفعل. او جعل افكاره تكتسي ثوب الواقع.

رحلة البحث عن الروح:

المنتبع للنصوص الخيمائية سواء منها ما جاءت بكتب الخيمياء او ما جاء منها كنصوص مقدسة داخل الكتب الدينية يمكن ان يكتشف بسهولة هذا التاريخ الطويل من البحث عن سر الروح او ما قد يسميها الخيميائيون المادة الاولى ويقصدون بها المادة الاولى قبل الاستقطاب الثنائي ويعتقدون (بحسب القانون الهرمسي الاول) ان لها انعكاس (سفلي) يمكن ان يجعلهم يكشفون سرها (العلوي) كما هو دأبهم دائماً.

والحقيقة ان تاريخ البحث عن الروح (المادة الاولى) في الخيمياء يمكن ان نطلق عليه بجدارة عنوان (تاريخ الفشل). وان اعنى عتاتهم —كما سيتبين— اصبحوا مجرد اضحوة عندما وردوا هذا المورد. وان كانوا يخفون ذلك في نصوصهم التي تطفح

بالغرور والايحاء بأنهم يعرفون سر الاسرار, ولكنهم لا يستخدمونه لاخلاقهم وتربيتهم العالية. وهم في الحقيقة لا يعرفون سوى انهم مجرد فاشلين وعاجزين, وان كان هناك شيء اخر يعرفونه فهم يعرفون جيداً حقيقة الاولياء الالهيين مالكي هذا السر واصحابه الحصريين.

ولكي نكون منصفين معهم فنحن نقدر جداً سعيهم العلمي الحثيث وتضحيتهم بالوقت والمال والجهد وبالحياة احياناً في سبيل كشف اسرار الطبيعة المقدسة. هذا السعي المقدس الذي حول بعضهم فعلاً الى نوع من المؤمنين بالله الممثلين لطاعة اولياءه الحق المقدسين. ولكننا نعيب على اكثرهم عنادهم واخفاءهم للحقيقة وادعاء ما ليس لهم وانخراط الكثير منهم بممارسات مشبوهة خلال رحلة بحثهم المحموم.

لقد قام هؤلاء الخيميائيين بالاف التجارب. وجابوا الاراضي وحلوا كل المواد والفوا مئات الكتب ووضعوا مئات الجداول التي تصنف كل شيء في الطبيعة وتوضح اسرار الروحانية وانواع طاقاته وارتباطاته الباطنية وقدموا بذلك خدمة عظيمة للبشرية كانت نواة الشروع بعلوم عظيمة اخرى مثل الكيمياء والفيزياء والاحياء وعلوم الذرة وغيرها. جداول التقابلات وحدها هي من الاهمية بالنسبة لدارسي علوم الباطن بمكان, ولا غنى عنها لأي طالب علم في هذه المواضيع.

ثم كانت نتيجة بحثهم عن الروح هذا انهم حددوا اماكن بعينها لتواجد هذه الروح بدأوا بالترميز لها في نصوصهم وتخطباتهم خوفاً من اشاعة السر وخروجه عن دائرة مستحقه. وكأنهم عرفوا فعلاً سر الروح وحددوا (انعكاسها السفلي) بدقة لا تشوبها شائبة. الا ان اصحاب الفن الحقيقيين يعرفون جيداً الالتباس الكبير الذي وقعوا فيه وتيههم البعيد عن جادة الحق. وكل ذلك كان من فرض خاطئ انطلقوا منه وهو تطبيق القانون الهرمسي الاثير لديهم (كل ما في الاعلى يكون في الاسفل) وتوقعهم ان للروح انعكاس في عالم المادة يمكن ان يجذوه حولهم.

لا يخلو كتاب في الخيمياء عن نص مرمر يشير الى هذه (المادة الاولى) ويمكن ان لا نكون مبالغين اذا قلنا اننا ممكن ان ندرج مئات او حتى الاف النصوص التي تشرح هذه المادة بشكل رمزي وتشير الى اماكن وجودها. وكل ذلك بعيد جداً عن الصواب وخارج عن اي حقيقة علمية سواء مادية او روحانية.

سنختار هنا نص واحد يعتبر اوضح نص عن المادة الاولى هذه, بحيث يمكن حتى لغير العارفين بالف باء الخيمياء ان يفهموا منه شيء ما. لاحظ النص (هناك شيء واحد في

هذا العالم يمكن ان يوجد في كل مكان. لونه رصاصي مزرق او اخضر, وهو رائع المنظر حقاً, ويحتوي هذا الشيء في داخله على الاحمر والابيض, انه يجري كالماء, ولكنه لا يبيل الايدي, له وزن كبير, وهو الخفيف الصغير, ممكن ان اسميه بألف اسم, ويبقى لا اسم له, نراه يومياً ولكننا لا نقدر اهميته, ولكن يعرفه الكهان ويقدرونه, من استطاع تذويبه مع الثاني, وتكثيفه مع الثالث, فقد حاز على المجد المبتغى).

يشير الكثير من الخيميائيين بحماس بالغ ان الانعكاس السفلي للروح هو الماء ولذلك يولونه اهمية كبيرة ويجزم بعضهم ان الماء هو الروح نفسها ولا داعي للبحث ابداً في مكان اخر. وهذه الاقوال طبعاً لا تخلو من صحة, وعلاقة الماء بالحياة والمواد الحية علاقة لا يمكن اخفاءها حتى من وجهة نظر العلوم الطبيعية الكلاسيكية. ولكن هذا النص يوضح بشكل لا لبس فيه ان الشيء المقصود يجري كالماء ولكنه ليس بماء (ولا يبيل الايدي). وان له لون, والماء ليس له لون كما انه يحوي (الاحمر والابيض).

قبل الولوج اكثر في كشف سر هذا النص الممتع يجب ان نذكر اننا هنا نتابع الخلط والخطأ الذي وقع فيه الخيميائيين باعتبارهم ان للروح انعكاس سفلي مادي ممكن ان يتم الكشف عنه واستخلاص المبدأ العلوي منه كما يستخلصون المبادئ المذكورة والمؤنثة من المواد. ونحن شخصياً من الفريق (القليل) الذي لا يعترف بوجود انعكاس (شيئي) للروح سوى انعكاسها البشري بأشخاص الاولياء بسبب ملكيتهم الحصرية لأسرارها. وحتى الفيوض الروحانية القادمة مع طاقات الشمس والقمر لا تحمل الروح المطلوبة الا بأذن حصري من اصحابها خلافاً لكل انواع الطاقات الاخرى والتي من الممكن ان يتم التلاعب بها احياناً. وسنوضح هذه الفكرة بعد ان نوضح النظرة التقليدية للروح من وجهة نظر الخيمياء الشائعة.

لنضع نص اخر على شكل شعر منسوب لأبن سينا ومن ثم نتابع البحث:

خذ الفرار والطلقا..... وشيء يشبه البرقا
اذا مازجتهم حقاً..... ملكت الغرب والشرقا

ابن سينا يتحدث عن خلطة خيميائية اذا ما تمت بصورة صحيحة سيحصل صاحبها على ملكية الشرق والغرب.

يبدأ ابن سينا بتوجيه المرید الى اخذ الفرار و الطلق و(شيء يشبه البرق) ومزجها معاً بالصورة الصحيحة.

والفرار ذكرناه سابقاً انه الزئبق، وما يريده ابن سينا هنا هو الزئبق الخيميائي وليس الكيميائي. اي يريد بذلك مفهوم النفس التي يدخل فيها كل المعاني الجزئية الاخرى. اما الطلق فهو كربونات الكالسيوم، وهي مادة ثابتة ومعروفة جداً وتدخل كمادة مالئة في كثير من الصناعات ومنها صناعة الالصبغ ومستحضرات التجميل وغيرها. وهي تستخدم كيميائياً كجسد حقيقي او حامل للاشياء الاخرى لأنها تقريباً لا تتفاعل مع شيء وتستطيع ملئ اي شيء اخر. واسهل مكان تستطيع الحصول منه على الطلق هو المسحوق المستخدم في تعطير الاطفال (البودرة)، اذ هي هذا الطلق بعينه ومازال محتفظ باسمه العربي حتى باللغة الانكليزية (تالك)، وابن سينا يقصد طبعاً المعنى الخيميائي منه وهو الجسد او الملح الخيميائي. ليكون لدينا هنا نفس مرتبطة بالجسد.

يبقى الجزء الاخير من الثلاثية الخيميائية وهو الروح والذي يعبر عنها ابن سينا (بشيء يشبه البرق) بحسب المفهوم التقليدي للخيمياء الشائعة. وقد كان ابن سينا دقيق جداً وموفق باستخدام مصطلح شيء يشبه البرق.

بالعودة الى النص الاول ولناخذ اخر فقراته حيث يقول (من استطاع تذويبه مع الثاني، وتكثيفه مع الثالث، فقد حاز على المجد المبتغى)، لاحظ انطباق النصين، اذ ان الشيء الذي يتحدث عنه النص وان كان اقل دقة من نص ابن سينا الذي يصرح انه شيء يشبه البرق يقول انه يجب تذويبه مع الثاني وتكثيفه مع الثالث. والثاني هو النفس طبعاً او الرسول او الزئبق الخيميائي، وكلمة تذويب تحيلنا مباشرة الى الانعكاس الجزئي المطلوب فيه وهو الماء. اي ان هذا (الثاني) المشار اليه هو الماء المعروف لدينا والذي هو احد اهم انعكاسات الحقيقة الوسطى (الثانية) او الزئبق الخيميائي.

الثالث اصبح معروف طبعاً وهو الجسد الذي عبر عنه ابن سينا بالطلق. وهكذا توضح الامر ان المادة الاولى التي يشير اليها النصفان لها صفات محددة وهي قطعاً ليست ماء وهي تشبه البرق. وبالعودة الى النص الاول نشاهد صفات اخرى. مثل ان له وزن عظيم وهو خفيف. وان فيه الاحمر والابيض. والاحمر والابيض في عرف الخيمياء هي طاقات الشمس (الاحمر) والقمر (الابيض). وصفة الوزن تحيلنا مباشرة الى نيوتن وتجاربه عن (سبب الوزن) التي هي موجات الجاذبية. لينكشف لنا السر مباشرة بأن المراد من هذه المادة الاولى هي نوع من الطاقة الشبيهة بالطاقة المغناطيسية التي هي حقاً فيض او ماء (لا يبلل الايدي).

هذا السر الذي كشفناه لك بسهولة قد يستغرق حياة كاملة لخيميائي ينفق فيه الاموال والوقت ولا يصل اليه ويبقى حائر في هذه المادة الاولى واسرارها. والتي ما هي موجات الفيض المغناطيسي لا اكثر ولا اقل وما يتفرع منها من برق او اشعاع كهربائي (اخضر او ازرق او رصاصي), وكلها من الامور السهلة اليجاد حالياً والتي كانت من اعمق الاسرار في القرون السحيقة. وان كان البابليون اصحاب الصنعة الاصليين قد كشفوا هذه السر وانتجوه بواسطة البطارية البابلية المكتشفة في العراق والتي كانت تستخدم اصلاً لاغراض خيميائية لتوليد هذه المادة الاولى او الروح التي (تشبه البرق).

هذا الدوران الصوفي الذي تشاهده كان المنطلق العلمي الذي منه تم اكتشاف الداينمو او المولد الكهربائي والذي يعتمد على مبدأ قطع خطوط الفيض المغناطيسي الذي يولد مباشرة مجال كهربائي. ونفس هذا الدوران ستجده (مادياً او معنوياً) في اي ممارسة لتوليد طاقة سواء كانت ممارسة علمية او تقنية او روحية. كل ما هناك ان الدوران يقطع خطوط الفيض المغناطيسي الارضية, وهذا القطع يولد كهرباء (فيض). والامر قابل للانعكاس اذ ان الكهرباء ممكن ان تولد مغناطيس ايضاً او تولد دوران كما في حالة المحركات الكهربائية. والمغناطيس والكهرباء وجهان لعملة واحدة يقع بينهما (الدوران).

نعم للكهرباء وموجاتها وللمغناطيس وموجاتها مدخلية كبيرة في اعادة الصحة و(الحياة) والصعقة الكهربائية ممكن ان تعيد (الحياة) فعلاً الى اصحابها وهم في لحظات فقدانها الاولى كما يحدث هذا بشكل تقليدي في المستشفيات. ونحن من الذين لدينا ابحاث كثيرة في هذا المجال عن علاقة الكهرباء والموجات الكهربائية والمغناطيسية بالصحة واعادة النشاط او الشفاء من الامراض. ولكن هل هذه هي الروح؟. هل الكهرباء او المغناطيس هي الروح الموصوفة في النصوص الخيميائية العميقة او النصوص ذات الطابع الخيميائي في الكتب المقدسة؟. هذا ما نريد ان ننقاشه قليلاً في القادم من هذا الفصل بأذن الله.

وصلنا الان الى اكثر منطقة سيالة في كل علوم الباطن, والتي وان حرصنا على تقديمها بشيء من الثبات فلن نستطيع اطلاقاً. ستتداخل المفاهيم بشكل عجيب رغماً عنا, وكل متتبع او باحث في الخيمياء يعرف هذا الامر عندما يصل الى موضوع الروح. وكيف لا يكون ذلك وقد غرق في هذا البحر اساطين هذا الفن, حتى ابن سينا وجابر.

ستجد ان نصوص تقول ان الروح في طاقات الشمس وقد اشرنا في مواضيع سابقة الى ذلك. اخرى تقول ان الروح في طاقات القمر. نصوص اخرى تقول ان الروح في كل انواع الطاقات والاشياء وغير ذلك كثير.

من وجهة نظر العناصر الاربعة ترتبط الروح بقوة بعنصر الهواء واحياناً بعنصر النار. ومرات يجعلوها جزء من عنصر الماء, او يجعلوها كنصر خامس يضاف الى العناصر الاربعة ويسمونه عنصر الروح.

خلط اخر في هذا الموضوع وسيولة كبيرة في المفاهيم تجدها ماثلة امامك وانت تحاول فك الاشتباك بين مفهوم النفس ومفهوم الروح او محاولة وضع حدود مميزة لكل منهما. او صفات واضحة للنفس مقابل صفات واضحة للروح وعلاقة الاثنين بالجسد.

والاهم من ذلك كله والصعوبة الكبيرة التي تواجه الباحث في هذا الموضوع وخصوصاً من يدخل في معمعة النصوص الخيمائية ورمزياتها وسيولتها بدون قاعدة معرفية باطنية جيدة هو صعوبة التمييز بين النصوص الكاذبة والصادقة. اذ ان اغلب الخيميائيين يصعب عليهم الاعتراف بالفشل او القصور لاسباب عديدة, منها نفسية, ومنها انهم في الغالب مدعومين من قبل ملوك او امراء او جهات كانت تدمهم بالاموال اللازمة للابحاث والتجارب المكلفة والتي يصعب معها القول ببساطة اني كنت لا اعرف شيء من البداية او اني قد فشلت في مساعي.

يفهم اكثر الخيميائيين ويدرك ان للروح علاقة بالحياة او انها سر الحياة, ولذلك فانها ستكون في كل شيء حي, وبما ان كل شيء حي عند الخيميائي حتى الجمادات والمعادن فستكون الروح عندها في كل شيء في الطبيعة. وهو رأي ليس بخاطئ ابداً ولكن الخطأ يكمن في ما بعد ذلك. اذ يعتمد الخيميائي الى ممارسة ارجاع المادة الى الحالة الاولى او الى حالة الروح المجردة في محاولة يائسة منه لاستخلاصها. هذه الممارسة شائعة في الكثير من كتابات الخيمياء وهي تشبه عملية الحرق التي مر ذكرها في الفصل السابق ولكن الغاية منها ليس التطهير او ازالة الشوائب او العوالق, وانما الوصول الى ما هو ابعد من ذلك وهو الحصول على الرابط الذي يربط المواد مع بعضها, اي ما يعادل عنصر الهواء في الزواج الخيميائي, هو ما يمثل الشاهد الاول في الطبيعة والوجود.

هذه العملية تسمى بمسميات عديدة ولكن افضلها واقربها الى الفهم هو مصطلح عملية الحجب. وهي ما تعني حجب الشهادة او ابعاد الشاهد او طرده او نفيه من اجل عودة

مبادئ وجواهر المادة المقترنة مع بعضها الى حالتها الاولى وبذلك فك سرها ودراستها.

وهي من الممارسات التي نعتقد شخصياً انها لا تتم الا بمساعدة الكيانات العنصرية او الارواح واشباح العناصر وخدام الكواكب وغيرهم. وهي اشبه بعملية طلاق قسري باطني معاكس لحالة الزواج الخيميائي ويتم ايضاً بالتلاعب بمنطقة الشهادة التي تحمل اسرار حالة الفصل-الوصل بين المبادئ.

طبعاً لم يصل خلال التاريخ اي من الخيميائيين الى اي معرفة بأي سر عميق من اسرار الروح, ولو كان ذلك لرأينا ان العالم قد اخذ منحى اخر وشكل اخر وهذا ما لم نجده ابدأ. والنصوص الدينية التي نعتبرها نحن كاشفة عن الحقيقة تؤكد عدم وصول احد الى اسرار الروح ابدأ, وانها ستبقى بيد اصحابها حتى اليوم الذي تصل فيه البشرية الى مستوى من الوعي يؤهلها لمعرفة هذا السر العظيم.

الروح والنفس والعلاقة بينهما:

ينقسم الخيميائيين الى اقسام عديدة في هذا الموضوع, بعضهم يقول بأن الجسد هو حاصل تفاعل الروح مع النفس. بعضهم يقول ان المواد الظاهرة في الطبيعة تتكون من تمازج او تزاوج العناصر الثلاث مع بعضها وهي الروح والنفس والجسد, وهذا ما درج عليه اغلب خيميائيي العرب ومنهم جابر وابن سينا. البعض الآخر يقول ان النفس هي الرابط بين الروح والجسد. والبعض يقول ان الروح هي الرابط بين النفس والجسد. بعضهم يجعل الروح هي الكيان او العنصر الاعلى في التسلسل الوجودي وبعضهم يجعلها العنصر الوسطي. بعضهم يربط الروح بالقمر لأنها مرتبطة بالحياة وكل الطبيعة مرتبطة خيميائياً بطاقات القمر. والبعض الآخر يربطها بالشمس باعتبار ان الشمس هي مصدر كل شيء في الوجود المادي.

في الحقيقة ومن الناحية الخيميائية البحتة, وبعد دراسة العديد من النصوص الخيميائية المعتبرة, يمكن لنا ان نخرج بخلاصة نعتقد انها صحيحة, وهي ان الروح ثلاث انواع او ثلاث شعب تتفرع من الاخيرة شعباً رابعة. وتتداخل صفات الروح بشكل كبير مع صفات النفس. ويمكن ان تفهم الموضوع بفهمك لدرجات الحرية التي تملكها الموجودات. اذ ان الروح ودرجة او مستوى وجودها في موجود من الموجودات هي من تحدد وجوده في اي مملكة من الممالك. وهذا يعني ان المملكة المعدنية تملك ادنى مستوى من مستويات الروح, والتي تؤهل موجوداتها للوجود الثابت غير المقرون

بحركة الا الحركة الجوهرية الداخلية لهذا الموجود. هذا النوع من الروح الذي قد لا يكون له مصطلح مشير اليه (على حد علمنا) هو ما استطاع الكيميائيين امتلاك ناصيته نوعاً ما. وتحقيق بعض الانجازات فيه وان كان في مستوى وجودي واحد كما سيتبين تباعاً.

اي ان الكيميائي الذي حاز سر الروح المعدنية لم يكن يستطيع ان يعمل في المستويات الثلاث الباطنية اي العالم العلوي والاوسط والاسفل. وعمل فقط في المستوى الاسفل او المستوى المادي. وهذا يعني انه لم يحقق (العمل العظيم) كما اصطلح عليه اهل هذا الفن. العمل العظيم هو التغيير الحقيقي لموجود من الموجودات بتغيير يحصل على الاقل في العالم الاوسط الذي يحكمه الكيان الانثوي معاد, والذي يعني التغيير فيه تغيير حقيقي برضا معاد وتصريحها وهذا يعني فعلاً تغيير في قدر هذا الموجود يلزمه في تمظهره المادي.

وهذا لا يعني طبعاً ان الذهب الذي يتم انتاجه كيميائياً ليس ذهب حقيقي, لا بالعكس هو ذهب حقيقي وذو نقاوة لا يمكن ان يصلها اي نوع من انواع الذهب الاخرى. والمقصود ان هذا الذهب كان قد انتج بواسطة التلاعب بالميزان واختراق اوامر معاد وبذلك فهو عرضه لضربتها القاطعة الماحقة, والتي تظهر في النشأة المادية على شكل سوء عاقبة ومنقلب.

وهذا بالضبط ما حدث لقارون الكيميائي المعدني العظيم الذي استطاع تحويل كميات كبيرة من الرصاص وباقي المعادن الى ذهب حقيقي بشهادة القرآن له بذلك. ولكنه لم يحقق (العمل العظيم) ولم يكن ذهبه موزون بميزان معاد القاطع, وهذا ما عجل من زواله وخسف الدار به وبذهبه (فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ).

الشخص المقابل لقارون في هذه الجزئية هو الملك سليمان عليه السلام والذي قد حاز التصريح بتغيير اقدار المعادن (وقدّر في السرد) وبذلك يكون الرجل المعروف الوحيد في الكيمياء الذي حقق العمل العظيم وما يلحق به من تغيير حقيقي في اقدار المعادن او الموجودات الاخرى.

النوع الثاني من الروح والاكثر حركة والذي يؤدي الى نوع من الحرية اكثر في الموجود الذي يمتلكه هو الروح النباتية اذا صح التعبير. وهي التي تظهر على شكل النفس النامية غير الواعية الا بنوع من الوعي المنخفض جداً (بالوعي النباتي).

هذا النوع من الروح او النفس كمظهر لها هي التي ترتبط بعنصر الهواء الباطني الذي سبق ذكره. وهي روح ضعيفة الغاية منها حفظ الحياة فقط او انتاج الحياة الاولى بادننى درجات الوعي والحرية. هذه الروح هي من يعرف بعض اسرارها الكهنة بمساعدة سيد الهواء او انليل الكيان الباطني الذي عُبِد لآلاف السنين في هذه المناطق تحت مسميات عديدة. وقد اشرنا اليه في مواضيع سابقة.

واذا كانت الروح مشتقة من الريح فإن النفس مشتقة من النَّفَس (بفتح النون والفاء). ونسبة النَّفَس الى الريح هي نسبة هذه الروح البسيطة الى حقيقة الروح الجبارة. وهذا اقصى ما وصل اليه اعنى عتاة الخيمياء واهل الباطن خلال كل التاريخ. ولو كان قد وصل من هم بعدهم الى اعلى من ذلك لكنا شهدنا تغييرات عالمية عظيمة وفساد باطني كبير, ولكن شاء الله ان يجعل اعظم اسراره بيد القادرين فقط على تحملها بدون استخدامهما في الفساد والافساد.

سحرة فرعون والسامري:

لاحظ كيف تأتي النصوص القرآنية ذات البعد الخيميائي والمشييرة الى هذه الحقيقة واضحة جداً بأن الفيصل بين الحق والباطل هو امتلاك ناصية سر الروح العظيم. ولاحظ كيف ان هذه النصوص تشير بوضوح الى علاقة الروح بالحرية والوعي والذي عبر عنه القرآن بالسعي.

مصطلح السعي العجيب يحمل في طياته الحرية الهادفة. السعي في الموجودات الحية الحيوانية هو الحركة الهادفة نحو شيئين لا ثالث لهما احدهما هو جر المنفعة والآخر هو دفع الضرر. ولو شئنا ان نعود الى لغة الخيمياء التجريدية لقلنا ان السعي هو اما ان يكون قبول (جر منفعة) او رفض (دفع ضرر). وكل افراد المملكة الحيوانية تكون حركتهم او سعيهم محصور داخل هذين القوسين, جر المنفعة او دفع الضرر. حركة الحيوان نحو الغذاء وشعوره بالجوع هما حركة سعي لجر منفعة, هروبه من الاخطار واحتماءه منها هو حركة دفع ضرر. قيامه بالقتال كذلك لدفع الضرر, عمليات التزاوج والشبق تدخل تحت قوس جر المنفعة. وهكذا كل الحركات الاخرى والتي تلخص في مصطلح السعي. وحتى الانسان يسعى لجر المنفعة ودفع الضرر.

حيوانات السحرة كانت حيوانات شكلية ولكن بارواح نباتية غير واعية لما حولها. تشبه النباتات الثابت في مكانه ان جاءه الغيث نما وان لم يات مات وانتهى بدون اي حركة لجلب منفعة او لدفع ضرر (فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى).

كانت هذه الحيوانات ذات الارواح النباتية التي تم خلقها باستحضار معونة سيد الهواء انليل (بعل) بواسطة ممارسة الزواج الكيميائي تأتي بحركات حيوانية كالمشي مثلاً او التلوي وغيرها. والتي لو تركت لفترة طويلة كالايام مثلاً لماتت من تلقاء نفسها لأنها لا تسعى لجلب منفعة ولا دفع ضرر وهي خارج المملكة الحيوانية وان بدت داخلها.

اما افعى موسى فقد كانت افعى حقيقية ذات روح حيوانية حقيقية كاملة وعلامة ذلك سعيها (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) اي تتحرك بالارادة والوعي وتجر المنفعة وتدفع الضرر كما هو حال كل المملكة الحيوانية. وقامت مباشرة بالتهام باقي الافاعي كعلامة اكيدة واضحة وبرهان مبين على امتلاك موسى سر الروح (فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ). هذا السعي الواضح البين هو البرهان الذي لا لبس فيه للكيميائيين ممارسي السحر. اذ تحقق امامهم عياناً رمز معروف لديهم وهو انتصار الاسد الاحمر على الاسد الاخضر. وعرفوا حق المعرفة ان حية موسى حية حقيقية تنتمي حقاً للملكة الحيوانية وتملك روح حيوانية حقيقية تؤهلها للحرية والحركة في مستواها. ولم يكن عناد المعاندين بعد ذلك الا عن بيعة ودليل.

اما قصة السامري فقد تكون اوضح النصوص المقدسة ذات الطابع الكيميائي. اذ قام السامري باستخلاص المبادئ الذكورية والانثوية من حلي بني اسرائيل الذهبية والفضية, بعد ان كان قد حصل على مبدأ الهواء من (اثر الرسول) الذي عرفنا انه يجب ان يتكون من الماء والهواء باعتباره حقيقة وسطى. والقرآن كالعادة يعزف عن الجزئيات ولا يخبرنا من الرسول وما هو الاثر ولا اي شيء يجعل القصة تبتعد عن عالم الحقائق.

قام السامري بعملية النبذ (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي) والتي قد تعني الالقاء او طرح سابق الذكر والتي تحتاج لامتلاك عنصر الهواء. او قد يكون النبذ هو ما نعرفه الان وهو عملية الفصل والاستخلاص التي يحتاجها لتنقية عنصر الهواء وفصله عن الماء من اجل القاءه وكلا الامرين لا يخرج عن ان السامري كان قد حاز على عنصر الهواء بمعرفة كيميائية سابقة وقام بعملية الزواج الكيميائي مار الذكر.

النتيجة كانت العجل المعروف والذي له خوار كما جاء بالقرآن (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ).

قد يكون السبب وراء اختيار السحرة دائماً للافاعي لتكون حيواناتهم التي يتم خلقها (الهيموكيولي) او (هيمونكولي)، هو لأن الافاعي لا تملك ارجل والتي هي رمزية السعي والحركة او علامة انتقال الموجود من حالة المستوى النباتي الى المستوى الحيواني. اي ان جسد الافاعي مشابه لجسد النباتات وبذلك يكون اندماج الروح النباتية معه افضل. مما يجعل حركته الظاهرية اقرب الى حركة الافاعي الطبيعية.

في حالة العجل لم نخبرنا النصوص المقدسة عن اي حركة او سعي او ما يشبه السعي وانما صوت فقط كخوار العجل لا اكثر ولا اقل، وهو حال الهيمونكولي دائماً، حيوان فاقد لأي وعي حيواني منفصل تماماً عن البيئة المحيطة. على ان الخوار او اصدار الصوت يعتبر حالة متقدمة عن حالة افاعي السحرة، لأنه من صفات المستوى الحيواني، وقد يكون هذا بسبب ان الرسول الذي كان قد استخلص منه عنصر الهواء رسول الهي حقيقي وليس كيان عنصري كما هو الحال مع بع، مما يستلزم زيادة في مستوى الدخول في المملكة الحيوانية، وقد يكون رؤية السامري للرسول سبب تسويل نفسه له بالقيام بالزواج الخيميائي، لان من يعرف اسرار الخيمياء ويعرف اهمية الروح وعلاقتها بعنصر الهواء ومعنى الرسول وما يحمل من طاقات لن يستطيع مقاومة خلق هيمونكولي بمواصفات عالية اذا صح التعبير، باعتبار ان عنصر الهواء هذه المرة قد توفر بنوعية افضل.

وحتى ان النصوص لم تذكر ان السامري قام بأي طقوس شيطانية للحصول على مساعدة بع، وانما حصل على عنصر الهواء بسبب رؤية الرسول واخذ شيء من اثره. شخصياً اعتقد ان اي خيميائي لن يستطيع مقاومة اغراء علمي على الاقل بمعرفة نوع المخلوق الناتج من عنصر هواء جديد يختلف عن كل ما درج عليه الخيميائيين. وفعلاً كان هذا ما حدث والهيموكيولي الجديد كان اقرب الى المملكة الحيوانية من اي هيموكيولي سابق على الاطلاق. والله واعلم.

الجميل في النصوص التي نتحدث عن قصة عجل السامري انها تكشف ان موسى لديه ايضاً علم عظيم بالخيمياء. لانه اجرى عملية التطهير التي ذكرناها في الفصل السابق والتي تؤدي الى التخلص من سلبيات وتبعات اي مادة ونقصد بذلك عمليات واجراءات المرحلة السوداء وهي الحرق والاغراق، فتأمل (وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا، لَنْفَرَقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا).

الروح الحيوانية (النفس ذات الوجه الواحد):

وصلنا الى الحد الفاصل بين ما يستطيع الخيميائي ادراكه واستخدامه وبين ما لا يستطيعه. ووصلنا ايضاً الى الحد الذي عنده تقف كل الكيانات العنصرية لا تتعداه. لا انليل ولا غير انليل يستطيع عبور هذا الحد الفاصل بين المملكة الحيوانية والنباتية. لم يعد عنصر الهواء واسراره وكمية ما يحويه من روح كافية لاحداث تلاعب حقيقي في المملكة الحيوانية. ولا تصدق ابداً اي نص لأي خيميائي يدعي انه عبر هذا الحاجز, وانا بذلك زعيم.

كل ممارسات العلاج بالطاقة او الكهرباء او الموجات او الماء الممغنط وغيرها من ممارسات الطب التكميلي تستهدف هذا المستوى السابق من الروح, وهي الروح النباتية المتعلقة باصل الحياة والنمو وعلامتها التنفس, الشهيق والزفير.

الروح الحيوانية اعلى مستوى من الروح النباتية وترتبط بعنصر النار لا الهواء. وهي محمية تماماً من التلاعب والتدخل. وهي مؤثرة بقوة في الروح النباتية ومنتصرة عليها. وهذا من ضمن ما تعنيه رمزية انتصار الاسد الاحمر على الاسد الاخضر. وعلامتها الدم واللون الاحمر.

اهم مظاهرها في المملكة الحيوانية هو عملية السعي مار الذكر. اي الحركة الارادية الهادفة. على ان الهدف والحركة التي تنتج عنه لا تكون بوعي وادراك عميق وانما بما يصطلح عليه في علوم الحياة بالغريزة. وهذه الغريزة هي اهم ميزة من ميزات المملكة الحيوانية واحد الاسلحة الفتاكة التي استطاعت بها البقاء والانتصار. وهي ما اختصرناه في مواضيع سابقة بعمليتي دفع الضرر وجلب المنفعة.

هذه العملية تجري دائماً بصورة عفوية بدون ارادة الحيوان وبطريقة الفعل ورد الفعل وهي تجري بشرعة فائقة جداً قد تصل الى اجزاء الثانية كما في حالة الجهاز العصبي. وتقريباً هي تحكم كل فعاليات المملكة الحيوانية. سواء الخارجية او الداخلية. ونقصد بالخارجية الحركات التي يقوم بها الحيوان كالمشي واصدار الاصوات وتناول الطعام. اي الحركات الارادية بالمصطلح الاحيائي. والداخلية هي الحركات التي تجري في داخل الاجسام كالهضم والتنفس واصدار الاشارات العصبية واستلامها ودقات القلب وافراز الهرمونات والانزيمات وكل شيء اخر يجري بصورة لا ارادية وبدون تدخل من الحيوان, وهو الجزء الاكبر من الحركات.

بالنسبة لكل المملكة الحيوانية عدا الانسان تكون كل الحركات لا ارادية سواء الداخلية او الخارجية. وهي محكومة بالمطلق بغريزة البقاء المنقسمة الى حركتين اساسيتين الدفع والجلب او السهمين الداخل والخارج. الانسان فقط يمتلك ناصية الارادة الحرة والتي بها يستطيع (عكس السهام) وجعلها رفض فقط او قبول فقط وحسب ما يمليه عليه عقله.

كيميائياً فأن هذا المستوى من الروح محكوم بطاقات المريخ والزهرة والقمر. المريخ يحكم طاقات الرفض او الدفاع (دفع الضرر) وهي طاقات ذكرية. والزهرة تحكم طاقات القبول او السحب الى الداخل (جلب المنفعة) وهي طاقات انثوية. والقمر يكون هو الواصل الفاصل بين هذين النوعين من الطاقات. وتكون طاقات القمر في هذه المرحلة متعلقة بارتباط القمر بالماء وجريانه وحمله للمواد المغذية وايصالها الى الخلايا (في حالة الانعكاس المادي) او حمل الطاقات الذكرية والانثوية واجراء التوازن بينها (في حالة الروحانية المحضة).

كل محاولات الكيميائيين لخلق الهيموكيولي تكون في هذه المرحلة بالضبط. اذ انهم قادرين على استخلاص طاقة ذكرية مريخية نقية وطاقة انثوية زهرية نقية ولكن عجزهم يكون بامتلاك القمر الجبارة المتعلقة بعنصر الماء. وهم يستعيضون عنها بالهواء المرتبط بالروح النباتية فقط فيحدث لهم هذا النقص في مراحل الحياة.

قد تقرأ في نصوص كيميائية او حتى كتب ودراسات عن الاثار تقول ان حضارة معينة ارتبطت بالقمر او اله القمر او اله الماء وغيرها من هذه الامور وانهم قد قاموا بالسيطرة على قوى القمر وتسخيرها وغير ذلك من الادعاءات وكلها باطلة، والكيميائي الحقيقي يعلم انها باطلة. نعم استطاع بعض كهنة سومر واكد ان يقوموا بانتاج الماء بواسطة طاقات القمر المغناطيسية ببناء هذا البرج المشهور بالزقورة. والذي هو في الحقيقة اله لانتاج الماء من الهواء بواسطة استخدام علوم الكيمياء المتقدمة. وهي تقليد للطبيعة وما يحدث في قمم الجبال من تفجر العيون من الصخور المرتفعة ويبقى الماء يجري من اعلى نقطة الالف السنين دون انقطاع. والسر طبعاً ليس بماء المطر المخزون هناك. واين يخزن اصلا في قمة جبل وكيف لا ينضب؟ السر طبعاً كيميائي وله علاقة بالجبال وتشكيلها وتأثيرها الكيميائي الباطني ويمكن ان تتأمل في هذا النص العجيب الذي يشير بوضوح الى مراحل التحول الثلاث بالوانها، وتجد الاجابات، بعد توفيق الله لك (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ).

هذه الروح الحيوانية القمرية الغريزية هي ما تشكل ما يسمى باطنياً بالانا، وهي النفس الامارة بالسوء بالنسبة للإنسان. وهي من جهة أخرى اهم غريزة لدى الحيوان ولدى الانسان ايضاً للبقاء. ولولاها لما بقت المملكة الحيوانية وقت اطول مما بقت افاعي السحرة امام افعى موسى الساعية. لولا غريزة حب البقاء وحب الانا وعشقها لما دافع حيوان عن نفسه ولما قاتل من اجل الغذاء ولما قتل. وكل الطبيعة وقوانينها الداخلية محكومة بشكل دقيق بهذه الانا الباطنية.

قلنا في مواضيع سابقة ان القمر الكامل وطاقاته يخرج اسوأ ما في الموجود، واسوأ ما في الموجود هو طغيان الانا والشهوة الى اعلى مستوى لا يستطيع معه الى ان يمزق غيره تمزيقاً وان يؤدي حتى نفسه وكل الطبيعة من حوله مما قد يصل الى الفناء احياناً.

خطورة طاقات القمر تكمن هنا بالضبط وخطورة السحرة والخيميائيين الساعين لامتلاك طاقات القمر تكمن هنا ايضاً. لأن روح القمر تنتج نفس او انا ذات وجه واحد فقط لا تنتظر الا لبقاءها الشخصي ومنفعتها الخاصة ولو ادى ذلك الى زوال العالم.

علامة هذه الانا او النفس ذات الوجه الواحد هي الارجل الاربعة لبني الحيوان. والتي ترمز خيميائياً الى تعلق كامل بالارض او بالمنطقة السفلى من الوجود وارتباط كامل معها بلا فكاك. علامتها ايضاً الرؤوس الحيوانية المنكسة الى الارض ابدأً وغير القدرة على النظر الى السماء والى الشمس.

الروح الانسانية (النفس ذات الوجهين):

هو اول انفصال للإنسان عن المملكة الحيوانية. او هو بواذر الفكاك من الانا والتعلق الكامل بالارض. هي نواة العقل الكامن في الانسان وهو في مراحله البدائية. وبلغة الخيمياء هو الكبريت او الذهب الكامن في الرصاص. هو الانسان (بالقوة) او الملك كلكامش قبل الرحلة التكاملية.

هذه الروح مصدرها الشمس كما تنص كتابات الخيمياء. ولكنها ليست الروح الانسانية الكاملة في اعلى درجات التكامل. وانما روح تحل فجأة في داخل الانسان تحد كثيراً وتعرقل من اندفاع الروح الحيوانية الاولى. ولذلك يكون الانسان في هذه المرحلة وكأن له شخصيتان متناقضتان. وهي ما يسمى بالنفس ذات الوجهين، او بالمصطلح الديني النفس اللوامة. اذ ان نفسه الاولى ما زالت (تسعى) به الى دفع الضرر وجلب المنفعة

كما في السابق. ولكنه امتلك ايضاً نظرة داخلية ترى خارج نفسه قليلاً وتتنظر الى الآخرين نوعاً ما وتحاول ان يكون النفع لديها لا يؤدي بالضرر للآخر.

هي قوة العقل القادمة من الشمس. وهي بدايات وضوح الرؤية الباطنية واشراق انوار الصباح على ظلمات الباطن. ستكون الروح الحيوانية هي الغالبة اولاً ومن ثم شيئاً فشيئاً تمضحل الروح الحيوانية لتشرق هذه الروح الشمسية بشكل كامل على باطن الانسان. على كل حال هناك مرحلة شرحناها في كتاب حبة الرمان حيث يتخلص الانسان من الغريزة قبل كمال العقل مما يجعله يتحول الى فريسة سهلة بعد ان كان مفترس لفترة من الزمن قبل ان يمتلك سلاح العقل الغالب. هذه المرحلة الوسطية هي اصعب المراحل التكاملية على الانسان. وهي باطنياً رحمة الهية وتكفير بالالم والمعاناة عن الالم والمعاناة التي سببها لغيره عندما كانت تسود في داخله ظلمات النفس الحيوانية والانا الكاملة.

هذا النوع من الروح المكون للنفس ذات الوجهين هو سبب كل التاريخ. كل حضارة اقيمت وكل صراع انساني حدث وكل نبي نزل وكل امام استشهد كان في سبيل ان تغلب الشمس القمر, او ان تغلب طاقات الشمس المتعقلة المتوازنة طاقات القمر الاندفاعية الغرائزية. الصراع الخارجي بين الحضارات والشعوب هو انعكاس لصراع داخلي اليم بين وحش حيواني كاسر لا يرى الا نفسه وضمير او روح شمسية اشرقت فجأة وكشفت عن الصواب والخطأ والخير والشر بالصورة العالمية الاوسع.

الروح الانسانية المتعالية (النفس المطمئنة):

هي الروح المرتبطة بنزول طاقات الشمس الكاملة وسيادتها على باطن الانسان لتحيله الى حجر فلاسفة احمر كامل متوازن. الشمس بما انها تحوي كل الطاقات الاخرى سيكون صاحبها او من تشرق في داخله قد حاز كل الطاقات وبصورة كاملة. وسيكون قد وصل الى حالة التوازن الكامل او الاورورا الكاملة والفيض الكامل المنبثق من داخله الى الخارج. وقد فصلنا الموضوع في حينه فلا داعي للاعادة.

بعد كل ما تقدم ممكن لنا ان نقول ان النفس هي الحالة المتكونة او المنعقدة (في الاسفل) والمتأثرة بالروح القادمة (من الاعلى) اي ان النفس هي انعكاس الروح, وان الروح هو تجريد النفس العلوي. وان الروح وان كانت مضمرة في العناصر الاربعة الباطنية المعروفة الا انها ليست نفس العناصر, وانها لا تنزل الا بامر من اصحابها

ومالكيها فقط, والعناصر الاربعة حملة لها لا اكثر ولا اقل. وانها لا انعكاس مادي لها الا في النفس والتي لا يمكن باي حال من الاحوال استخلاصها واستخدامها.

يبقى ان نشير الى ان مرحلة الكمال المتعلقة بالشمس او المرحلة الحمراء التامة بلغة الخيمياء لا تعصم الواصل اليها من الزلل والخطأ. وان هناك مرحلة بعدها ممكن ان نسيمها مرحلة نفي او مرحلة رفض متعالى تكون بعد وصول الواصل الى المرحلة الحمراء الشمسية. هذه المرحلة تشير اليها بوضوح الاية القرآنية ذات الطابع الخيميائي مارة الذكر (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ, وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ), وقد كنا اشرنا اليها في موضوع تقديم الليل على النهار في حينه ويبقى ان نشير الى دلالتها العميقة الاخرى وهي ان الواصل الى المرحلة الحمراء والذي يكون قد حاز الحرية الكاملة في التصرف يجب ان يحجم هو نفسه عن الولوج فيما بعد هذه المرحلة والتي يظهر فيها ان القمر مرة اخرى يكون هو السائد والحاكم لها.

هي مرحلة قوانين الطبيعة الباطنية المحكومة بالكامل بالقمر. وهي الروحانية التامة التي يبحث عنها السحرة والخيميائيين ابد الدهر, والتي بامتلاكها يعتلون ناصية كل الاشباح والارواح وكانئات العالم الاوسط. وهي ما يشار اليه احياناً برمزية الوجه المظلم من القمر او عالم الظل او منطقة ما بعد الشمس.

هذه المرحلة لا يمكن الولوج اليها او الدخول الا بعد قطع كل مراحل التكامل الثلاث والوصول الى حافة المرحلة الحمراء القصوى.



الدخول في مرحلة القمر الجديدة هي دخول الى مرحلة فقدان التوازن مرة اخرى والانخراط في عوالم بعيدة كل البعد عن اي كمال وصلاح بالنسبة لغير المعصومين. هي مرحلة انكشاف كل الاسرار الكونية دفعة واحدة والتي لن يتحمل التعامل معها الا المنتخبون من اولياء الله الشاهدين على خلق السماوات والارض من لحظتها الاولى.

هي مرحلة انكشاف حجاب ايسيز المقدسة دفعة واحدة وهي التي لا تكشف حجابها ابداً (للفانين), هي اشبه بالنظر المباشر الى وجه

ميدوزا ذات الشعر المتكون من الافاعي السامة والتي يحيل كل من ينظر اليها من الفنانين الى حجر.

هي مرحلة السقوط مرة اخرى (من الجهة الثانية للوجود) في اقصى حالات الانا الحيوانية المتدنية بعد ان كان قد خرج منها قبل ذلك.

احذر اخي السالك في مدارج الكمال فان للوجود حافتين واحدة في بدايته والآخرى في نهايته فأياك والانزلاق. الجنون او الكفر سيكون هو المصير المؤكد لمن يخطو خطوة اخرى باتجاه حافة القمر المظلمة. هي اشبه بمحاولة الدخول الى حرم اقدس ملكة تحرسها اقصى المخلوقات واعظمها ومن ثم محاولة خلع حجابها, فتخيل ماذا يمكن ان يكون مصير مثل هذا الاحمق (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ).

القمر سلاح ذو حدين, والتعامل معه ومع كل انعكاساته يجب ان يكون بحذر شديد واحترام بالغ وقدرسية كاملة. لا يغرنك وجه القمر المشرق البهي في ظلمات الليل. فان له وجه اخر لا يعلم به الا الله واوليائه. لا تحاول ان تسأل عن اسرار القمر ولا تحاول ان تتعامل معه باريحية كبيرة, وان كنت قد وصلت الى اعلى مراحل التكامل المعنوي. فأنتك في عرف القمر لم تصل بعد, والنص الخيميائي واضح البينة بانه حتى الشمس نفسها ينبغي ان تلتزم حدودها مع القمر وان تتعامل معه بحذر كبير (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ).

بعد هذا الطرح المبسط ممكن ان نصحح رمزية مراحل التحول الخيميائي. بان نضع الابيض كمرحلة اولى كما شرحنا في الفصل السابق ثم الاسود ثم الاحمر ثم الاسود مرة اخرى دليل على مرحلة القمر الممنوعة الدخول ليكون الرمز الجديد كالاتي بدلاً من الرمز القديم.



الفصل الخامس والآخر:

الخيمياء كمنهج لفهم القرآن والنصوص الدينية والرمزيات الباطنية

النار تدرك النار, والزئبق يدرك الزئبق, واولئك الذين مست النار المقدسة قلوبهم
وحدهم القادرين على ادراك حجر الفلاسفة.

خيميائي قديم

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ

ابا القاسم محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

منهج حر جديد:

في هذا الفصل سنحاول ان نقدم منهج جديد للتعامل مع النصوص الرمزية واهمها القرآن. ومفردة (جديد) غير دقيقة اطلاقاً، اذ ان هذا المنهج قدين بقديم اول نص رمزي نزل من السماء، سواء كانت السماء المعروفة لدينا او السماء التي يمتلكها كل واحد منا داخله. ما نزل اي نص (من السماء) الا بعد ان وصل الانسان الى القدرة على فهمه والا لكان نزوله عين العبث. ولذلك فأن المنهج (الجديد) الذي نقدمه في هذا الفصل ما هو الا اقدم منهج عرفه الانسان للتعامل مع النصوص المقدسة والرمزية.

وحتى هذا التصحيح غير دقيق ايضاً اذ انه في الحقيقة المنهج الوحيد وليس هناك من منهج او طريقة اخرى للتعامل مع النصوص المقدسة والرمزية غيره.

كل المناهج التفسيرية او على الاقل اغلبها تتعامل مع تفسير النصوص الرمزية وهي مقيدة باثقال وهمية. وقد كنا قد ذكرنا معنى هذه القيود في مواضيع سابقة، وهي نوع من اللعنة الالهية التي تنزل على من يريد ان يقيد الله بالاغلال، من باب الجزاء من جنس العمل (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا).

وكل هذه الاغلال تأتي بسبب ان القائم بالتعامل مع النصوص لم يصل بعد الى مرحلة التكامل الباطني المطلوبة. والموضع اشبه بدرجات الحرية التي يقول بها المناطق والتي تبدأ بالحياة ثم بالحركة ثم بالارادة ثم بالنطق. في الخيمياء تكون هذه المراحل هي المرحلة النباتية ومن ثم الحيوانية ومن ثم الانسانية ومن ثم الطيرية اذا صح التعبير. وهذا التقسيم تقسيم رمزي كما لا يخفى ويعتمد على نزول الروح او الطاقة المناسبة من اصحابها الى مستحقها. روح النبات الثابتة ومن ثم الانا او الروح الحيوانية ومن ثم الروح الانسانية ذات الوجهين وعلامتها نصف الحرية التي يحوزها الانسان والتي مظهرها حرية نصف اطرافه وتحرر اليدين مع بقاء كامل ارتباطه وجذبه نحو الارض. ثم تأتي مرحلة الطير وهو الحرية المطلقة واختفاء الاطراف والاستعاضة عنها بالاجنحة مع بقاء رجل هي اصغر ما يكون بالنسبة لباقي اجزاء الجسم والتي هي رمز البقاء في الجسم الارضي.

اغلب من خاضوا في التعامل مع النصوص الرمزية كانوا اما في المرحلة الحيوانية المطلقة والتعلق الكامل بالانا وهم الاكثرية. او في بدايات مرحلة التحرر الجزئي وامتلاك الروح الانسانية ذات الوجهين.

ويستطيع العارف بهذه المراحل التكاملية بسهولة التعرف على نوع المرحلة التكاملية التي يخوض بها الباحث او المفسر او الكاتب. اذ انه سيجد اصحاب النفس الحيوانية البحتة, المنطلقين من الانا الكاملة تائهين تماماً في عالم الجزئيات والكثرات. لأنهم (باطنياً) لا يملكون الرأس الذي يمكن له ان ينظر الى الاعلى ويرى السماء, ولا يملكون ايدي (باطنية) يمكن لها ان تمسك الكأس المقدسة وتحتسي (عصير) الحقائق المجردة الشفافة.

هؤلاء كتب عليهم ان يشربوا من اسفل بقعة من الارض (لأن الماء الارضي دائماً ينزل طبيعياً الى اوطئ ارتفاع), وان يثثوا ارجلهم الى حد الالم احياناً وينكسوا رؤوسهم بذل كبير لحصلوا على شربة ماء لا تسمن ولا تغني من جوع. وهم والله مظهر واضح لمن يحاول ان يشرب الماء وهو مصفد في الاغلال. ولكن الله لم يظلمهم بل ظلموا هم انفسهم بمحاولتهم تصفيد الله وغله بقوانينهم البائسة واذا بهم لم يصفدوا الا انفسهم وما يشعرون (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).

على ان الكثير منهم لم يكونوا قاصدين هذا الامر وانما اخذتهم الموجه الثقافية والفكرية السائدة في مجتمعاتهم والتي ولدوا فيها ولم يطلعوا على غيرها, وهؤلاء الى الرحمة وفك الاغلال اقرب بأذن الله وتوفيق اوليائه. اما المعاندين والذين استمروا الغل والقيود, وبدأوا يحصلون على نوع من العلف الفاخر من وراءه فليس الى خلاصهم من سبيل.

علامتهم الاوضح هو الخوض والغوص الكامل في الجزئيات وعدم القدرة ابدأ على استخلاص اي كلية وان حرصوا. يتعاملون مع النصوص الرمزية المتعالية كأنهم يقرأون في كتاب تاريخ او جغرافية. تهمهم تواريخ السنين ويصرفون جهود جبارة ليتعرفوا على اسماء المدن او الملوك الموصوفة في النصوص الرمزية وقد يقضي اثنان منهم حياتيهما وهم يتجادلون في موقع مدينة او مكان مملكة ويهلكون في الامر بدون ان يثبت احدهم للاخر وجهة نظره.

وكان الغاية من ارسال الرسل وبعث الانبياء هي اخبارهم بالمواقع والاشخاص والاحداث والتفصيلات. وقد جائت الاية واضحة بوصفهم باليهود لأن اليهود اكبر ملة متعلقة بالجزئيات ولا يفهمون غيرها في مرحلتهم التكاملية, وحتى كتابهم التوراة وان كان ممتلئ بالحقائق المتعالية الا انه ممتلئ ايضاً بالجزئيات المملة عن اسماء المدن والملوك والمعارك والاحداث الجزئية الاخرى, مراعاة من السماء لمستواهم المعرفي.

ولو قارنت التوراة بالقرآن رأيت ان هذا الكتاب العظيم (القرآن) يتعالى بشكل كبير عن اي جزئية الا ما ندر من اسماء انبياء او مدن كان لذكرها اهمية لا غنى عنها للوصول الى الحقيقة المجردة الشفافة الطاهرة من جزئياتها. وما كان ذلك الى للوصول البشرية الى مستوى اعلى نوعاً ما يؤهلها للتعامل مع الحقائق المجردة.

انواع الاغلال:

لا يمكن حصر انواع الاغلال الفكرية التي يغل بها الناس انفسهم, ولكن يمكن ان نطرح بعضها استناداً الى تجربتنا الشخصية النفسية الباطنية اولاً, وتجارب وانواع النفوس البشرية التي نعيش معها يومياً خلال ممارستنا لنشاطاتنا العادية. وقد نكون مخطئين, بل نحن للخطأ هنا اقرب من الصواب, والموضوع مجرد رأي وتجربة شخصية لا اكثر.

1- اغلال الانا: وهو اهم واول انواع الاغلال وهو ايضاً الجذر الذي تتفرع منه كل انواع الاغلال الاخرى, لأنه هو سبب قصر الرؤية وعدم امتلاك رأس (باطني) ممكن له ان يتجه قليلاً الى الاعلى باتجاه السماء والتعالى والتجرد.

حب الظهور بمظهر العالم النحرير. وحب ترأس المجالس, وعشق الكلام, ومتعة رؤية الآخرين وهم يصغون باهتمام, وغيرها من الامراض النفسية التي تجعل صاحبها في حجاب سميك من رؤية نفسه العارية البائسة. هذا العشق للنفس وتألقها يحدو به الى ان يقول اي شيء وان يكون باحث في اي شيء وعالم في اي شيء. هو يسير كالاغمى في درب واحد فقط ولأجل غاية واحدة فقط, هي ان يتكلم ويسمع الناس.

دائماً يرى نفسه افضل من الآخرين, ودائماً يشعر بحاجة الآخرين اليه وغناه عنهم. ويرى دائماً نقاط قوته ونقاط ضعف الآخرين. مجادل عنيد. ومتكلم لبق, وباحث مدقق في الجزئيات. ومؤلف للموسوعات. وسطحي كبير.

يجب ان نؤكد قبل كل شيء حتى لا يساء فهمنا, اننا لسنا ضد الكلام والتأليف والبحث في الجزئيات. ولولا هذه البحوث الجزئية لما كان هناك طب ولا فقه ولا فيزياء ولا تكنولوجيا ولا جغرافيا ولا تاريخ ولا اي شيء. وانما نحن نتحدث عن حالة نفسية تمنع صاحبها من الوصول الى مرحلة التجريد المعرفي والنظر الى المعاني المتعالية, وهذا لا يمنع ان يكون عالم حقيقي في مجالات الجزئيات المهمة للحياة اليومية. وان يشق الطريق باستحقاق نحو المجد والشهرة والثروة الحلال التي تأتي من العمل والبحث في

الجزئيات, ولكنه من وجهة نظر (الباطن) ما زال طفولي الفكر وغير مؤهل للدخول في (ملكوت السموات) بحسب التعبير الانجيلي.

2- اغلال الزمن: قلنا في مواضيع سابقة ان من وجهة نظر الخيمياء وكل علوم الباطن فلا وجود للزمن. وان الزمن الذي نعيش داخله هو مجرد دالة للمكان لا اكثر ولا اقل. وانك عندما تقول مثلاً حدث ذلك قبل اسبوع فأنت في الحقيقة تحدد مكان وقوع حادثة ما وليس زمانها. موقع الارض من الشمس والشمس من المجرة, والمجرة من الاخرى وغير ذلك من التحديدات المكانية في الحقيقة. وكذلك الحال عندما تقول بعد اسبوع سيحدث كذا. اذ ان في الواقع لا وجود للزمان ابداً. والزمان في الباطن والخيمياء هو موقعك التحولي او التكاملي وهو الزمان الحقيقي الذي قطعته للوصول اليها.

العيش داخل بيئة تحدد المكان بدالة الزمان وهو ما يحدث في كوكبنا ومجرتنا وكل الكون المادي يؤدي شيئاً فشيئاً الى شعور وهمي بالزمن نتحسسه داخل نفوسنا. ونفهمه عندما نتعامل معه, ومن ثم شيئاً فشيئاً ايضاً يختفي المعنى الحقيقي من وراء هذه (الدالة) ويختفي المدلول وتتحول الدالة الى شيء واقعي وتصبح هذا القيد الثاني, قيد الزمن.

قيد الزمن هو شعورنا بوجود ماضي وحاضر ومستقبل ثابت غير سيال. وغياب الادراك الباطني لنسبية الزمن التي اقترتها حتى الفيزياء. والحقيقة ان الصعوبة العجيبة في فهم هذه النسبية تظهر حتى في الفيزياء العادية عند التعامل مع معادلات تجعل الزمن غير ثابت او حتى متلاشي او واقف عند الوصول الى سرعات عالية تفوق سرعة الضوء. هذه الصعوبة هي بسبب هذا القيد الباطني النفسي الذي نتحت عنه هنا, قيد الشعور بالزمن.

الشعور بالزمن والتصفيد بوهم الماضي والحاضر والمستقبل يجعل الذهن مباشرة يقيد النص بقيد الماضي. مثلاً عندما تقرأ نص يتحدث عن كلكامش سيقفز ذهنك مباشرة الى الشعور بالماضي السحيق. لأن هذه النظرة الزمنية ترسخت في داخلك منذ اول لحظات حياتك. لن تستطيع ان تتخيل كلكامش سوى ملك سومري او اكدي خاض تجربة ما في الماضي. او قد تكون اعمق قليلاً وتقول ان كاهن حكيم (كان) قد الف هذه الملحمة العظيمة من اجل ايصالها لمن سيأتون (في المستقبل). وهكذا الحديث عن ملوك التوراة او انبياء القرآن, او عن المدن والاحداث (القديمة). كلها تصفد مباشرة بقيد الماضي او المستقبل.

ثم يصل الامر الى اقصى نقطة (من الماضي) والتي هي (اللحظة) التي فصلت فيها السماء عن الارض بشهادة الاولياء عليهم السلام. لا يمكن لأي عقل مهما كان متفوق متطور ان يخرج من قيد التفكير بهذه الطريقة.

ولكن الحقيقة الباطنية تقول ان كل شيء يحدث (الان) وفي هذه اللحظة. لا بل انه لا هناك اللحظة بما هي لحظة, وكل شيء يحدث هكذا (في وقت واحد) ولاحظ معي صعوبة الخروج حتى في وصف قيد الزمان من قيد الزمان وضرورة استخدام كلمات تستبطن وجود الزمن الوهمي.

التعامل مع القصص الرمزية بفكها من قيد الزمان هو اول درجات الوعي. وهو ما يجعل الباحث يخرج مباشرة من قيد الاهتمام بالتاريخ ويركز ذهنه على سؤال واحد فقط, اذا ايقنا بعدم وجود زمن (ولو بصعوبة بالغة) فهل كان القصد من السماء بذكر حادثة ما انتباهي لهذا الشيء الوهمي؟ ام ان هناك مقصد اخر من ذلك؟.

بمجرد الخروج من قيد الزمان الوهمي سيخرج الفرد مباشرة من قيد الاهتمام بالتاريخ او توقيت الحدث. ويجب ان نعيد التذكير ان الباطن لا يلغي التاريخ ولا ينقص من اهمية بحوثه ولكنه يخرج من قيوده فقط ليستطيع ان يرى الحقائق مجردة عارية.

ومن هذا القيد تتفرع الكثير من القيود الاخرى ومنها قيد السببية او قيد العلة والمعلول. والتي تستلزم الشعور المسبق بوجود سبق زمني وان كان قليل بين العلة ومعلولها. وهذا كله نوع من اللبس الناتج من الشعور الوهمي بالزمن. بمجرد ان تتحرر ولو جزئياً من هذا القيد ستتحرر مباشرة من قيد العلة والمعلول. لأن المعلول والعلة سيكونان معاً في (لحظة) او موقف وجودي واحد, مما يجرد العلة من خاصية كونها علة او سبب لغيرها. ولن يكون في الوجود سوى علتان موجودتان معاً في (لحظة) واحدة او موقع وجودي واحد وينتج عنهما كل ما تراه امامك من (معلولات) وهما طبعاً ما ذكرناه سابقاً, اي العلة الشاهدية والعلة المشهودية, او الشاهد والمشهود. وكل ما عدا ذلك هو مجرد وهم فلسفي ناتج عن وهم اخر هو الشعور بالزمن, وهم ينتج وهم (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ).

3- اغلال المنطق: وقد يكون وهم العلة والمعلول مرتبط به ايضاً. وهو الوهم الناتج من الشعور ان الكون محكوم بقوانين لا يمكن الفرار منها. وهو جذر كل حركات الالحاد والفسفات اللادينية والطروحات ذات النظرة المادية المطلقة للوجود. والناظر المدقق يجد حتى الفلسفات الدينية التقليدية او الرسمية تنطلق من نفس الجذور الالحادية

التي ينطلق منها مناوؤها, اذ الاختلاف بينهم في الجزئيات فقط. كلاهما يؤمن بالعلة والمعلول, وكلاهما يؤمن بنفس القواعد المنطقية والفلسفية الاخرى. والاختلافات في التفردات فقط.

وهم في الحقيقة بمجموعهم اصحاب الموقف الباطني (يد الله مغلولة), وان الوجود مقيد بقوانين ودساتير موضوعة ومثبتة ولا خلاص منها لأحد.

وقد كنا قد اشرنا في مواضيع سابقة الى اهمية عقيدة البداء التي يوليها اهل البيت اهمية كبيرة ويجعلونها اهم عقيدة يمكن ان يثاب عليها معتنقها, والبداء هو تحرير الله من قيود قوانين البشر وجعله المتصرف الحاكم في مملكته يفعل فيها ما يشاء, الذي ينتج عنه مباشرة ثمرة تحرير العقل الانساني من هذا القيد الفكري الرهيب.

على ان البداء ليس ان يغير الله شيء بسبب انه لم يكن يعلمه, يقول الامام الصادق عليه السلام في تفسير (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (فكل أمر يريد الله فهو في علمه قبل أن يصنعه ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه , إن الله لا يبدو له من جهل). ونترك الاحاديث وتحقيقتها لأهلها من مختصي علم الكلام. ونقول فقط ان من اراد الفهم الحقيقي للرموز والخوض فيها والغوص في اسرارها فإنه سيدخل منطقة شبحية سيالة كالغاطس في اعماق محيط, فلا وضوح منطقي ولا قواعد فلسفية ولا قوانين مادية, ولن يكون معه حقاً الى الله تعالى الهادي, وتوفيق ودعم اهل البيت عليهم السلام.

ومن لم يؤمن بهذه الحقيقة ومن ما زال يعتقد انه يفهمه للقواعد والقوانين يستطيع فك اي رمز او فهم اي مقولة باطنية فهو مازال قابع في قوقعة اناء وعشقه لنفسه. طرح النفس والتخلص من الانا سيطرح معها كل قواعدها وقوانينها التي لم تكن ناتجة اصلاً الا من الغرور الباطني المتمثل بالثقة بالنفس والشعور بالقدرة على الفهم. وكل ذلك من الغرور الخفي الباطني.

4- اغلال اللغة: وهم اللغة هو مجموع كل هذه الاوهام, وهو الوهم الناتج من ضرورة التعبير بطريقة الوهم عن الحقيقة. اذ ان الحقيقة مطلقة واللغة محدودة ولا يمكن ابداً ان يحيط المحدود بالمطلق. وقد قيل قديماً ان الصمت هي لغة الوجود وان كل ما عدا ذلك هو ثمرة فارغة.

كل استخدام للغة من اجل وصف حقيقة معالية هو في الحقيقة محاولة فاشلة. واقحام لكل الاوهام السابقة ومزجها مع الحقيقة. لا يمكن لأي ناطق او كاتب ان يصف الحقائق المتعالية الا باستخدام لغة تستلزم ان تستخدم مفردات مثل كان او سوف. او صيغ مثل المضارع والماضي. ولو دقت في هذه السطور التي امامك ستجدها تناقض نفسها بنفسها. وان مصطلحات تصف الزمان استخدمت لأثبات عدم وجود الزمان. وان قواعد منطقية ولغوية استخدمت للتعبير عن حقيقة عدم وجود قواعد منطقية, فتأمل.

حتى اعمق النصوص الرمزية والباطنية وهو القرآن بلا منازع استخدم اللغة التي تحوي وصف الزمان والقواعد الاخرى مع مراعاة اشارات باطنية عميقة جداً تنسبها.

وهذا الحال ليس فقط حال النصوص, بل حتى الكيانات السماوية المجردة عندما تنزل الى هذا العالم يجب ان تلبس ثوب النقص وتنزع ثوب الكمال (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ). اذ ان النقص هو ثوب هذا العالم ولباسه, والحقائق المتعالية نفسها تلبس ثوب النقص وهي تتجول معنا في نشأتنا المتدنية هذه.

وكل علوم الباطن واهمها الخيمياء التي تعنتي كثيراً بالرموز ومعانيها الخفية هي في الحقيقة محاولة للوصول الى هذا المتعالي من وجوده المتسافل. وحتى كلمة تجريد لو (جردتها) لوجدتها اشبه بنزع هذا الثوب البشري عن هذا الملاك النازل ورؤيته على حقيقته. وهذا المعنى هو السبب وراء ان الاجساد ترسم عارية احياناً في رموز الخيمياء.

منهج التجريد (رؤية العلوي من السفلي):

كل الكتاب كان يدور حول القانون الهرمسي (كما في الأعلى يكون في الأسفل) والذي قد يكون توضح الآن بصورة أكثر مما كان عليه الأمر في بداية الكتاب. اذ اننا نقبع في ادنى درجات الوجود. ولا توجد حولنا اي حقيقة كاملة متعالية. ولا يمكن ان نفهمها او ان نتعامل معها حتى لو وجدت. اي اننا نعيش حقاً العالم الطفولي قياساً بكائنات السماء الاخرى. لا نرى الا العاب ودمى واطفال في كل مكان. وما نحن الا افراد من هؤلاء الاطفال اللاعبين اللاهين (أَوْأَمِنْ أَهْلُ الْقَرْيِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأُسْنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ). وغاية الحكمة فقط ان نعترف بهذه الطفولة الفكرية وان نرى الاشياء من حولنا على حقيقتها, لعب اطفال تشير الى الحقائق. سيارة صغيرة بلاستيكية تشير الى وجود سيارة حقيقية, ودمية على شكل عروس مشتقة من شكل العروس الحقيقية. ومكعبات ورسوم ممتعة غايتها شحذ عقل الطفل وتأهيله للتعامل مع الاشياء الحقيقية مستقبلاً, وكذلك تسليته وافراحه وابعاده عن الاحزان والالام والمحن التي هي الحياة الحقيقية من حوله والتي يتعامل معها (اباءه) كل يوم.

ولان الطفل ما زال قابع في مستوى الروح الحيوانية, ولأن الانا لديه على اوجها, فانه يصعب عليه الاعتراف بعالمه المتواضع المضحك في نظر (الكبار), سيوهم نفسه ان السيارة البلاستيكية التي يملكها هي السيارة الحقيقية, او ان المكعب الذي يملكه اقدس من الكعبة نفسها. بل قد يدخل في معارك وصراعات مع اقرانه دفاعاً عن لعبة رخيصة لا قيمة لها, صراعات ومعارك تؤدي الى حزن عميق وايذاء للنفس, ومن اجل ماذا؟ لا شيء. وكل الصراعات والقتل والقتال خلال التاريخ كانت بسبب هذا الامر لا اكثر ولا اقل. وكل هذا بسبب الانا المفرطة المشتقة من النفس الحيوانية ذات الوجه الواحد مارة الذكر.

علوم الباطن ومنها الخيمياء (والاديان السماوية جوهرية علوم الباطن وترياقها وحجر الفلاسفة فيها) هي العلوم التي تكشف لك عن هذه الطفولية وتحاول ان تسرع في عملية انضاجك واخراجك منها بأقل الخسائر. والخسائر دائماً هي السعادة الطفولية المقترنة بالغفلة عن رؤية الحقائق.

ماذا يجب ان يفعل هذا الطفل لكي يتعلم؟ لو سألت هذا السؤال لأي انسان عاقل سيجيبك جواب واحد, وهو طاعة اباءه. ولو نظرنا الى هذه الحقيقة من زاوية اعمق لفهمنا ان الطاعة هي طاعة الاولياء, والتي تستلزم الاعتراف بهم وبمقامهم الوجودي

المتعالي. والشيطان قابع هنا دائماً وغايته الاساسية والوحيدة تعتيم الرؤية امام الاطفال منعاً لهم من تمييز اباؤهم الحقيقيين (قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ). هذا الدور تغذيه دائماً حالة الانا والغرور المرتبط بحالة الطفولة (الباطنية) والتي لا تقبل دائماً باتباع الاباء ولا بالسير معهم. وهذه الحالة تجد انعكاسها الجزئي في عناد الاطفال ورفضهم طاعة اولياء امورهم. ولذلك يعود الامر دائماً وابدأ الى الانا والغرور الباطني.

ولكي لا نطيل الموضوع نقول ان اول حالات الوعي للخروج من حالة الطفولة الباطنية بعد طاعة الاباء الحقيقيين هي الاعتراف ان كل ما حولنا هو مجرد (لعب اطفال) او نماذج مصغرة مختزلة للحقائق المتعالية الكبرى. هذه الزاوية المفصلية في التفكير ستحول الطفل مباشرة الى البحث عن الحقيقة وراء هذه اللعبة التي يتعامل معها يومياً. شيئاً فشيئاً سيرتبط بعالم الحقائق ولو ارتباط جزئي يتيح له فهمه الجزئي ايضاً والذي وان كان فهم بدائي قياساً بفهم (اباءه) عن الوجود، الا انه فهم لا بأس به قياساً بالاطفال المعاندين المعتزين بما لديهم من لعب.

وفق هذه النظرة الجديدة سنحاول (نحن الاطفال غير المعاندين) وبعد التوكل على الله وبركة طاعة الوالدين الحق (بالمعنى الباطني لها) ووضعهم بمنازلهم الصحيحة وابعاد كل من يحاول اخذ مكانهم من الغرباء، اذ لا والد الا الوالد الاصلي، سنحاول ان نتعامل مع بعض النصوص البسيطة المختارة من اعمق كتاب رمزي باطني على الاطلاق وهو القرآن الكريم. والذي لو استطعنا ان ندرك بعض معانيه العميقة سيكون كل نص رمزي اخر اسهل منه بكثير.

نصوص القرآن باعتباره كتاب باطني نصوص تشير الى حقائق متعالية عصية على البيان. وهي نصوص موجهة الينا وبذلك فهي تستخدم لغة (النماذج المصغرة) المحيطة بنا والتي تشير الى الحقيقة الكلية اشارة السيارة البلاستيكية المصغرة الى السيارة الحقيقة ان جاز لنا استخدام مثل هكذا مثال.

وقد كان لنا خلال رحلة هذا الكتاب استخدام لهذا المنهج في مواضع كثيرة بحيث اننا وجهنا القاريء الكريم الى حقائق متعالية مضمرة داخل النصوص القرآنية وخصوصاً ذات الجنبه الخيميائية، وفي ما يلي مجرد محاولات اخرى لتركيز هذا المفهوم.

محاولات الفهم الخيميائي للقرآن:

في هذه المحاولة لن يعنينا ابداً اين كانت تجري قصص القرآن هذه, سواء في العراق او اليمن او مصر او الشام او اي مكان اخر. كما اننا لسنا مهتمين ابداً بالزمن او المرحلة التاريخية التي حدثت فيها قصة من القصص. وغير مهتمين اطلاقاً ان كانت حدثت اصلاً كانعكاس ارضي سفلي (في الاسفل) ام لا. هي حقائق متعالية ونماذج اولية (وخرائط ان صح التعبير) قد تكون حدثت بكلها او جزء منها او لا. وقد تكون حدثت بجزئها او كلها داخل نفس بشرية ما خلال التاريخ او لا. او قد تكون في طريقها الى الحدوث, او لن تحدث ابداً في هذه النشأة السفلية المتدنية. وكل هذا لا يضر من اراد الوصول الى الحقيقة المجردة. وحدثها المادي لا يضيف شيء لاهميتها, كما ان عدم حدوثها كانعكاس سفلي لا يجرح بحقيقتها السماوية. ومن عرف باطن هذه النشأة الدنيا هانت عليه انعكاساتها واستغف الحوادث فيها.

ولهذا لم يعتني القرآن (كتاب الكليات المتعالية الاكبر) بكل هذه الجزئيات, ولم يخبرنا حتى كل اجزاء القصص وكل شخصياتها, وابتعد تماماً عن اي تفاصيل ليس له علاقة بالهدف الاصلي من القصة الرمزية, الا وهو الاشارات الباطنية التي تفيد المتكامل او السالك في طريق تكامله المقدس.

ولنذكر مرة اخرى بأهمية الابحاث الجزئية في القصص القرآنية واهمية القائمين بها. ليس بالكشف القليل ان تحدد موقع مملكة سليمان مثلاً بدقة عالية, او ان تخرج الاسرار العملاقة المدفونة فيها والتي ستصب لا محالة في نصرة الاسلام والاديان والنظرة الروحية للحياة بشكل عام. لا بل ان الوقت جداً خرج لبدأ مثل هكذا انواع من البحوث التاريخية الجغرافية القرآنية رداً على الطروحات الحديثة المشككة بأصل الاسلام كواقعة تاريخية او قصص القرآن كواقع وحقيقة تاريخية جغرافية. وكل ما في الامر ان المعني بالرموز الباطنية لا ينظر الى الجزئيات وان كانت على مستوى عالي من الاهمية, ونحن في الخيمياء باعتبارها من علوم الباطن لا ننظر للجزئيات ايضاً, ولا نقلل من اهميتها بنفس الوقت.

الباطني يؤمن ان العالم العلوي هو عالم الحقائق انعكست ام لم تنعكس. وهو يعلم ايضاً ان اوضح الحقائق واكثرها كمال وجمال لا يمكن الا ان تنتشوه في حالة الانعكاس. ليس لنقص في الحقيقة العلوية نفسها وانما لنقص في المرآة العاكسة لها.

اضافة الى هذا التشويه فان الانعكاس يتعدد ويتكرر. وقد يكون انعكاس ما لحقيقة علوية ما بعيد كل البعد عن الحقيقة نفسها بسبب التشويه الكبير الذي حصل له اثناء الانعكاس. وقد تجد انعكاسات اخرى لحقائق اخرى تحتفظ نوعاً ما بنوع من الوضوح النسبي والانطباق (النسبي ايضاً) على الحقيقة المنتمية لها.

في عالم الجزئيات والكثرات الذي نعيش وسطه الان لا يوجد حولك الا انعكاسات مشوهة للحقائق العلوية. بعضها مشوه بشكل كبير وبعضها اقل تشويهاً. وكل من يريد ان يشير الى حقيقة علوية لن يوجد امامه طريقة سوى استخدام احد انعكاساتها السفلية لذلك. والعارف بالموضوع يستطيع ان يميز انعكاسات عديدة لحقيقة واحدة. انعكاسات في عوالم عديدة لا يمت احدهما للآخر بصلة. انعكاس في النفس واخر في حيوان واخر في امة من الامم واخر في معدن وغيرها.

تصنيف و(صف) هذه الانعكاسات وجعلها في فئات خاصة تنتمي لحقيقة واحدة هو ايضاً من مهارات الواصلين الى مستوى منطق الطير. اذ يمكن لهم ان يجعلوا اشياء متعددة متكررة تبدو غير مرتبطة بأي رابط مع بعضها البعض في خانة واحدة طبقاً لأنتمائها لحقيقة متعالية واحدة انعكست عنها (أَوَّلُم يَرَوُا إِلَى الطَّيْرِ فَوَقَّهْم صَافَاتٍ وَيَقْبِضُنَ).

بعد ذلك تأتي المرحلة الاصعب وهي التعبير عن هذه الحقيقة ووصفها والتعامل معها. بما ان هذه الحقيقة متعالية على الادراك الطفولي الجزئي اذا صح التعبير, لذلك يقوم الشارح سواء كان شخص عالم بالباطن او نبي او رسول او اي حقيقة وسطى تتوسط بين (الاعلى والاسفل) باستخدام اوضح جزئية سفلية منعكسة عن هذه الحقيقة وجعلها اشارة ورمز لها ودالها عليها. هذه الجزئية ممكن ان تكون بشر او حيوان او حالة نفسية او شعب او معدن او اي شيء اخر يكون انعكاسه اقل تشويه بحيث يمكن استخدامه لوصف الحقيقة العلوية بشيء مقبول نوعاً ما وقابل للادراك.

وفق هذه الرؤية الجديدة سنحاول ان نفهم النصوص الاتية, وبمعرفة مسبقة بأن من اتى بها استخدم اوضح جزئية منعكسة عن الحقيقة, وان المراد من النص تلك الحقيقة وليس هذه الجزئية. وسنروم الاختصار وعدم الاطناب في الشرح والتركيز على نقاط معينة ذات جنية خيميائية فقط باعتبارها محور الكتاب من الاساس.

المحاولة الاولى: هدهد سليمان:

ولنبداً من اهم رمز في كل قصة الصراع العلمي الباطني بين الملك سليمان والملكة سبأ, ونقصد بذلك الهدهد. ولو كنت قد اطلعت على ما تم شرحه في مراحل تحويلية تكاملية في هذا الكتاب وكتاب حبة الرمان لكنت فهمت الامر بشكل الجيد بمجرد رؤيتك لهدهد او لصورة هدهد.



هو احد الانعكاسات الاوضح لحقيقة وصول موجود ما الى اعلى مراحل التكامل واجتيازه كل الخطوات والمراحل بنجاح فائق حتى تحوله الى (طائر) باطني طاهر تماماً من الخوض في الجزئيات ومرتبطة بالحقائق الكلية ارتباط تام.

لاحظ الخطوط السوداء والبيضاء المتتابة في جناحيه, احد عشر خط بالتمام والكمال او خمسة ازواج مكونة من خطين اسود وابيض. وهو انعكاس (سفلي) في عالم الحيوان يشير بقوة الى حقيقة (علوية). شخص ما او موجود ما لا يهم اطلاقاً اجتاز خمس دورات (تنفسية) متتالية من دورات التكامل السوداء والبيضاء المتلاحقة والتي ذكرناها بالتفصيل في فصل سابق. وهي نفسها مراحل التكامل الاحد عشر المذكورة في كتاب حبة الرمان والتي تبدأ من ملكوث اسفل سافلين وتنتهي بكثير اعلى عليين.

اكمل هذه الدورات التكاملية التحولية اوصله الى المرحلة الحمراء الاخيرة او مرحلة النار المقدسة او مرحلة الشمس المذكورة ايضاً في موضعها. ثم حصل على التاج او مرحلة التتويج الكامل بحيازته اقصى حالات التكامل المعنوية, ووصله الى مصاف الاولياء والانبياء. ثم ان النهايات السوداء القليلة المشوبة بالابيض في قمة تاجه تكشف عن الخطر المحدق به وهو بداية الانزلاق من الجهة الاخرى من التكامل, او الرغبة بأدراك القمر او الجزء المعتم من القمر, وهو قوانين ايسيز الباطنية الروحانية والتي تعني كشف كامل لكل الاسرار وهو الجزء المنهي عن الخوض فيه (للفانين). وجود هذه اللطخات السوداء على تاجه رمز مهم جداً لرغبة دفينه لديه بالخوض في هذا العالم المظلم بعد ان وجد في نفسه القدرة على ذلك لوصوله الى حالة متعالية جداً من التكامل الروحاني.

لاحظ كيف ان طائر الهدد المادي العادي يستخدم كرمز للإشارة الى حقيقة متعالية باعتباره اوضح انعكاس لها. نعم هناك انعكاسات اخرى اقرب الى الحقيقة هذه, ولكنها ليست واضحة بوضوح الانعكاس الذي ظهر على هذا الطائر. حتى استخدام عظم الهدد في الممارسات السحرية هو نوع من الكشف عن تلك الحقيقة, وهي حيازة قوى روحانية قد ترتبط بالظلام وتؤدي الى انزلاق صاحبها وعودته الى الظلمات بعد ان وصل الى قمة درجات التكامل الروحاني. اذ ان هذه المنطقة المظلمة القابعة في قمة قمم التكامل هي المكان الحصري للاولياء الالهيين المختارين او الخالدين بلغة الباطن ولا يجب ان يدخلها الفانين وان كانوا قد وصلوا الى قمم شامخة في التكامل الروحاني.

هؤلاء (الافراد) سواء كانوا قد قدموا من الجن او من الانس او من اي كيانات عاقلة اخرى, يصبحون مباشرة محل اهتمام الاولياء بسبب تفوقهم الباطني وامكاناتهم الروحانية العالية. والتي قد تكون مصدر خير عظيم او مصدر شر عظيم اذا ما اسيء استخدامهما. لاحظ النص الذي يكشف اهتمام سليمان بهؤلاء الافراد (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ), اذ يجب ان لا يختفوا من امام عين الولي ابداً لاهميتهم وخطورتهم. طبعاً لا داعي للاطناب بمعنى الطير المقصود هنا لاننا قد شرحنا ذلك في مواطن عديدة. وهم كلهم افراد وصلوا الى مرحلة تكاملية عالية تؤهلهم لممارسات روحانية متعالية وفهم متعالي وتعامل مباشر مع عالم الكليات.

ميل الهدد وشغفه بالجانب المظلم من الوجود والظاهر عليه يجعله اكثر خطراً من جميع (الطيور) الاخرى, ويجعل الحزم والتصرف السريع الحاسم من قبل الولي امر لا مفر منه معه, لاحظ النص (لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ),

والهدهد لم يبدر منه اي شيء سيء الى الان, ولكن القدرة على الاتيان بذلك موجودة عنده والرغبة في الخوض بالمنهي عنه واضحة لديه. لاحظ الطريقة الندية بالكلام الصادر عنه والتي تكشف عن انطواءه على علم عظيم قد يفوق علم سليمان نفسه او هو يشعر بذلك (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ), وجملة (احطت بما لم تحط به) تنطوي على اعتداد بالنفس وشعور بالندية مع سليمان او التفوق عليه. والذي لا يجعل امام سليمان خيار اخر سوى التعامل معه بحذر واستشعار الخطر وعدم الثقة مطلقاً (قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ).

ورغم انه كان صادق في كل ما قال ومسيطر جداً على نفسه ولم ينزلق الى المناطق المنهي عن الولوج فيها, الا ان شغفه بها كان مما لا يمكن اخفائه, لاحظ قوله بوصف مملكة سبأ (أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ), ولعه باخراج الخبء وكشف المستور واضح وبادي عليه وظاهر في سقطات لسانه, وهي الحقيقة نفسها التي تظهر وتنعكس في طائر الهدهد المادي في هذه النشأة المتسافلة على شكل اسوداد في قمة ريش التاج الذهبي على رأسه وقوى سحرية تسري في عظامه.

ولكن ما الغاية من ذكر هذه الرموز في القرآن او اي نص خيميائي اخر؟. هناك غايات عظيمة طبعاً قد لا نستطيع ادراكها بمستوى ادراكنا الضعيف الحالي, ولكن ما نستطيع ان نفهمه ان النص وصية للاولياء الموكلين بالمهمات السماوية بالحذر الشديد والتعامل بحسم وحزم مع الافراد الواصلين الى مستويات عالية من التكامل وجعلهم دائماً تحت العين وتحت (التفقد), وان كانوا مخلصين وصادقين ومسيطرين جداً على انفسهم, لأنهم سيكونون دائماً هدف عظيم للشيطان الذي باضلالهم قد يضل امة كاملة بسبب القوى والمهارات والادراكات العظيمة التي حازوا عليها.

هي وصية بليغة ايضاً للواصلين انفسهم, وتذكيرهم بأنهم لم ولن يخرجوا ابداً من حد (الفانين) الممنوعين من الخوض للابد في عوالم الظل والظلمات, والتي هي حصراً بيد (الخالدين) اولياء الله الكاملين المعصومين. هي تذكير لهؤلاء الواصلين بأنهم مازالوا تحت سيف الامام وتحت سطوته الالهية, وان مصيرهم قد يتحول بلحظة واحدة اذا ما اساءوا استخدام قواهم الى الذبح بيد الامام وبسيفه, وعندها لن تغنيهم علومهم ولا مداركهم ولا قواهم بشيء. وقد جاء في الرواية ان الامام المهدي عليه السلام يقطع عنق احد خلّص اصحابه عند الخروج للقتال كمصداق للتعامل بالحذر والحاسم مع (الحقيقة الهدهدية) دائماً.

العلوم العليا مسؤولية ثقيلة, والتكامل والوصول ليس لعبة اطفال, ومهما وصلت الى مراحل متعالية متسامية فلك حدود لا يجب اجتيازها, ولك اوامر ونواهي ومهمات لا يجب الاخلال بها, والا فان سيف الله القاطع المتمثل بوليهِ الحق سيكون هو الفاصل في ذلك, اذ ان الشمس لا ينبغي لها ان تدرك القمر بكل حال من الاحوال.

المحاولة الثانية: نملة سليمان:

رمزية مهمة اخرى جاءت في هذه الاسطورة الخيمائية الممتازة, هي حالة العكس الكامل للحقيقة الهددية لموجود من الموجودات, هي رمزية النملة, والتي يمكن بالكشف عنها التوصل الى ايضاح اكبر للموضوع الذي نحاول ايضاحه, اي منهج رؤية العلوي من السفلي.

جاء النص الخيميائي الرمزي كالآتي (حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ). ومن يتتبع التفاسير في هذا النص الواضح رمزياً يضحك (مثل سليمان) من هول الغباء والاسفاف والخيال الطفولي الذي خاض به مفسرون يتربعون عرش التفسير. اذ ان احدهم قال ان النمل كان في ما مضى يملك اجنحة, ولذلك فهو يدخل في فئة الطير وهذا ما جعل سليمان يفهم لغتها. وهذا (الخريط) هو مثال عن (الكوكتيلات) الشهية التي (يضرب) المفسرون مكوناتها العجيبة في (خلاط) اوهامهم وخيالاتهم ويقدمونها (باردة) الى (المستهلكين) من قراءهم الكسالى. كوكتيل شهى من علم الاحياء التطورية وعلم الحشرات وعلوم التفسير والحديث لا تعرف رأسه من رجله. ورحم الله داروين الذي نطق بأقل من هذه الادعاءات فأصبح لعنة (المؤمنين) الى يوم الناس هذا.

ولكن اكثر ما يضحك هو اسم النملة (حرميا) وانها كانت عرجاء (تتكاوس) بحسب الجملة المكررة في اغلب التفاسير. والاكثر من ذلك اضحاكاً هو الحملات التي خاضها (المؤمنون) للبحث عن وادي النمل المزعوم هذا, وشر البلية ما يضحك.

والضحك على مثل هذه الاراء هو سنة نبوية سليمانية اذا صح التعبير. اذ انه كان اول الضاحكين على السطحية والطفولية التي كانت تفكر بها هذه (النملة), (فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا). والنملة من وجهة نظر الخيمياء هي اوضح انعكاس (سفلي) لحقيقة الطفولية الفكرية والانغماس الى حد الاسفاف في ادنى قعر من عالم الجزئيات. لونها الاسود الداكن وعدم ودود اي (اشراق) من لون اخر في جسدها. وضالة حجمها الى حد

الالتصاق الكامل بالارض وبيوتها التي تكون دائماً تحت الارض هي رمزيات واضحة لهذه الحقيقة.

لكن اهم اشارة من اشارات النمل وخصوصاً ان النص اشار الى وادي النمل, هو النظام الذي يسري في المملكة (النملية). والذي يصل الى مستويات كبيرة جداً من الحزم والتنظيم وعدم السماح ابدأ بكسر الاعراف والنظم الاجتماعية. هذا المعنى قد يبدو متناقض في ظاهرة لحقيقة ثنائية النظام والفوضى التي شرحناها في المواضيع الاولى من الكتاب. اذ ان الوجود والخير كان مرتبط مع النظام (والميزان) وان العدم والشر ارتبط بالفوضى. وفق هذه المعادلة يجب ان تكون رمزية النمل ووادي النمل هي احدى اهم الرمزيات التي تشير الى حقيقة التنظيم وعلاقته بالوجود والخير.

لكننا نجد العكس من ذلك تماماً اذ ارتبطت الحقيقة (النملية) بالطفولية وقلة الادراك وعدم فهم بواطن الامور مما ادى الى ضحك وسخرية ولي الله منها.

النملة هي الفرد او حقيقة الفرد الذي يعيش عيش مادي فقط ولا علاقة له بأي شيء متعالى على الماديات. ووادي النمل هو اي مدينة او حضارة تعيش هذا النوع من الحياة, والتي من الممكن ان تصل فيه الى حد الكمال والتمام والتنظيم العالي الميكانيكي ولكن بدون اي قيمة عليا. وادي النمل حضارة مادية تكنولوجية صاخبة لا غاية لها ولا قيمة غير الاقتصاد المتين والقوة المادية والعديدية. ولا يستطيع اي فرد من افرادها ان يصل الى اي مستوى تكاملي باطني متعالى, وهو منهمك تماماً في الجزئيات اليومية التي يعيشها بكد وعمل واثقان وتنظيم كامل ولكن بدون اي غاية روحانية سامية.

هذا التنظيم العالي الظاهري والالتزام الكامل بالقوانين والانظمة واللوائح التي تحوّل الحياة الى شبه بآلة ميكانيكية عملاقة منظمة جداً ولكنها غير هادفة هو عين الفوضى والعدم من وجهة نظر علوم الباطن والاديان السماوية. لا قيمة ابدأ لحضارة مادية مهما بلغت من مستويات عالية من الادارة والتنظيم والاقتصاد والسياسة اذا لم تكن هادفة لتكامل باطني.

كل الاولياء والانبياء ومنهم من اقام حضارة مادية منظمة مثل يوسف وسليمان ومحمد عليهم السلام لم يكن الغاية منها هو النظام المادي والتنظيم المدني والتطور التكنولوجي وان كان ذلك حاصل لا محالة وبشكل اسرع في بعض الاحيان. بل ان الغاية والهدف الاسمى من وراء اي مدينة او قرية او حضارة او اي تجمع بشري هو الوصول

لمستوى التكامل الباطني الروحاني، والذي يكون بوتيرة اسرع في حالة التكامل الجماعي (أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

من اوضح الامثلة على هكذا نوع من الحضارات المادية البحتة هي الصين واليابان الحالية وان كانت كل الدول الصناعية تتجه نحو هذا المصير. هناك مصطلح اصبح متداول في اليابان والصين، وهو العمل حتى الموت (كاروشي). وهي ان ينهمك الفرد في الحياة العملية لساعات عمل طويلة يومياً حتى تذوب شخصيته تماماً في العمل الذي يؤديه يومياً، ثم شيئاً فشيئاً تتكون لديه حالة مرضية يصبح فيها التوقف عن العمل اشبه بالم نفسي واضطراب داخلي، لا يستطيع فيها الفرد الا ان يخطر بالعمل مضحياً براحته الجسدية من اجل راحة نفسية مرضية. هذا (الكاروشي) ينتهي دائماً بالموت بسبب الاجهاد البدني او الانتحار. وكل هذا بسبب مرض عشق العمل الدؤوب والكد المتواصل وفقدان اي قيمة باطنية عليا والنسيان التام لحقيقة الانسان المتعالية وارتباطه السامي بالسماء.

هذا النسيان الباطني يولد مباشرة تغيير في زاوية الرؤيا الباطنية مما يجعل صاحبها يتسافل (باطنياً) الى اقل وادنى المستويات، وهو ما يعبر عنه رمز النملة بالالتصاق الكامل بالارض والضالة وقلة القيمة والعمل اليومي الدؤوب حتى الموت والتنظيم العجيب للحياة اليومية المادية ولكن الخالي من اي قيمة عليا. هذا النظام الظاهري المتكامل الى حد العجب هو عين الفوضى والعدم، لا بل ان الفوضى الموصوفة في اصل الخلق هي فوضى خلاقة تؤدي الى انبثاق نظام عاجلاً ام اجلاً، والفوضى في حالة (وادي النمل) هي عين الاعتباطية لأنها لن تفضي الى شيء ابدأ سوى نظام مادي صارم موضوع اساساً من اجل زيادة العمل اضعاف مضاعفة حتى الموت عملاً (كاروشي).

هذا الفرد (النملي) لن يحاول حتى ان يتخلص من عذاباته، وحتى بعد ان يرى ولي الله مقبلاً اليه، لن يجد في ذلك فرصة لخلاصه من عبوديته وعذاباته، بل سيراه خطر محقق بحضارته المادية الصارمة الفارغة من المعنى ويجب الهرب منه والاحتماء.

رغم ذلك تجد الولي يتبسم ضاحكاً ويشكر الله على النعمة (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ)، اولاً شكراً لله على نعمة الوعي والتوجه للآخرة والحياة المعنوية، وثانياً لأن اغلب هذه الحضارات والافراد ستتخذ موقف الحياد عندما تشتعل النار الكبرى بين الخير المحض متمثلاً بالولي الاكبر

واصحابه وبين الشر المحض متمثلاً بالشیطان واصحابه. اذ ان الحرب ذات الجنبه الباطنية لن يشترك فيها الغائصون في الجزئيات حد الالتصاق, ولن يفهموها ابداً, وسيطلبون الحیاد والاحتماء واخلاء الساحة لاهلها طلباً للسلامة والعیش المنخفض المستوى التكاملی.

طبعاً يجب ان لا يفهم الموضوع على ان الاديان تدعو الى الكسل, ابداً ابداً. غاية القول ان الاديان والعلوم الالهية تجعل للانسان غايات اخرى وعوالم اخرى يجب ان يعيشها ويتكامل فيها ولا تحصر العیش في تكرار الذهاب والاياب الى العمل بلا هدف ولا غاية ولا معنى. والعمل والبناء والسعي لكسب الارزاق هو من ضمن العبادات العظيمة التي يحض عليها الدين, ولكن على ان لا يصل الحد الى المرض بالعمل وجعله الغاية القصوى من الوجود والهدف الاسمى من الحياة (الهم لا تجعل عيشي كذا كذا).

وهكذا نرى وقوف الهدهد والنملة على طرفي نقيض في رحلة الخيمياء التحولية, الاول في اعلى نقطة تكاملية بحيث يُخشى عليه خطر الفناء فيها, والثاني في ادنى نقطة تكاملية بحيث يُخشى عليه خطر الفناء فيها. وكأن هدهد سليمان ونملته قوسان يجمعان كل الوجود داخلهما.

المحاولة الثالثة: رؤيا يوسف:

قد تكون القصة الرمزية للنبي يوسف عليه السلام من اكثر النصوص الخيمائية ثراءً في القران ومن الممكن ان تتحول وحدها الى كتاب عجيب في علم الباطن والرمزيات. ولا نريد في هذه العجالة الا الاشارة الى بعض لمحاتها ذات الجنبه الخيمائية الواضحة كمثال اخر للمنهج الذي نطرحه في هذا الفصل (منهج التجريد).

ولنبداً من النص العميق الاتي (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ). المفروض ان القاريء الكريم قد وصل الان الى معرفة كافية بالخيمياء تؤهله لأن يفهم ان هذا النص يشير الى مراحل تكاملية يبشر الله بها يوسف انه سيجتازها. اذ ان الكواكب والاجرام السماوية هي منازل تكاملية تحولية في رموز الخيمياء, وليست اي شيء اخر. ولا يمكن ابداً ان تكون اشارة لاخوة يوسف غير الجديرين بهذا التشريف, النص الذي يأتي في نهاية السورة (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا) لا يشمل الاخوة فقط, بل كل الموجودين في ذلك الموقف, وهم اكثر من ثلاث عشر كما لا

يخفى, كما ان ابويه كان قد رفعهم على العرش قبل السجود اي اخرج الشمس والقمر, وانتفى تحقيق الرؤيا ان كانت تقصدهم من الاساس.

الاحد عشر كوكب هي المراحل الموصوفة بشجرة الكبالا الباطنية والتي شرحناها بالتفصيل الملل في كتاب حبة الرمان. وهي عشرة مراحل تبدأ من ادنى قعر الوجود (ملكوث) الى اعلى عليين (كيثر) مروراً بمرحلة خفية تسمى ايسيز او داعث, وقد تم التفصيل فيها في حينه. لكن النص يقول ان المراحل ثلاث عشرة وليس احد عشر اذ انه وضع الشمس والقمر اضافة الى احد عشر كوكب. وهذا يعني (باطنياً) ان يوسف عليه السلام سيخترق كامل الشجرة ويصل الى منتهى التكامل ومن ثم ينتقل خطوتين تكاملية في الشجرة الثانية مما يعني الوصول مرة اخرى الى يسود او القاعدة او مرحلة الرصاص الخيميائي مارة الذكر. هذا يعني في عرف الغوصيين النبوة او الرسالة او التكليف بتكوين قاعدة تكاملية جديدة او شعب قابل للتكامل او اي تعبير اخر يوضح نفس الفكرة, وقد ذكرنا من قبل خضوع الرصاص القاعدة التكاملية او الشعب المؤهل للتكامل للذهب وارتباطه به و(سجوده) له. سجود كل كوكب اذن هو اجتياز المرحلة التكاملية المتعلقة به والسيطرة على طاقاتها.

وهذا فعلاً ما حصل (او يحصل), اذ كانت قصة يوسف هي قصة تكوين امة والسير بشعب خلال مراحل تحويلية تكاملية كما تم ذكر شيء منه في موضوع سابق. ويؤكد هذا تؤيل الرؤيا من قبل ابوه يعقوب عليه السلام (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ). والقمر في اخر المرحلة التكاملية اصبح واضح الدلالة على المرحلة غير المسموح بها لغير الخالدين او الموكلين بالرسالات لأنها منطقة خطرة وهي موقع الكشف الكامل للسافر ورفع كامل الحجب, الامر غير المصرح به للفتانين. وكلا المعنيين يؤكدان الرسالة او النبوة او رحلة العودة من الحق الى الخلق بالتعبير الصوفي المعروف. وهو موقع لا يتم الا بتصريح من اصحابه وهذا ما اشارت اليه مفردة (ربك) فتأمل واحذر الزلل.

المحاولة الرابعة: ذنب يوسف:

(قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ), والذنب كرمز باطني خيميائي معروف ارتباطه بالانتميمون. وقد اشرنا الى ذلك من قبل, ومن المفروغ منه في علم الباطن ان كل الاولياء والانبياء ويعقوب منهم يعرفون جيداً ان حقيقة الذنب المتعالية تخضع امام حقيقة الولي الالهي وتتوقف. وكل انعكاساتها الجزئية لابد ان تسلك نفس هذا السلوك سواء في عالم المعادن على صورة عدم قدرة الانتميمون

على اذابة الذهب او في عالم الاحياء بصورة احجام الذئب عن ايداء اولياء الله الحقيقيين وغيرها من الجزئيات والانعكاسات الاخرى. اظهر يعقوب خوفه على يوسف من الاتهام من قبل الذئب هو اشبه بزرع هذه الفكرة في رؤوس اولاده, وهو الذي يعلم نفوسهم وتوجهاتهم من البداية (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا). هي اشبه بتوجيه باطني او نفسي لهؤلاء الوحوش البشرية في حينها كطريقة للتخلص من يوسف لعلمه ان حقيقة الذئب تخضع امام حقيقة يوسف ولا تؤذيه كما اسلفنا. او انه كان يقصدهم باطنياً في كلامه كذئاب بشرية غير مهذبة والله اعلم.

المهم انه كان متيقن من عدم ايداء الذئب ليوسف, وجاء هذا واضح في رده عليهم بصيغة اليقين من ان الذئب لم يأكله (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا).

المحاولة الخامسة: الكأس المقدسة (صواع الملك):

اجمل ما في قصة يوسف الرمزية هي انها رمز داخل رمز. رمز داخل رمز مثل رؤيا يوسف الرمزية داخل السورة الرمزية. او رمزية رؤيا السجناء وتأويلها الرمزي. او الرموز التي استخدمها يوسف نفسه داخل القصة الرمزية للتعبير عن معنى ثالث هو الكأس المقدسة. وكيف انه كان يتكلم في موضوع مغاير تماماً لما فهمه منه اخوته او قاريء القصة الرمزية الخارجي. لاحظ النصوص العجيبة (قَالُوا وَاقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ, قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ), (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ).

لاحظ المشهد العجيب المتكرر في كل القصص والاساطير الرمزية التي تتحدث عن الكأس المقدسة. وكيف ان يوسف استخدم الكأس دون اي شيء اخر ليكون الحديث ذو جنبه باطنية عميقة, وليس عملية اتهام بالسرقة لا يجب ان تبدر من معصوم. ولو استخدم اي حاجة ثمينة بدل الصواع لما تم الامر الرمزي بهذا العمق.

اولاً اصبحت المطاردة ومحاولة اللحاق بالكأس المقدسة المفقودة مطابقة جداً لهذه الحقيقة الباطنية. سر عظيم وخطر جداً ضائع دائماً ومعتم عليه ويؤدي كشفه الى عواقب وخيمة. ثم لاحظ الدقة الباطنية للنص الثاني (قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ), واذا تخيلت ان المتكلم هنا هو ولي الله يوسف في ذلك الحين او من يمثله, ستشاهد المشهد الملحمي في النص. ولي الله يطلب بالكشف عن صواع الملك او الكأس الملكي. وهذا ينقلك مباشرة الى الحقيقة الوسطى التي اشرنا اليها مراراً وتكراراً على انها الكأس الخاصة للملك, والذي هو الحقيقة الاولى او العليا.

الكأس المقدس هي الموقع الوجودي المناسب لنقل الفيض من مصدره وهو الملك الالهي الى مصبه وهو افواه الشاربين المستحقين.

ثم لاحظ الدقة الشديدة في تكملة النص (وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) وهو تعهد واضح من ولي الله المكلف بتكامل العباد بالنجاة لمن يأتي بهذا الكأس. وهي رمزية حمل البعير. والبعير هو الرمزية الباطنية المرتبطة حصراً بالكأس المقدسة والتي ترمز الى الصبر الشديد وتحمل الصعاب وحمل المسافرين والتضحية من اجلهم وقطع صحراء التكامل المربعة بهم. وقد اشرنا الى تفصيل اكثر عن هذه الحقيقة بكتاب حبة الرمان فلا داعي للاعادة.

الولي الالهي يتعهد بالنجاة وبالحمل لمن يُخرج الكأس المقدسة. واخراج الكأس هو حقيقة الارتباط بها، وصاحب الكأس هو القادر الوحيد على شرب ماء الحياة وبالتالي فهو الناجي الوحيد. ثم لاحظ النص الآخر (مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا أَطْلَمُونَ). متاع الاولياء هو هذه الكأس عليها السلام. وهم يستعيذون بالله ان يخذوا معهم في طريق النجاة من لم يجدوا متاعهم عنده. وبذلك تكون المحاورة اليوسفية صادقة تماماً وذات ابعاد عميقة جداً على غير ما يراها اخوته او باقي الناظرين. وتنتهي باخذ اخيه بعد استخراج الكأس من (وعائه)، وهو الشخص الوحيد الذي لم ينسلخ من ولاية الولي الالهي المنصوص ممثل الكأس والناطق عنها في ذلك الزمان.

وقد جاء عن ائمة اهل البيت عليهم السلام (يفتنون كما يفتن الذهب، ويخلصون كما يخلص الذهب)، (انه لا بد من أن تكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليعة حتى يسقط فيها من يشق الشعرة بشعرتين، حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا).

خاتمة:

لم يكن هذا الكتاب الا مقدمة بسيطة جداً لأهم المفاهيم الخيمائية، مع التركيز على المسكوت عنه في هذا الفن.

الاطلاع على هذا الكتاب قبل الدخول الى قراءة النصوص الخيمائية التطبيقية مهم جداً ويغني الباحث عن الكثير من الخبرات التي يكتسبها عن طريق عملية الخطأ والتصحيح.

هناك اخطاء في الخيمياء قد تصل الى حد الكوارث. بدءً من التعرض للابخرة السامة والاطار المختبرية الاخرى, مروراً بالالتباس العقائدي الذي قد يحصل نتيجة قراءة نصوص خيميائية روحانية مغرضة. وليس انتهاءً بالتورط بالممارسات الشيطانية الخبيثة التي قد تؤدي الى الدخول في باب يصعب الرجوع منه.

اغلب النصوص الخيميائية في كل اللغات صعبة جداً ومعقدة ومرمزة. اضافة الى ان الاعم الاغلب منها كاذبة, والغاية منها كانت التكسب في حينها, ثم اصبحت نصوص عبثية يقضي فيها مريد الخيمياء حياته ولا يصل الى شيء.

الغاية الحقيقية والاساسية التي وضع لها هذا العلم العظيم هو القدرة على قراءة الرموز والتعامل معها. ولا نقصد بالرموز فقط ما يظهر في المخطوطات والنصوص الباطنية, بل كل الرموز من حولك. اذ انك تقضي حياتك كلها في الحقيقة وانت تتجول داخل متحف ضخم من الرموز. شكل جسمك الخارجي رمز, ولونك رمز, وظهورك في بقعة معينة من الارض هو رمز يشير الى حقيقة ما, وغير ذلك كثير.

ستبتعد شيئاً فشيئاً عن سخافات تصنيع حجر الفلاسفة او اوهام انتاج الذهب, وستؤمن انك كنت وحدك المعني بالتغيير والتحول من البداية.

ستكتشف فجأة ان كل شيء من حولك, كل الطبيعة, كل الجبال والاشجار والاحجار, كل الحيوانات والنباتات والبشر, كل البيوت والمدن والحضارات, لها اذرع وايدي تشير بها بقوة ومجد الى السماء, وتصرخ بك بلسان طليق قائلة جملة واحدة دائماً, جملة واحدة فقط تختزن كل حكمة العصور.....

(كما في الاعلى يكون في الاسفل)

تم بحمد الله

ربيع هرمر

